الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

السنة التاسعة ـ العدد ١٠٢ ـ غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ ـ ١ يوليو ١٩٧٣ م



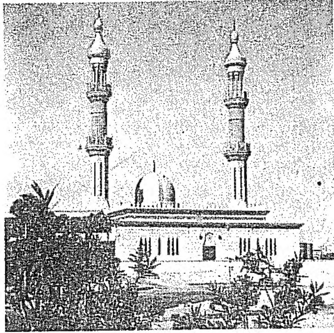
الحمد لله

الذي أنزل على

عبده الكتاب

ولم يجعل له عوجا

مسجد
عبد اللطيف العثمان



أحد المساجد الحديثة فى الكويت ويقع فى ضاحية عبد الله السالم ويمتاز بمنارتيه العاليتين . تتوسطهما قبة مربعة من الداخل وهو مزود بمكيفات الهواء ومبردات الماء ، وبلغت تكاليفه سبعين الف دينار .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة التاسعة

العدد (١٠٢)

غرة جمادى الآخرة ١٣٩٣ هـ

(١) يوليو (تموز) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وأيقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت فى غرة كل شهر عربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الافراد فيشتركون رأسا

مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمن :

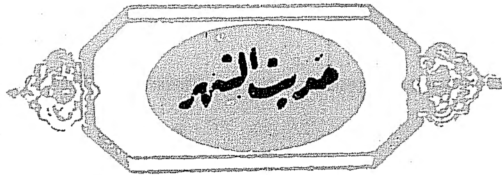
الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الاردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم



حاضر المسلمين

حاضرنا هو واقعنا الذى نعيش فيه بكل ابعاده وجوانبه وزواياه ..

هو الصورة العامة للحياة التى تنتظمنا جميعا شعوبا وقبائل ، حضرا وبدوا ، أكثرية وأقلية .. هو الحقيقة المجردة التى تعبر عن مظاهر التقدم ومظاهر التخلف فى حياتنا ..

هو أساليب الحكم ومناهج الثقافة ، وموارد الثروة ووسائل الاستثمار والمناخ الاجتماعى الذى يسودنا ويتحكم فينا .. هو القوى المادية والقوى المعنوية التى تحركنا من الداخل وتسيرنا فى الخارج ، ونمارس نشاطنا تحت دفعها وتأثيرها .

حاضر المسلمين هو وضعهم الدولى والعلاقات التى تربطهم بالأمم من صداقة وعداوة وعدم انحياز .. هو دينهم ومعتقداتهم وقيمهم ، ومدى قربهم من هذا كله وحرصهم عليه ، أو بعدهم عنه وتفريطهم فيه .. هو تصورهم لهذا الحاضر واحساسهم به ومقدار رضاهم عنه أو استيائهم منه .

هذه الأبعاد والمفاهيم كلها بعض معطيات « الحاضر » ومحتواه كما تفصح عنه اللغة ... أما الماضى فهو الموجود الذى طوته الليالى والايام ولم يبق منه الا العبرة والذكرى ، وأما المستقبل فهو القادم الذى استكن فى ضمير الغيب ، وتعلقت به آمال الجادين والهازلين .

محنـة :

وحاضر المسلمين يعتبر محنة من أشق المحن واقساها ، ويعد مرحلـة من أخطر مراحل حياتهم وأدقها ، وعليها يتوقف مصيرهم ، ويتحدد مستقبـل أجيالهم . والمسلمون حقا يعيشون فى هذه المحنة بين الأمم غرباء غير مكرمين يلفهم الظلام ، وتنبحهم الكلاب ويتجهم لهم اللئام ، وتغلق فى وجوههم الأبواب ويغرى بهم الصغار ، ويضحك عليهم الكبار .

كل مسلم غيور على دينه يعيش الآن على ظهر الأرض يشعر بأنه مضيع وأن شخصيته المتميزة التى تحددها عقيدته لا وجـود لها ، وان نظرته الـى ماضيه الحافل وتاريخه المجيد ومكانته السابقة بين الأمم العريقة ، تزيد مـن مرارة احساسه بألم الضياع وفقدان الشخصية ، فليس هو شامة بين الناس كما كان من قبل ، وليست أمته خير الأمم كما كانت فى الماضى ، وحيثما تلفت الى أمته الكبرى وجد حقا ضائعا وبشرا مضيعا وأرضا مغتصبة وجماعـات مشردة وكيانا ممزقا ، ومؤامرات متقنة غنية متعددة تستهدف القضـاء على دينه ، وتبغى السيطرة على أمته أرضا وبشرا وعقلا وفكرا وموارد ومقدرات .

فتـن :

والمسلمون يقيمون على ضيـم الحاضر ، ويتجرعونـه بكل ما فيه من مرارة ، تتهاوى على رؤسهم وظهورهم مطارق أحداثه الدامية .. فمع مغيب كل شمس نازلة فادحة ، وفى فحمة كل ليل فتنة عارمة .. فى الفلبين مذبحة ، وفى ارتيريا مقصلة ، وفى الهند أسارى مكبلون ، وفى افريقيا أكثرية تحولت فى جو الحقد والعداوة للاسلام الى أقليات مضطهدة ، وفى أوروبا فئـات مؤمنة مضيعة وشباب منا مفتون ، والمطابع فى بلاد الجليد والضباب والالحاد تغرق الأسواق بكتب تحقر الاسلام وتتهجم على القـرآن ، وتطعن فى نبـى التوحيد ، وتفترى الكذب على الله وعلى الناس .

وفى قلب العروبة ومشرق الاسلام دعوات هدامة تتسلل الى العقـول المضللة والقلوب الواهنة فتملأ فراغها بالكفر والالحاد ، وتغريها بالتمرد على الدين والانسلاخ من العقيدة ، وتكره لها الايمـان ، وتحبـب لها الفسـوق والعصيان ، ومما يزيد من فداحة هذا الخطر أن حملـة هذه الدعوات ممـن ينتسبون الى الاسلام اسما ، فهم يطعنون الاسلام فى صميمه ، وينكـرون أصوله وأركانه ، ويمارون فيما أوحى الله وأنزله ، ويجادلون فيما أحل وحرم مما لا يقبل تأويلا ولا مناقشة .

« فهذا ينكر أصل الايمان
وهذا يمارى فى حقيقة النبوات وامكان الوحى
وهذا يتساءل لم تحرم الخمر مع فائدتها الصحية
وهذا يرى الوقاع الجنسى ما دام بتراضى الطرفين لا شىء فيه

وهذا يمضى فوائد الربا ويسخر من حظرها
وهذا يصف الصلوات الخمس بأنها مضيعة للأوقات .
وهذا يرفض أن يكون للذكر مثل حظ الأنثيين فى الميراث
وهذا يحظر تعدد الزوجات ويفخر بتعدد الخليلات
وهذا يسهر حتى الصباح على أنغام الموسيقى الصاخبة والغناء الماجن ، ويزعجه أذان الفجر » .

وماذا نحصى من أبواب الفتن ، وهى كثيرة مفتحة تحمل سمومها وسائل الاعلام الحديثة ، فتنقلها صباح مساء . ليل نهار . تنقلها الى الأسماع والأبصار . الى المدائن والقرى الى القصور والأكواخ ، الى الطريق والبيت والمدرسة والنادى . إلى المتدين المحافظ فتزلزل دينه وتخلخل قيمه الى المخدوع المضلل ، فتمد فى ضلاله وتعبث بأخلاقه وتعيث فى سلوكه . الى المرأة الفاضلة الوقورة ، فتزهدها فى وقارها وتغريها بالتحلل من فضائلها وتشعرها بغربتها ووحشتها وانعزالها عن المجتمع الذى تعيش فيه .. الى المرأة المتكشفة ، فتغريها بمزيد من التكشف ، وتدفعها الى العرى والتجرد . الى الشاب والشابة فتلهب سعار الغرائز الدنيا فيهما ، وتهيج فى دمائهما اشباع النزوات فى غير مبالاة بدين ولا شرف ولا حفاظ على أخلاق وقيم .

لقد استغلت وسائل الاعلام الحديثة — على قوة فعاليتها وشدة نفوذها وتأثيرها وجاذبيتها اسوأ استغلال فشوهت معانى الحرية ، ودفعت بها الى مهاوى الفوضى والانحلال ، ومسخت معانى الفنون وعرضتها فى أثواب الاغراء والابتذال ، وحولت برامج الترفيه والتسلية الى ما يقتل النفس ويذيب الرجولة ، فأنجح الأغانى أكثرها ميوعة وأشدها اثارة ، وأنجح الأفلام أحفلها بأكوام اللحوم النسائية فى المخادع وعلى موائد المقامرين والمخمورين ، وأكثر الصحف والمجلات رواجا التى ترخص الرجس وتشيع النجس وتنشر قصص الخيانات الزوجية وأخبار الشذوذ والأعمال الفاضحة ، وتعرض صور الكاسيات العاريات التالفات المتلفات ..

وماذا نحصى من الفتن ، وبماذا نعلق على آثارها وعواقبها ، والشاهد الحاضر أفصح من كل لسان ، وأبلغ من كل نذير .

رفض الواقع :

والحاضر الذى نشهده ونعانيه ، ونجنى ثماره ونتجرع غصصه ونتحمل مسئولياته ونذوق ويلاته . الواقع الذى نشكوه ونتبرم به يقلق الغيورين على هذه الأمة ويشغل بالهم ، ويثير مخاوفهم ، فهم ينكرونه وينفرون منه ويتوجسون منه شرا فى المستقبل القريب اذا ترك العابثون يعبثون بالعقول ويجترئون على القيم ويقتحمون الحرمات ويزيفون الفوضى باسم الحرية والاباحية باسم التدين ، ويلبسون الباطل ثوب الحق ، ويروجون كل نقيصة ورذيلة باسم التقدم والتطور . هذا الحاضر يقلق الغيورين فيحاولون تغييره ،

وهذه بادرة وعى ومقدمات يقظة والناس بخير ما امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والناس بخير ما تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر « ولا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم » .

العمل الاسلامى :

والعاملون تحت لواء الاسلام يعملون فرادى وجماعات تحت تجمعات وتنظيمات متعددة الأسماء : اتحاد . رابطة . مجلس . جمعية . مركز . مجمع . أمانة . هيأة . لجنة . مؤتمر . وهذه التجمعات تضم عددا كبيرا من المفكرين والعلماء والشيوخ والشباب والنساء ، وهؤلاء جميعا يبذلون جهودا ضخمة فى التوعية الاسلامية والوقوف فى وجه التحديات ، وينفقون أموالا طائلة فى سبيل ذلك ، ولكن ينقصهم جميعا التخطيط والتنسيق فيما بينهم .

من هنا :

كل دولة اسلامية تعمل للاسلام على المستوى الرسمى والمستوى الشعبى ، وفى داخل كل دولة أجهزة متعددة للعمل فى الداخل والخارج ، ولكن لا تربط بينها ولا مخطط يجمعها .. نشرات ومجلات ومعونات مالية وكتب ومبعوثون ، ولقاءات ، ووفود تغدوا وتروح ... جهود مرتجلة ، ولهذا كانت النتائج غير متكافئة مع الجهد الذى يبذل والأموال التى تنفق .

من الشرق مهد النبوات ومهبط الرسالات ، من مشرق النور . من الوطن العربى من العرب المسلمين الذين اختارهم الله لحمل رسالته .. من الشرق وعلى أيدى العرب المسلمين يبدأ التجمع ، ويتحرك الزحف . وبالاسلام . بالقرآن . بنقله من المصحف والصدور الى واقع عملى يحكم وينظم ، ويأمر ويملأ القلوب ، ويوجه السلوك ، ويحرك الراعى ، ويصف الجنود ، ويربى النشء ، ويسود المعاملات .

وليس فيما سبق وصفا وعلاجا مبالغة فى تصوير الواقع ، وتجن على الحقيقة ، وليس فيه جحود لما يبذل فى خدمة الاسلام ، ولا غمط للجهود التى تحاول اقامة البناء وتجديد القوى وتصحيح الأوضاع .. ليس فيما وصفنا مدعاة لليأس فاننا نؤمن بأن الأمم تمر بأيام نحس وسعد وشدة ورخاء ، ونصر وهزيمة ، وان أمتنا تخضع لهذه السنة ، فانها فى مسيرتها الطويلة لم تلزم مستوى بيانيا واحدا .. اجتمعت وتفرقت ، عدلت وظلمت . استقامت وانحرفت . غفلت واستيقظت ، ولكنها فى كل مراحلها لم تنتصر الا بالعقيدة ولم تسعد الا بالايمان . هذا وحده هو المنقذ ، ولا غنى عنه ولا بديل له .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

رضوان البيلى

الممتحنة

ســــورة

الحُبّ والبغض في الله

للشيخ/محمد الغزالى

التعصب وصف ردىء عندما يكون معناه جمود الفكر ، وانحصار الأفق ، والتشبث بالهوى ، والجنوح الى الباطل مهما بدا عواره .

ونحن نرفض هذا الوصف ونأباه على أنفسنا وقومنا ..

.. ولكن عندما يكون التعصب أثرا لاحترام الحق ، واكبار أهله ، ودعم جانبهم ، وكره عدوهم ، فان التعصب هنا يرادف الإيمان والجهاد ، ولا يتخلى عنه امرؤ ذو دين !!

وفى العالم اليوم :

- حقـــائق أرخصها الضعف ..
- وحقـــوق هضـمها البغى ..
- وقوى شرسة استمرأت العـدوان ..
- ومسلمون طمـع فيهم من لا يدفع عن نفســه ، حتى كان البغاث بأرضنا يستنسر !!

.. أفلا يوقظنا مرأى هذه الصور الكريهة الى ان نعرف من نحن ؟ وماذا نحمل من رسالات الله ؟ وماذا نستطيع أن نسديه لأنفسنا وللعالم أجمع لو

غالينا بديننا وتاريخنا ، وشققنا الطريق إلى المستقبل على سناه الهادى . ؟؟
وعندما أقرأ سورة « الممتحنة » يحيا فى نفسي معنى التعصب للحقيقة ، والدفاع عنها ، والوقوف الى جانبها على رقة الحال ، وكآبة المنظر فى الأهل والمال !!

إنه ليس من الشرف أن أجامل من يهين الحق ، وليس من صدق اليقين أن أمالئه وأترضاه .

وقد نزلت سورة « الممتحنة » لتلقن المؤمنين هذا الدرس حتى يبقى حيا فى نفوسهم الى يوم الدين ، فقال جلَّ شأنه :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق .. »

.. عيب واضح أن أصادق عدو الله وعدوى ، وأن أبسط يدى ولسانى له بالسلام ، وهو يزدرى ما عندى — ولا يتوانى !! — ومن هنا عللت السورة النهى عن المصافاة ،فقالت بعد اثبات كفرهم :

« يخرجون الرسول وإياكم ... »

لماذا ؟ **« ... أن تؤمنوا بالله ربكم »**

ثم اطرد السياق القرآنى يقول :

« إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى ... »

أى فلا تسلكوا هذا المسلك ، وتطووا قلوبكم على حب من طردكم وأهانكم !!

كيف تفعلون هذا ؟.

« ... تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم » ؟؟

والتعبير « بأنا » فى هذا الموضع يفرض علينا أن نتوقف قليلا لنتدبره فقوله جلَّ شأنه :

« وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم » فيه معنى التحذير من الرقيب الخبير .

وهذا المعنى صرحت به سورة أخرى فى مثل هذه القضية قال تعالى :

« لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء — إلا أن تتقوا منهم تقاة — ويحذركم الله نفسه » !!

والغريب أن هذا التحذير يتكرر فى الموضع نفسه ، مؤكدا علم الله بما نخفى وما نعلن ، حتى لا نتورط فى مسالمة عدو يبتغى إبادتنا ، أو الوقوف منه موقفا بعيدا عن الصرامة والمفاصلة ، فقال جل شأنه :

« يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه » !!

تحذير يتكرر مرتين بعبارة رهيبة هى **« ... يحذركم الله نفسه »** إنها هناك توضيح لقوله هنا : **« تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضلَّ سواء السبيل »** .

هكذا بدأت سورة « الممتحنة » تعلمنا ضرورة التعصب للحق ، والتمسك بأهدابه ، وكراهية المعتدين عليه ، والنفور من مودتهم .

وإذا كان هذا المعنى الحاسم قد تصدرها : فانه قد تمشى فى آياتها على

سور متفاوتة ، ثم كان لها الختام المبين فقال جلّ شأنه :

« يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور » .

إن « الأحياء » من الكفار قد قنطوا من عودة إخوانهم الذين ماتوا الى الحياة مرة أخرى ، أو أن « الموتى » من الكفار قد يئسوا من الحصول على مكانة عند الله فى الدار الآخرة .

سواء كان هذا المعنى أو ذاك فان المؤمنين لا يليق أن يصادقوا قوما تلك حالتهم !!

ولنلق على السورة من بدئها الى ختمها نظرة جامعة نتعرّف بها أسباب النزول كما ذكرها المفسرون والمؤرخون .



لقد استغرق نزول هذه السورة — على وجازتها — قريبا من عامين ، وصدرها نزل فى السنة « الثامنة » عندما قررت الكتائب المؤمنة أن تجهز على الوثنية المتحكمة فى مكة ، وأن تعيد الى دائرة التوحيد هذا المعقل الأشم .

ووسط السورة نزل فى السنة « السادسة » بعد ما تم « عهد الحديبية » بين المسلمين وأهل مكة ،وبدأ التنفيذ وظهرت بعض المشكلات .

وآخر السورة نزل بعد الفتح الكبير ، واقبال أهل مكة رجالا ونساء على مبايعة الرسول — صلى الله عليه وسلم — والالتزام بتعاليم الإسلام .

ومع الاختلاف الزمنى الملحوظ فى نزول الآيات فان ترتيبها لم يفقد ذرة من الاتساق والتماسك ، بل هو نسق من الاعجاز السارى فى أسلوب القرآن الكريم كله .

وأشعر بأن القرآن فى علم الله القديم كان على هذا الترتيب الذى نحفظه ، وأن الآيات كانت تنزل وفق الأحداث ، ثم يأمر الرسول بوضعها فى مكانها بتوقيت إلهى ، فتعود الى وضعها الأزلى على النحو الذى يقرأ الآن

والمحور الذى دارت عليه السورة كلها ، هو الحب والبغض فى الله ، وهو قاسم مشترك بين أجزاء السورة منذ بدأ النزول ، ولذلك فان وحدة الموضوع ظاهرة شائعة فيها ففى أوائل السورة نقرأ كيف رفض القرآن الكريم ما وقع من « حاطب بن أبى بلتعة » الذى راسل أهل مكة يخبرهم باستعداد الرسول للسير نحوهم ، كى يأخذوا أهبتهم !! وهو عمل شنيع ، ولولا أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عفا عن الرجل تقديرا لسابقته فى خدمة الإسلام لكان جزاؤه القتل .

وهنا نرى الوحى — بعد استنكار التصرف السابق — يقول للمؤمنين :

« لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير » . أى لا يجوز أن يخفف شىء ما من حدة الخصام للكفر وشيعته ، ولو كان الحرص على القرابة والولد والمال فان جانب الله أولى بالرعاية .

والمثل الأعلى أن يقول المؤمنون لأعدائهم : ((**إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحـــده**)) .

وهذه مصارحة بالقطيعة فى سبيل الله ، ومعالجته بالحب لله والبغض لله ، وليس امام المؤمنين إلا هذا السلوك .

وقد كان ابراهيم والمؤمنون معه على هذا الفرار ، واذا كان ابراهيم قد لاين اباه يوما وقال له : ((**لأستغفرن لك ، وما املك لك من الله من شيء**)) .

فذلك اللين ليس مهادنة للضلال ، ولا ضعفا فى الإحساس بحـــق الله « كلا » : ((**وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له انه عدو لله تبرا منه**)) .

وهكذا تقطعت اغلى الصلات إيثارا لحق الله .

.. إن حق الله على عبده لا يرجحه شيء فى الأولين ولا فى الآخرين ، والاستهانة به ضلال مبين .

هل هـــذا التهجم الشديد ضد الضلال والضالين يرجع الى غلظة طبع او شراسة خلق ! لا .. لا ..

إننا فى شوق ، الى سيادة السلام ، وامتداد عواطف الحب الى كـــل قلب ، والأمر بيننا وبين خصومنا واضح مستقيم ، فمن حاسننا حاسنّاه ، وكنا اسرع إليه بالود والرحمة .

ولكن كيف نلين مع من استباح كرامتنا ؟ ونشد إساءتنا وإهانتنا ، واخرجنا من ديارنا واموالنا ! إن مصادقة من يفعل ذلك بنا نذالة ، وخســـة لا يهبط اليها مؤمن !! قال تعالى :

((**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون**)) .

والظلم هنا الهوان ، وقبول الدنية ، والاستكانة الى الضيم ، والرضا بحياة الفسوق والمروق ، والعيش فى كنف الفاسقين المارقين .

هذا صدر السورة الذى استغرق نصفها ، ونزل فى السنة « الثامنة » .

اما وسطها الذى نزل من قبل ، فهو يعـــود بنا الى نص فى معـــاهدة الحديبية يقضى بأن يرد المسلمون عن المدينة من لحق بهم مؤمنا من اهل مكة ، وإن كان اهل مكة يقبلون من لحق بهم مرتدا .. !!

ومع أن الأيام اثبتت جدوى هذا النص على المؤمنين الا أن القرآن الكريم استثنى النساء ابتداء من تطبيقه وامر المؤمنين أن يمتحنوا المؤمنات الفارات بدينهن فاذا علموا منهن صدق الاعتقـــاد وشرف الغاية قبلوهن فى المجتمـــع الإسلامى فورا ..

إن هؤلاء النسوة المهاجرات التاركات لأزواج كافرين يجب أن نرحب بهن وان نقدم تحية اكبار للعاطفة التى خرجت بهن الى دار الإيمـــان ، لقد كرهن رجالهن وفارقنهم لله فلا ينبغى أن يعدن لهم قال تعالى :

« فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن » .

وإتماما لإقامة المجتمع على احترام الدين ، واعزاز مشاعر الحب والبغض لله صدر الأمر بتسريح الزوجات الكافرات : **« ولا تمسكوا بعصم الكوافر »** .

.. إن قبول هؤلاء النساء المؤمنات ومفارقة الكافرات تشريع متكامل وحكمته واضحة وقد نفذت معاهدة الحديبية بالنسبة الى الرجال الذين ما لبثوا أن نظموا حرب العصابات ضد اهل مكة حتى اضطروهم الى ان يطلبوا من الرسول قبولهم في المدينة !!

ونصل الى آخر السورة لنقرأ بيعة النساء ، كان ذلك بعد فتح مكة واستسلام اهلها لكتائب الرحمن .

إن أولئك الناس طالما آذوا الله ورسوله ، وها هي ذى « هند » المرأة التى اكلت كبد حمزة قد اعلنت دخولها في الاسلام ، فماذا نصنع معها !

لا شيء !! ننسى الماضى ، ونغفر الأخطاء ونعلمها وصاحباتها كيف تتأدبن بآداب الإسلام ، ثم يصبحن — بعد — اخواتنا :

« يا ايها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على الا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم » .

نعم . إن الله غفور رحيم ، فلننس الماضى ولنتحاب فى الله .

لقد كان القرآن فى هذه السورة يرقب متاب هؤلاء وعودتهن الى الصواب وإقلاعهن عن إيلام المؤمنين ، قال تعالى :

« عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم » .

والمودة المرتقبة إنما تقع من اناس يخف ضغط التعصب على قلوبهم ورءوسهم ، ويجوز أن تنقشع غيوم الغفلة عن آفاقهم وضمائرهم .

فان المرء قد يخطىء لملابسات معينة أحاطت به ، وربما ظل على خطئه لأن هذه الملابسات بقيت فى مكانها ، لم تجد من يزيلها أو ينتقصها ..

لكن ما الموقف اذا تشبث الإنسان بالزلل وهو يدعى الى الاستقامة ؟

او اصر على الخطأ وهو يرى وجه الحق وضيئا مشرقا ؟

إن هذا الإنسان أجدر خلق الله بالمقت وأولاهم بالعقاب الآجل والعاجل .

وإنك لترى الوحى الإلهى طافحا بالوعيد وهو يتناول اولئك الجاحدين من صرعى التعصب الأعمى .

« ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » .

ولنلفت النظر الى ان الغفلة هنا ليست قصور عقل عن المعرفة الغائبة ، ولكنها بلادة قلب عن استيعاب المعرفة المبذولة ، والنصح القريب ! .

وهذا هو التعصب الذى يأباه على نفسه كل عاقل أو منصف .

والقرآن فى آيات كثيرة يلمع الى هـذا المعنى وإن لم يذكـر التعصب بلفظه ، فإذا قال تعالى : « **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** » .

فإن المقصود اناس طال نصحهم وطالت لجاجتهم ، طال تعليمهم وطال صدودهم .. وليس المقصود وصف أقوام تعرض عليهم الدعوة لأول مرة .

وبديهى أن ينتهى هذا الصدود بما ينتهى به كل جحد وتبجح ، من استمراء للشر واستهانة بالخير واستحلاء للقبيح .

« **إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون . اولئك الذين لهم سوء العذاب وهم فى الآخرة هم الأخسرون** » .



وقد صحب التعصب من قديم حيف شديد على أهل الإيمان ، وتطاول على حقوقهم المادية والأدبية ، وتصوير كذوب لأقوالهم وأعمالهم ، والحـاق للمعايب والمقابح بسيرتهم وتاريخهم وكان نصيب الأمة الإسلامية كبيرا من هذا التعصب الجائر الآثم .

ولست استغرب مسالك الأشرار إذا جاءت وفق طبائعهم فإن الذئب المفترس لا يستكثر عليه أن يعقر ويغتال ..

إنما الغرابة من موقف المسلمين الذين كثرت حولهم الأنياب الجائعة ، والطوايا الكنود ، ومع ذلك فهم غارّون مسترسلون فى « طيبتهم » وتهاونهم.. فإلى متى ؟

إن أرضنا انتقصت من أطـرافها شرقا وغربا وفق خطـة رسمت بأناة وروية ... ثم بدأت الإغارة على قلب العالم الاسلامى استكمالا للإجهاز عليه طولا وعرضا ، فهلا عرفنا ما يراد بنا ؟

إن فى العالم الآن طوفانا نجسا من التعصب ضد الإسلام وأمته ، وامامى وأنا اكتب هذه السطور أنباء الدماء المراقـة والأشلاء الممزعـة للمسلمين المستضعفين فى الفلبين ، وما قصة الاسلام الذبيح فى الفلبين إلا نموذج مكرر لأقطار اخرى من الأرض ، اهين فيها الدين واستبيح حماه ، وشرد أهلوه ، واكلت حقوقهم !! بل إن المسلمين — حيث يكونون كثرة فى بـلاد أخرى — .. تجرأ عليهم كل ذى ملـة وتطلـع الى ما لم يكن يحـلم به فى يـوم من الأيام !!

الا نتعلم التعصب للشرف والعرض والأرض فى هذه الظروف العصيبة ؟ لعلنا ... لعلنا ..

فاذا تحقق ما نصبو اليه فلله الحمد .

.. نحن ما نسعى الى قتال ولا نشتاق الى سفك دم .

لكن إذا فرض علينا القتال فان الذرة من التهاون فى كراهية المعتدين جريمـة ..

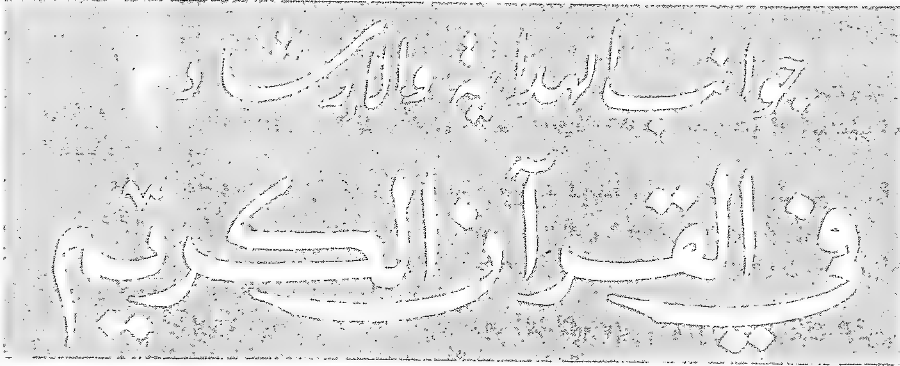
يجب أن ندخل المعركة بكل ما لدينا من غضب وقسوة وصرامة ؟

---

(١) : هذا ما يدين به جماهير المسلمين من السلف والخلف .

مباحث قرآنية

٦



للقرآن الكريم في هدايته وارشاده جوانب اربعة

① جانب العقيدة ② جانب الشريعة ③ جانب الأخلاق

④ جانب الدعوة إلى النظر في ملكوت السموات والأرض

للدكتور/محمد حسين الذهبى

(الجانب العقدى فى القرآن الكريم)

اما جانب العقيدة : فقد وجهنا القرآن الكريم الى العقيدة الحقة فى الله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيه من حساب وجزاء .

دعانا الى معرفة الله — تعالى — وما له من صفات الكمال والجلال ، وانه واحد لا شريك له فى ملكه ، ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته ، وأنه الخالق المستحق للعبادة دون غيره ..

فقال فى بيان ما لله من صفات الكمال والجلال :

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد » (١) .

وقال : « الله لا اله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض ... »(٢) .

وقال : « تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم ايكم احسن عملا وهو العزيز الغفور » (٣) .

وقال : « هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم . هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » (٤) .

وقال فى بيان أن الله واحد لا شريك له فى ملكه ولا شبيه له فى ذاته ولا فى صفاته :

« إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى » (٥) .

وقال : « ذلكم الله ربكم لا إله

إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه » (٦) .
وقال : « لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون » (٧) .
وقال : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون » (٨) .
وقال : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » (٩) .
وقال في بيان أنه المستحق للعبادة دون غيره :

« يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له : إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز » (١٠) .
وقال : « أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون . ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون ، وإن تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم أم انتم صامتون . إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين . ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون » (١١) .
وقال : « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو اثارة من علم إن كنتم صادقين . ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » (١٢) .
وقال : « أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون » (١٣) .

ووجهنا القرآن الكريم الى الإيمان بالملائكة والرسل وما أنزل الله من كتاب فقال :
« قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (١٤) .
وقال : « يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزّل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا » (١٥) .

ويقرر القرآن الكريم عقيدة البعث والحساب والجزاء .
فيقول مقررا عقيدة البعث :
« زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير » (١٦) .
ويقول : « قل إن الأولين والآخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم » (١٧) .
ويرد على المستبعدين للبعث لبنى الإنسان بعد ما تمزقت أوصالهم ، ورمت عظامهم ، وتلاشت ذراتهم حتى إنهم ليقولون مستنكرين للبعث بعد هذا التمزق والتلاشى :
« أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون ؟ » (١٨) .
« هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق إنكم لفى خلق جديد » (١٩) .
« أئذا متنا وكنا ترابا ؟ ذلك رجع بعيد » (٢٠) .
« أئذا ضللنا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد » (٢١) .
.... ويرد القرآن الكريم على هؤلاء المنكرين للبعث والمستبعدين له بآيات كلها براهين قاطعة وحجج دامغة فيقول :

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه » (٢٢) .

« أفعيينا بالخلق الأول ؟ بل هم فى لبس من خلق جديد » (٢٣) .

« كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدا علينا إنا كنا فاعلين » (٢٤) .

« أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه » (٢٥) .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه : قال من يحيى العظام وهى رميم ؟ قل : يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » (٢٦) .

ثم هو يقرر بعد ذلك أن البعث لا بد أن يستتبع حسابا ، وأن الحساب لا بد أن يستتبع ثوابا أو عقابا ، والا لكان الله عابثا بخلقه غير عادل فى ملكه ، فيقول :

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم » (٢٧) .

ويقول : « وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض ؟ أم نجعل المتقين كالفجار ؟ » (٢٨) .

ويقول : « أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ ما لكم كيف تحكمون » (٢٩) .

ويقول : « وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون » (٣٠) .

ويقول : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ؟ ساء ما يحكمون » (٣١) .

(الجانب التشريعى)
(فى القرآن الكريم)

وأما جانب الشريعة : فقد سن لنا القرآن الكريم كثيرا من التشريعات والنظم التى نحتاج اليها فى عباداتنا، ومعاملاتنا ، وصلاتنا فى مجتمعنا الإسلامى ، وعلاقاتنا بغيرنا من الدول في السلم والحرب.

ففى العبادات شرع الصلاة والزكاة والصوم والحج ... وغير ذلك من الطاعات والقرب التى يتقرب بها الانسان الى ربه ومولاه .

وفى المعاملات بين الحلال والحرام فأحل البيع وحرم الربا ، وحرم اكل أموال الناس بالباطل فقال :

« وأحل الله البيع وحرم الربا » (٣٢) .

وقال : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » (٣٣) .

وقال : « ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » (٣٤) .

وقال : « ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن » (٣٥) .

وقال : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا » (٣٦) .

ووضع لنا القرآن الكريم أسس الاستيثاق فيما يجرى بيننا من معاملات مالية فقال فى الدّيْن :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه » .... الى أن قال : « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ......) (٣٧) .

وقال فى البيع : « وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد » (٣٨) .

وقال في الاستيثاق بالرهن :
« وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضه » (٣٩) .
وقال فى الوصية : « يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم .. » (٤٠)
وقال لأوصياء اليتامى : « .. فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا » (٤١) .
ووضع القرآن أحكام الزواج والطلاق ، وما يتعلق بهذا وذلك من مهر ونفقة وعدة وحضانة ورضاع ..
وأرسى القرآن قواعد الأمن والطمأنينة فى المجتمع الاسلامى بما شرعه من الحدود والعقوبات على بعض الجرائم التى لا تخلو منها المجتمعات البشرية .
فقرر عقوبة القصاص فى القتل العمد بقوله :
« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى .. » (٤٢) .
وقرر عقوبة القتل الخطأ بقوله :
« .... ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصّدّقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما » (٤٣) .
ووضع عقوبة لقطاع الطرق بقوله :
« إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » (٤٤) .
ووضع عقوبة للسارق بقوله :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله » (٤٥) .
وشرع من العقوبات ما يصون حرمة الأعراض ويزجر عن استباحتها وانتهاكها فقال فى عقوبة الزانى غير المحصن من الرجال والنساء :
« الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين » (٤٦) .
وقال فى عقوبة قذف العفيفات بالزنى :
« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » (٤٧) .
وفى محيط المجتمع الاسلامى يعمل القرآن الكريم على تقوية ما بين المسلمين من وحدة وترابط وإزالة ما عساه يقع بينهم من عوامل التفكك والتصدع فيشرع لهم من الأحكام ما يجتث جذور التنازع والتناحر فيما بينهم ، فيقول فى جمع الكلمة ووحدة الصف :
« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٤٨) .
ويقول فى القضاء على الفتن والشقاق الذى يمزق هذه الوحدة :
« وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء الى أمر الله فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين . إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون » (٤٩) .
وفى علاج المشاكل الأسرية يشرع القرآن الكريم كثيرا من الأحكام التى تزيل أسباب الخلاف وتجعل الحياة الأسرية تمشى فى طريقها الصحيح

الذي يجنبها العثرات والمكدرات ، وأبرز مثال نسوقه من هذه التشريعات الحكيمة قوله تعالى :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان علياً كبيرا . وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا » (٥٠) .

وفى علاقة المسلمين بغيرهم من الدول يضع القرآن الكريم قواعد المعاملة فى السلم والحرب :

ففى السلم : يدعو الى مسالمة من يسالمنا بقوله :

« وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (٥١) .

وقوله : « .... فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا » (٥٢) .

وفى الحرب : يدعو الى محاربة من يحاربنا بقوله :

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » (٥٣) .

ودعانا الى الإعداد للحرب ما دامت متوقعة بقوله :

« واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم » (٥٤) .

وحضنا على الثبات عند لقاء الأعداء بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » (٥٥) .

وحرضنا على البلاء فى القتال بقوله :

« فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان » (٥٦) .

وقوله : « فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق .. » (٥٧) .

وقوله : « فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم » (٥٨) .

ونهانا عن التولى يوم الزحف بقوله :

« يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير » (٥٩) .

ونهانا عن الخور والوهن فى طلب الأعداء بقوله :

« ولا تهنوا فى ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما » (٦٠) .

والقرآن يعطى الكافر المستأمن حق الأمان غير مروع على نفسه أو ماله فيقول :

« وإن أحد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » (٦١) .

ويقرر القرآن مصير اسرى الحرب بقوله :

« فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها » (٦٢) .

ويضع القرآن اسس المعاهدات ويحتم وجوب الوفاء بها والوقوف عند بنودها ما دام العدو محافظا على ذلك من جانبه ولم يَجِدّ من الظروف ما يقتضى نقضها فيقول : « وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » (٦٣) .

ويقول : « .... الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم أحدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين » (٦٤) .

ويقول : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين » (٦٥) .

(للبحث صلة)

---

(١) سورة الاخلاص .
(٢) فى الآية ٢٢٥ من سورة البقرة .
(٣) الآيتان ١ ، ٢ من سورة الملك .
(٤) الآيات ٢٢ — ٢٤ من سورة الحشر .
(٥) الآية ١٤ من سورة طه .
(٦) في الآية ١٠٢ من سورة الانعام .
(٧) الآية ٢٢ من سورة الانبياء .
(٨) الآية ٩١ من سورة المؤمنون .
(٩) فى الآية ١١ من سورة الشورى .
(١٠) الآيتان ٧٣ ، ٧٤ من سورة الحج .
(١١) الآيات ١٩١ — ١٩٥ من سورة الأعراف
(١٢) الآيات ٤ — ٦ سورة الأحقاف .
(١٣) الآية ١٧ من سورة النحل .
(١٤) الآية ١٣٦ سورة البقرة .
(١٥) الآية ١٣٦ من سورة النساء .
(١٦) الآية ٧ من سورة التغابن .
(١٧) الآيتان ٤٩ ، ٥٠ من سورة الواقعة .
(١٨) الآيتان ٤٧ ، ٤٨ من سورة الواقعة .
(١٩) فى الآية ٧ من سورة سبأ .
(٢٠) فى الآية ٣ من سورة ق .
(٢١) فى الآية ١٠ من سورة السجدة .
(٢٢) فى الآية ٢٧ من سورة الروم .
(٢٣) الآية ١٥ من سورة ق .
(٢٤) فى الآية ١٠٤ من سورة الانبياء .
(٢٥) الآيتان ٣ ، ٤ من سورة القيامة .
(٢٦) الآية ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس .
(٢٧) الآيتان ١١٥ ، ١١٦ من سوزة المؤمنون
(٢٨) الآيتان ٢٧ ، ٢٨ من سورة ص .
(٢٩) الآيتان ٣٥ ، ٣٦ من سورة القلم .
(٣٠) الآية ٥٨ من سورة غافر .
(٣١) الآية ٢١ من سورة الجاثية .
(٣٢) فى الآية ٢٧٥ من سورة البقرة .
(٣٣) الآية ١٣٠ من سورة آل عمران .
(٣٤) الآية ١٨٨ من سورة البقرة .
(٣٥) فى الآية ١٥٢ من سورة الانعام .
(٣٦) فى الآية ١٠ من سورة النساء .
(٣٧) ، (٣٨) فى الآية ٢٨٢ من البقرة
(٣٩) فى الآية ٢٨٣ من سورة البقرة .
(٤٠) فى الآية ١٠٧ من سورة المائدة .
(٤١) فى الآية ٦ من سورة النساء .
(٤٢) من الآية ١٧٨ من سورة البقرة .
(٤٣) فى الآية ٩٢ من سورة النساء .
(٤٤) فى الآية ٣٣ من سورة المائدة .
(٤٥) فى الآية ٣٨ من سورة المائدة .
(٤٦) الآية ٢ من سورة النور .
(٤٧) الآية ٤ من سورة النور .
(٤٨) فى الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .
(٤٩) الآيتان ٩ ، ١٠ من سورة الحجرات .
(٥٠) الآيتان ٣٤ ، ٣٥ من سورة النساء .
(٥١) فى الآية ٦١ من سورة الانفال .
(٥٢) فى الآية ٩٠ من سورة الانفال .
(٥٣) الآية ١٩٠ من سورة البقرة .
(٥٤) فى الآية ٣ ، ٦ من سورة الانفال
(٥٥) الآية ٤٥ من سورة الانفال .
(٥٦) فى الآية ١٢ من سورة الانفال .
(٥٧) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٥٨) فى الآية ٥٧ من سورة الانفال .
(٥٩) الآيتان ١٥ ، ١٦ من سورة الانفال .
(٦٠) الآية ١٠٤ من سورة النساء .
(٦١) فى الآية ٦ من سورة التوبة .
(٦٢) فى الآية ٤ من سورة محمد .
(٦٣) فى الآية ٩١ من سورة النحل .
(٦٤) الآية ٤ من سورة التوبة .
(٦٥) الآية ٥٨ من سورة الانفال .

بين عناية الإسلام

محمد سلام مدكور

عنيت الأديان وسائر التشريعات بالطفولة ، ومن وجهة نظر الإسلام فإنه يجب أن تتعهدها يد « برة » رحيمة حريصة عليها مخلصة لها ، لا تسلك بها في التربية مسلك القسوة والعنف ولا مسالك الطراوة والتدليل ، ولكن الوسطية التى يوجهنا اليها الإسلام . فيساسون بالرحمة مع شىء من الحزم . تتكون الشدة من غير عنف ، واللين من غير ضعف ، وإنما الرحمة مع الحزم دون اسراف فى اللوم والتعنيف اذا اقترف الطفل ذنبا يقول الله سبحانه : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله .. »

ولا أدل على رعاية الاسلام للطفولة من قول الرسول صلى الله عليه وسلم : تخيروا لنطفكم فان العرق دساس .. فقد جعل الاختيار عند الزواج أساسا لمصلحة الأطفال ، إذ الطفولة هى البراعم التى ستتفتح عن شباب المستقبل ، وبقدر ما نحسن فى إعدادها وتوجيهها بقدر ما نجنى منها للأسرة والمجتمع من عمل مثمر منتج .

والأسرة هى المدرسة الأولى لتربية الأطفال وتنشئتهم ، ففيها وحدها يوضع حجر الأساس التربوى حيث يكون الطفل عجينة لينة طيبة ، والأبوان هما أقدر الناس على رعاية أولادهم والقيام بشئونهم لما غرسه الله فى نفوسهم من حب فطرى لهم ، وما وهبهم الله بحكم الأمومة والأبوة من قدرة على احتمال المشاق بنفسية سعيدة راضية فى سبيل إسعاد أطفالهم .

ومن عناية التشريع الاسلامى بالطفولة أن رتب لها حقوقا كثيرة منها حق الطفل فى اكتساب جنسية الأب بناء على حق الدم ، ومنها تبعية خير الأبوين دينا ، ولما كان الاسلام لا يجيز للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم ، بينما يبيح للمسلم الزواج بغير المسلمة من أهل الكتاب فان الأولاد بناء على ذلك يتبعون ديانة الأب المسلم ، أما إذا كان الأبوان غير مسلمين ثم أسلمت الزوجة ولم يقبل الزوج الاسلام فان الأطفال يتبعون ديانة الأم فضلا عن التفريق بينها وبين الزوج .

ومن عناية الاسلام بالطفولة أن

بالطفولة وتحريم التبني

وجه الى تغير الاسم الذى يطلقونه عليه ، بحيث لا يكون اسما يسبب له مضايقات فى المجتمع ، ويجعله موضع سخرية واستهزاء بين الأطفال فتتعقد نفسيته بسبب ذلك ، وينفر من الناس والاجتماع بهم ، مع أن الإسلام يحرص على الجماعة ورتب لها فى أحكامه وتشريعاته ما يجعلها متكررة مستمرة .

ومن عناية الشارع بالطفولة أن رتب لها حق ثبوت النسب ، وحق الرضاعة ، والحضانة ، والولاية ، وأوجب التقاط اللقطاء والعناية بهم والحفاظ عليهم ، واذا كان الإسلام حرم التبنى ومنعه لحكمة سامية فانه اعتبر مجهول النسب أخاً لنا فى الدين تربطنا به الأخوة العامة فى الإسلام .

قد يقال : إذا كان الإسلام جعل الأسرة الحقيقية هى المحضن الطبيعى لنمو الطفل ، تنمو فيه عاطفته وتستقر مشاعره ، وتتوطد علاقاته الطبيعية ببقية أفراد الأسرة ، وعنى بالطفولة هذه العناية فقرر لها تلك الحقوق التى أشرنا اليها فلماذا يبطل التبنى مع ما فيه من إشباع لعواطف الآباء والأطفال ، وربط الطفل بنسب يسعد به بين الناس ، ويدفع عنه معرّة جهالة نسبه .

الواقع أن الإسلام حين يقرر حكما من الأحكام لا يقرره ليستكمل به شكلا تشريعيا معينا ، ولكنه يفعل ذلك وهو يضع فى اعتباره تنظيم حياة الناس ، ثم يجعل تنفيذ هذا الحكم لونا من الوان العبادة التى هى العلاقة الخالصة بين الخلق والخالق ، وهو من اجل ذلك يجعل الغاية من إنزال الكتاب هى الحكم بين الناس وتنفيذ تشريعاته فى مجتمعاتهم ، يقول سبحانه « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك » .

والإسلام حين يبطل التبنى — بعد العمل به فترة طويلة فى عهد الرسول وفى صدر التشريع — يعلن الحكمة الكامنة من وراء ذلك فيقول جل شأنه : « وما جعل أدعياءكم أبناءكم » ثم يذكر السبب فيقول : « ذلكم قولكم بأفواهكم » أى أنه ادعاء يبدو فيه الكذب ، ثم يقرر الاتجاه الصحيح فيقول : « ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » ثم يوجه الى ما ينبغى أن يكون عليه الناس مع مجهولى النسب من حسن معاملة فيقول : « فان لم

تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » .

فاللقطاء ومجهولو النسب يعيشون فى رعاية الإسلام وذمته وهم اخوان المسلمين ، ومن هنا لم يجد المسلم مجهول النسب غضاضة فى أن يعرف بذلك ، أو أن يعلنه هو بنفسه ما دام فى المجتمع الاسلامى الذى يخضع فى جميع صلاته لتعاليم الاسلام وارشاداته ، لأن هذا المجتمع الرحيم قد أصبح بمثابة أبيه ونسبه الذى لا يعدل به نسبا ، ولذا فان أبا بكرة — نفيع بن الحارث كما يسميه رجال الحديث — أعلن جهالة نسبه وقال — كما روى الطبرى — انا ممن لا يعرف أبوه فأنا اخوكم فى الدين ومولاكم .

وحماية من الاسلام لمجهولى النسب من المنحرفين فى المجتمع الذين لا يكفى لاصلاحهم مجرد التوجيه الخلقى ، وضع عقوبة صارمة لمن يعيّر أحدا بذلك كأن يقول له : يا ابن الزنى ، ولم يجعل جهالة النسب مما يعيب الشخص نفسه إذ كل نفس بما كسبت رهينة ، كما أنه لا تزر وازرة وزر أخرى ، فمجهول النسب لم يقترف إثما ولا ذنبا وإنما هو ثمرة جناية غيره وجريمته .

ومع هذا فقد أوجد الاسلام المجال فسيحا أمام من تورط فاتصل بامرأة عن طريق عقد زواج فاسد أو وطء بشبهة ، وأنجبت منه نتيجة ذلك ، فأجاز له أن يثبت نسب هذا المولود عن طريق الاقرار ، ولم يجعل للقاضى كما يقرر فقهاء الحنفية حق سؤاله عن ما وراء هذا الاقرار ما دامت الشروط المعتبرة لصحة الاقرار متوافرة وفى ذلك تيسير لمن تورط فى غير الزنى ، وستر لسبب النسب الذى قد يكون فى إظهاره ما يلحق الضرر أو العار بالولد أو بالوالدة . إذ قد يكون نتيجة وطئه زوجة الغير ظنا منه أنها زوجته ، أو شىء من هذا القبيل .

وتتلخص شروط صحة الاقرار بنسب الولد له أن يكون المقر به مجهول النسب ، وأن لا ينازعه فيه منازع والا احتجنا بجانب الاقرار الى البينة أو القرائن ، وأن تكون البنوة بينه وبين من يدعيه متصورة بأن يكون فارق السن بينهما يسمح بأن يولد مثله لمثله ، كما يشترط تصديق المقربه اذا كان من أهل التمييز أى بلغ سن السابعة أو اكثر . فالاقرار وحده مع هذا يكفى لالحاق الصغير بنسب من يدعيه دون حاجة الى أى اثبات آخر وما ذلك الا لحرص الشارع على مصلحة الاطفال وثبوت نسبهم .

ولا ينبغى أن يتصور أحد أن هذا طريق يفتح الباب فسيحا أمام التبنى الذى قلنا ان الاسلام حرمه لأن الاقرار بالنسب هو مجرد اخبار عن قيام سبب موجب لثبوت النسب . بينما التبنى تصرف قانونى يقصد منه إنشاء نوع خاص من النسب لم يكن ثابتا قبله ، وهو يعلم أنه منسوب فى الحقيقة والواقع الى غيره معلوما كان نسبه الاصلى أم مجهولا .

فالتبنى هو اتخاذ رجل ابن غيره المعروف أو المجهول كولده ونسبته اليه وإعطاؤه كل أحكام الابن الصلبى وقد عرفت عادة التبنى من قديم الزمان فعرفها قدماء المصريين ، كما عرفها غيرهم من الأمم والشعوب ، ورغم أن التبنى كان وما يزال شائعا فى أوربا وأمريكا ، فانه لم يسمح به فى الولايات المتحدة بصفة قانونية الا سنة ١٨٥٦ م وكذلك لم يعرف فى

انكلترا بصورة قانونية الا سنة ١٩٢٦ م وفى فرنسا صدر قانون التبنى سنة ١٩٢٣ . وتتطلب قوانين التبنى موافقة الآباء الطبيعيين للطفل اذا عرفوا على هذا التبنى ما داموا قد تنازلوا عن أبوتهم ، كما تتطلب موافقة الطفل نفسه ان كان مميزا .

ومن هذا يبين أن التبنى فى هذه القوانين يشمل نزع الطفل من عائلته الأصلية ونسبه المعلوم ، وتغيير اسمه الحقيقى الذى ينتمى اليه بحكم الدم ، وجعله منتميا نهائيا الى من تبناه ، وبذا يصير أجنبيا عن أهله الأصليين كما يشمل تبنى شخص مجهول النسب والحاقه بنسب المتبنى .

وقد عرف العرب فى الجاهلية نظام التبنى بصورتيه ، وبقى فترة فى صدر الاسلام ، ومن ذلك تبنى الاسود بن عبد يغوث للمقداد ابن عمرو بن ثعلبة ، وكان المقداد مع أبيه الأصلى يقيم فى حضرموت ، ولما كبر اعتدى على أحد شباب كندة وهرب الى مكة وحالف الاسود بن عبد يغوث الزهرى الذى تبناه .

وكذلك فقد تبنى أبو حذيفة بن عتبة سالم بن معقل من أهل الفرس ، كما تبنى الخطاب أبو الفاروق . عامر ابن أبى ربيعة بن كعب بن مالك ، وكذلك فقد تبنى محمد بن عبد الله قبل بعثه زيد بن حارثة . روى ابن عباس رضى الله عنهما أن زيد ابن حارثة كان فى أخواله بنى معن من طىء . فأصيب فى نهب وجىء به الى سوق عكاظ وانطلق حكيم بن حزام ابن خويلد إلى عكاظ يتسوق بها وكانت السيدة خديجة قد أوصته أن يشترى لها غلاما ، فلما وجد زيدا ابتاعه لها ، ولما تزوجها محمد بن عبد الله أعجبه حسنه فوهبته له فشب عنده حتى خرج مرة فى إبل لأبى طالب بأرض الشام فتعرف عليه قومه فاتوا معه الى سيده ومولاه محمد ابن عبد الله وقالوا له : أمنن علينا وأحسن الينا فى فدائه ، وإنا لندفع اليك فى الفداء ما أحببت ، فخيره سيده . فقال زيد : ما أنا بمختار عليك أحدا أبدا . أنت منى مكان الأب والعم . فما كان من سيده الا أن قال : اشهدوا أنه حر وانه ابنى يرثنى وأرثه . وبقى فى الجاهلية وصدر الإسلام يدعى زيد بن محمد .

وبعد فترة من بدء الرسالة وظهور الاسلام نزل قول الله تعالى : ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » ولذا فان ابا بكرة قال حينما نزلت هذه الآية : أنا ممن لا يعرف أبوه فأنا أخوكم فى الدين ومولاكم ، وبذا يكون الاسلام أبطل التبنى بنوعيه بعد أن علق بأذهان العرب وتحكم فى أوضاعهم .

والحكم بابطال التبنى حكم معقول المعنى تتطلبه سلامة المجتمع وسلامة الأسرة نفسها واتباع حدود الله . فالتبنى يخول للمتبنى الاختلاط بجميع أفراد الأسرة والاطلاع على عورات أفرادها ، ويحرم عليه التزوج من بنت متبنيه أو أخته مع أنها فى الأصل تحل له : ويحل له هذا التبنى أن يتزوج باخته الحقيقية وعمته مع أنها فى الأصل تحرم عليه ، كما أنه بحكم التبنى يصبح وارثا فى تركة المتبنى باعتباره ابنا له ويحجب غيره عن الأرث ممن يستحقون الأرث بحكم الله دونه ، وقد يكون الأب الحقيقى فقيرا وهذا الابن الذى نسب الى الغير موسرا فلا يستطيع أن يطالبه بنفقته مع أنها تجب له شرعا عليه . بينما يجبر ذلك الأب الجديد المتبنى ان كان محتاجا الى الانفاق

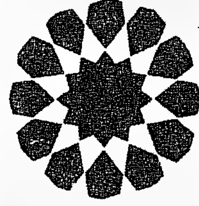
عليه . مع أنها لا تجب بحكم الشرع ، وكل هذا تغيير لحدود الله وخروج على أحكامه ، فوق انه تغيير لأحكام الطبيعة نفسها .

واذا كان فى التبنى ناحية إنسانية وإشباع للعاطفة ، فان الإسلام بعد أن نظم العلاقات الأسرية وبين أحكامها انتهى الى ان التبنى لم يكن له دور فى المجتمع الإسلامى الذى عنى بتشريع الأسرة ، وأباح تعدد الزوجات وحرم الزنى ، وعمل على حماية أفراده من الوقوع فيه ، وصبغ الصلة الرضاعية ببعض الأحكام الشرعية التى تربط الرضيع بأسرة من أرضعته ، وبعد أن وضع القواعد الخلقية التى أرست قاعدة الأخوة الدينية بينهم وبين مجهولى النسب ، ومع هذا فان التبنى كذب وافتراء على الله والناس وتغيير للطبيعة وخلق الله ، إذ كيف يخلق الله للإنسان نسبا طبيعيا من شأنه أن يتمسك به ويعتز ، فينخلع منه أو يخلع وينسب الى نسب آخر لا صلة له به ؟! ان فى ذلك افتئاتا على فطرة الانسان وتكذيبا لنشأته الأولى .

ولا ينبغى أن يقال إن فى التبنى إسعادا للطفل مجهول النسب ، لأن من يتبنى شخصا انما يمنحه من عطفه وإقباله وحنانه ما يشعره فيه بالحب ، ويعينه به على إظهار غرائزه وتنمية بدنه . اذ الواقع ان هذا يصطدم بالحقيقة النفسية ، فان كل هذه المظاهر متكلفة كثيرا ماتزيلها أدنى عقبة من العقبات التى تطرأ فتقلب أحيانا العطف الى قسوة ، وقد لمسنا ان كثيرا من هذه الصور اتصلت بمآسى أبرزها خيانة الولد لمتبنيه ، وتصرفه فى بيته وفى أمواله على ضوء هذا التدليل تصرفا يغير نظرة المتبنى اليه . فتكون الفظائع والفجائع ، وخاصة حينما يصارحه بالحقيقة أو يعلمها المتبنى من اى طريق .

فأين هذا من صلة الأبوة والبنوة الطبيعية التى تأبى على كل منهما ان يرعى حق الآخر بعاطفة الحب الغريزى مهما تقلبت الأمور . فاذا كان المتنبى يتكلف العطف ليرأب صدع ذلك الترقيع فان الأب كثيرا ما يتكلف القسوة ويتظاهر بها حرصا على صالح الابن ، حرصا منبعثا من خالص الحب . فكما يقول العرب قديما : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة . وهذا يصور الفرق ما بين الأب الحقيقى والأب الصورى .

وبعد . فان الذى يشرع للعباد إله رحيم ، يعرف مصلحتهم وان جهلوا هم هذه المصلحة ، وما دام قد خلقهم فهو الذى يتكفل باقامة مجتمعاتهم ورعايتها والتقنين لها ، وصدق الله العظيم « أفحسبتم انما خلقناكم عبثا .. » وصدق تعالت قدرته فى قوله : « لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا .. » .. وأخيرا فالحق أحق أن يتبع ، ولا يستقيم أمرنا الا باتباع حدود الله .



نظرية الشريعة الإسلامية في الاشتراك

الاشتراك جريمة مستقلة

للدكتور / احمد المجدوب

استحوذ موضوع المساهمة الجنائية على اهتمام المشرّع والفقه منذ عهود موغلة فى القدم ، أو بعبارة أخرى ، منذ أن قامت سلطة الدولة وتقرر حقها فى سن القوانين وفرض الجزاءات على من لا يلتزمون بما تتضمنه من أوامر ونواه ، ذلك انه قد اتضح منذ اللحظة الأولى وجود تفاوت فى أهمية وخطورة الأفعال التى يرتكبها المساهمون فى الجريمة ، بحيث يعتبر بعضها من الأسباب المباشرة فى وقوع الجريمة بينما يعتبرها البعض الآخر من الأسباب غير المباشرة فى وقوعها . وهو ما يجب أن يراعى عند توقيع العقاب على هؤلاء المساهمين بحيث لا يتساوون في شدة العقوبة أو قسوة الجزاء وإلا كان هذا منافيا لأبسط مبادىء العدالة .

ولكن هذا ليس معناه ان المجتمعات الإنسانية المختلفة قد واجهت مسألة التفرقة بين المساهمين فى الجريمة والتمييز بين نشاطهم الاجرامى فى مستوياته المختلفة بطريقة واضحة ومنهج سليم ، بل لعلها وقد ادركت وجود ذلك التباين لم تسع الى الاستفادة به فى الأخذ بما يسمى اليوم تفريد العقوبات تبعا لخطورة المساهمين فى الجريمة ، بل سعت الى البحث عن مبررات تستند اليها فى جعل عقوبة المساهمين فى الجريمة واحدة وبنفس الشدة بغض النظر عن التفاوت

فى درجة إجرامهم ، المتمثلة فى الأفعال التى ارتكبها كل منهم ، وكان مما زعمته فى هذا الصدد ، أن أعمال الشريك فى الجريمة ليست محرمة فى ذاتها وإنما تصبح كذلك نتيجة الاتصال بين الشريك والفاعل ، فمن يقدم المساعدة للقاتل ليس خاطئا ، وإنما يستمد الخطيئة ويكتسب الدنس — أى دنس الجريمة — من هذا القاتل .

وهذا التفسير مستمد من عادات ذات أصول قديمة كانت تقضي بأن الخطيئة تنتقل من شخص الى آخر سواء نتيجة وجود صلة قرابة أو علاقة جوار ، مما يؤدى الى انتقال الدنس (الخطيئة) بين الناس . وقد ظلت هذه الفكرة سائدة فى بعض الديانات التى يؤمن أتباعها بأن الخطيئة تورث ، وأن آدم عليه السلام قد أورث نسله — أى البشر جميعا — خطيئته فهم جميعا خطاة ، كما تأخذ بمبدأ الفداء والتضحية الذى بمقتضاه يمكن أن يفتدى شخص خطيئة الناس جميعا بنفسه ومن هنا جاءت فكرة وحدة الجريمة ، أى الخطيئة ووحدة الجزاء أو التضحية والفداء وهذا هو جوهر فكرة الاستعارة الاجرامية (١) .

وقد انتقلت هذه الفكرة الى القانون الرومانى ومنه الى القانون الكنسى ، ثم الى التشريع الفرنسى القديم ومنه الى قانون العقوبات الفرنسى الصادر سنة ١٨١٠ . وصيغت فى نظرية أطلق عليها نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة ، التى يرجع الفضل فى تجديدها الى الفقيه الألمانى فون بورى سنة ١٨٦٠ . وطبقا لها فان الشريك فى الجريمة سواء كانت صورة اشتراكه هى التحريض أو الاتفاق أو المساعدة ، لا تعتبر أفعاله هذه مجردة ومنفصلة عن النشاط الأصلى للفاعل ذات طبيعة اجرامية ولكنها تستعير هذه الطبيعة الاجرامية بارتباطها بالنشاط الصادر عن الفاعل الأصلى ومن ثم فان الشريك يسأل عن جريمة غيره التى اشترك فيها ، وتوقع عليه عقوبتها كما توقع على غيره من المساهمين فى الجريمة ، نظرا لوحدة الارادة الاجرامية لديهم التى يترتب عليها وحدة المسئولية بالنسبة لهم ، تلك المسئولية التى يتم تحديدها على أساس مدى خطورة الأفعال المرتكبة .

من هذا يتضح أن نظرية الاستعارة الاجرامية تستند الى فكرة غير صحيحة هى فكرة وراثة الخطيئة وفكرة المسئولية الجماعية . وهذه وتلك فكرتان لا يقرهما الاسلام بل يعارضهما بشدة طبقا لقوله تعالى : **« تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما اكتسبتم ولا تسألون عما كانوا يفعلون »** فنحن لا نسأل عما فعله أسلافنا لأن الخطيئة لا تورث . وكذلك لا يسأل شخص عما فعله غيره **« وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه »** كذلك فانه **« لا تزر وازرة وزر أخرى »** و **« ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى »** **« ولا تكسب كل نفس الا عليها »** **« ومن عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها »** و **« من يعمل سوءاً يجز به »** وهكذا يبدو مبدأ المسئولية الشخصية واضحا جليا بشكل لا لبس فيه فى الشريعة الاسلامية .

فاذا ساهم شخص فى جريمة ما فانه يسأل فى حدود ما أتاه من فعل يخالف به نهيا ، أو ما صدر عنه من امتناع يخالف به أمرا ، فهو يستقل بجرمه لا يستعيره من غيره وينفرد بخطيئته لا يستمدها من سواه .

فالاشتراك فى الجريمة سواء كان بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة هو جريمة مستقلة يسأل مرتكبها عنها وحده مستقلا بأوضاعه وظروفه وأحواله جميعا عن غيره من المساهمين فيها سواء كانوا فاعلين أو شركاء .

فنظرية أن الاشتراك جريمة مستقلة هي النظرية التى تحكم المساهمة الجنائية في الشريعة سواء كانت مساهمة أصلية أو مساهمة ثانوية . وهي نظرية واضحة المعالم ، متكاملة الأركان تستند كما أسلفنا الى موقف عقائدي يتعارض تماما مع الفكرة الأساسية التى تستند اليها نظرية الاستعارة الاجرامية في صورتها المطلقة والنسبية .

مضمون النظـــرية :

تقوم نظرية الاشتراك جريمة مستقلة على أســـاس أن الشريك لا يستعير إجرامه لا من الفاعل الأصلي للجريمة (نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة) ولا من الجريمة التى ارتكبها هذا الفاعل (نظرية الاستعارة الاجرامية النسبية) وإنما يستقل بجرمه ، بحيث يسأل عن فعل أنبتت صلته بالفعل الأصلي وبالفعل الثانوي الآخر اذا وجد وبالتالي يعاقب عن جريمة مستقلة عن جريمة سواه ممن ساهموا في الجريمة الأصلية .

فتقدير فعل كل شخص في الجريمة يتم على انفراد ، سواء من حيث تحديد التهمة المنسوبة اليه أو من حيث وصف الجريمة التى نشأت عن فعله ، وطبقـا لهذه النظرية لا يوجد فاعلون وشركاء بالمعنى الوارد فى نظريتي الاستعارة ، بـل يوجد عدد من الجناة وعدد من الجرائم .

والنتيجة المنطقية لهذا الوضع هي وجود نصوص في قانون العقوبات تحكم الأفعال المختلفة سواء منها ما يطلق عليه وصف مساهمة أصلية ، أو ما يطلق عليه وصف مساهمة ثانوية ، وبالتالي يزول الوضـع القائم في معظم قوانين العقوبات الآن والذى يخضع الفاعلين والشركاء في الجريمة الواحدة لنص واحد بالرغم من التباين الشديد بين نشاط كل منهم والتفاوت في درجة الخطورة لديهم ويترتب على تطبيق نظرية الاشتراك جريمـة مستقلة التغلـب على غالبيـة المشكلات التى أثارها تطبيق نظرية الاستعارة الاجرامية والقضــاء على معظم الصعوبات التى تسببت فيها .

نتائج نظرية الاشتراك جريمة مستقلة :

اولا : تتلافى النظرية النتائج المسرفة في الخطأ التى نشـأت عن استناد نظرية الاستعارة الاجرامية المطلقة الى فرض لم تتحقق صحته وهو أن نشـاط الشركاء ليس مجرما في ذاته ، وانما النشاط المجرم في ذاته هو نشاط الفاعل وهو ما أدى الى اعتبار نشاط الفاعل ــ كقاعدة عامة ــ ذو طبيعة اجرامية دائما واعتبار نشاط الشريك مجردا من هذه الطبيعة . وهي نتيجة لا يمكن التسليم بها لأن النشاط الذى يصدر عن الفاعل فيه ما هو مجرم بطبيعته وفيه ما ليس كذلك ، ولكنه يصبح غير مشروع لعدة أسباب ، بعضها يرجع الى قصد الفاعل ، أو الى عدم رضاء المجنى عليه ، أو الى طبيعة المحل الذى وقع عليه الاعتداء ، والبعض الآخر يرجع الى صفة خاصة في الفاعل أو الى الظروف التى يقع فيها الفعل .

ولذلك فان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تنظر الى فعل الشريك مستقلا عن فعل الفاعل وتسأل كل واحد عن فعله وفي حدود ما توفر لديه من قصد .

ففي جريمة السرقة ، اذا اشترك اثنان في نقب الحرز ثم انفرد أحـدهما بأخذ المال قطعت يد المنفرد منهما بالأخـذ دون الشريك في النقب (٢) . فالأول

يوقع عليه الحد لأنه السارق ، أما الثانى فلا يوقع عليه الحد لأنه لم يسرق وإنما توقع عليه عقوبة تعزيرية باعتبار أن ما ارتكبه هو جريمة تعزيرية تستقل عن جريمة السارق ، فيجلد أو يسجن .

ثانيـــا : ان القول بأن عمل الشريك ليس محـــرما فى ذاته من شأنه ان يحجب مالهذا العمل مجردا من تلك الصلة بينه وبين الفاعل الأصلى (الاستعارة المطلقة) أو بينه وبين فعل الفاعل الأصلى (الاستعارة النسبية) من خصائص نفسية ومادية ذات طابع اجرامى ، فالنشاط الصادر من الشريك قد يكتسب الصفة غير المشروعة من قصـــد الشريك نفسه وليس من قصـــد الفاعل وذلك بالنسبة للتحريض الذى يسبق فيه قصد الشريك فى الوجود قصد الفاعل — بل انه هو الذى يخلق القصد لدى هذا الفاعل . وفى الأحوال التى يكون فيها المنفذ حسن النية أو غير ذى أهلية جنائية ، فانه لا يمكن القول بوجود قصد اجرامى لدى الفاعل يمكن أن يكسب نشاط الشريك الطبيعة غير المشروعة .

وهو ما تجنبته نظـــرية الاشتراك جريمة مستقلة بفصـــلها بين الفاعل والشريك ومساءلتها كلا منهما على حدة فاذا حرض شخص آخر على قتـــل ثالث فقتله فان القاتل اذا كان صبيا لا يميز أو حسن النية لا يعلم أن طاعة المحرض لا تجوز فى القتل بغير حق ، وجب القصاص على الآمر أى المحرض لأن المأمور ههنا كالآلة للآمر (٣) .

وفيما يتعلق بالتحريض وأثره فى مسئولية المحرض عن الجريمة التى حرض عليها ، اختلف الفقهاء فى المكرَه والمكره ، وبالجملة الآمر والمباشر ، فقال مالك والشافعى والثورى وأحمد وأبو ثور وجماعة : القتل على المباشر دون الآمر (المحرض) ويعاقب الآمر ، وقالت طائفة : يقتلان جميعا ، وهذا اذا لم يكن هنالك إكراه ولا سلطان للآمر على المأمور ، وأما اذا كان للآمر سلطان على المأمور ، أعنى المباشر ، فانهم اختلفوا فىذلك على ثلاثة أقوال . فقال قوم : يقتل الآمر دون المأمور ، ويعـــاقب المأمور ، وبه قال داود وأبو حنيفـــة ، وهو أحد قولى الشـــافعى .

وقال قوم يقتل المأمور دون الآمر ، هو أحد قولى الشافعى . وقال قوم : يقتلان جميعا ، وبه قال مالك : فمن لم يوجب حدا على المأمور أعتبر تأثير الاكراه فى اسقاط كثير من الواجبات فى الشرع ، لكون المكرَه يشبه من لا اختيار له ، ومن رأى عليه القتل غلب عليه حكم الاختيار وذلك أن المكرَه يشبه من جهـــة المختار ويشبه من جهة المضطر المغلوب ، مثل الذى يسقط من علو والذى تحمله الريح من موضع الى موضع ، ومن رأى قتلهم جميعا لم يعذر المأمور بالاكراه ولا الآمر بعدم المباشرة . ومن رأى قتل الآمر فقط شبه المأمور بالآلة التى لا تنطق . ومن رأى الحـــد على غير المباشر اعتمد أنه ليس ينطلق عليـــه اسم قاتل الا بالاستعارة (٤) .

ثالثـــا : ان الشريك يعاقب حتى ولم يرتكب الفاعل الأصلى الجريمة التى قصد الشريك المساهمة فيها وهو ما لم تكن نظرية الاستعارة الاجرامية تتيحه ، لأن المسئولية الجنائية للشريك تتبع المسئولية الجنائية للفاعل الأصلى فى هـــذه النظرية . فيشترط أن تقع الجريمة والا فلا مسئولية لا على الفاعل ولا على الشريك ، وبالتالى لا عقاب على أحدهما . بعكس الوضع فى الشريعة الاسلامية حيث يعاقب على المعاصى ، فاذا كان فعل الشريك يدخل فىمعنى المعصية عوقب حتى ولو لم يؤد الى وقوع جريمة ، مثال ذلك من يحرض شخصا على قتل ثالـــث فان امتناع المحرض عن ارتكاب القتل لا يعفى المحرض من مسئوليته عن جريمة

التحريض ، وهى من جرائم التعازير . فتوقع عليه عقوبة تعزيرية .

رابعـــا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة لا تمد أثر الظـــروف ذات الطبيعة الشخصية التى تؤثر فى المسئولية كموانع المسئولية (صغر السن أو الجنون) أو عدم قيام القصد الجنائى الخاصة بالفاعل الأصلى الى الشريك ، ومن ثم فان الشريك فى الجريمة التى يرتكبها الصغير أو المجنون يسأل عن اشتراكه بالرغم من أن الجريمة لا تعتبر قائمة نظرا لعدم توفر العناصر الشخصية .

فاذا زنى الصبى أو المجنون بامرأة طاوعته فلا حد عليه ، ويجب الحـــد عليها ، وهو رأى زفر والشافعى وهو رواية عن أبى يوسف . واذا زنى صحيح بمجنونة ، أو صغيرة يجامع مثلها حد الرجل خاصة ، وهذا بالاجماع لأن العـــذر من جانبها لا يوجب سقوط الحد من جانبه . فكذا العذر من جانبه ، وهذا لأن كلا منهما مؤاخذ بفعله (٥) .

كذلك اذا توفر ظرف شخصى سواء كان مخففا أم مشددا ، فانه لا يمتـــد الى الشريك وإنما يقتصر أثره على من توفر لديه فاعلا كان أم شريكا ، ففى جريمة القذف اذا كان الفاعل فى الجريمة هو الزوج قد قذف امرأته بزنا وشاركه فى الجريمة شخص آخر ، فان للزوج بصفته هذه أن يدرأ الحد عن نفسه باللعـــان (واللعان هو أن يقول الزوج أربع مرات أشهد بالله انى لمن الصادقين ، ثم يقول وعلىّ لعنة الله ان كنت من الكاذبين .

وتقول المرأة أربع مرات أشهد بالله انه لمن الكاذبين ثم تقول وعلىّ غضب الله ان كان من الصادقين ،والدليل عليه قوله عز وجل : **« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شـــهداء إلا أنفسهم فشهادة أحـــدهم أربع شـــهادات بالله انه لمن الصادقين والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين »** .

فان أخل أحدهما بأحد هذه الألفاظ الخمسة لم يعتد به لأن الله عز وجل علق الحكم على هذه الألفاظ فدل على أنه لا يتعلق بما دونها ، ولأنه بيّنة يتحقق بهـــا الزنا فلم يجز النقصان عن عددها كالشهادة .

وإذا لاعن الزوج يسقط عنه ما وجب بقذفه من الحد أو التعزير ولا يســـقط عن الشريك ، أما إذا امتنعت الزوجة عن درأ الحد عن نفسها بالقسم فانها تعتبر مقرة بالزنا وتحد ولا يحد الزوج ولا الشريك فان تلاعنا ثم قذفها أجنبى حد لأن اللعان حجة يختص بها الزوج فلا يسقط به الحد عن الأجنبى فإن قذفها ولاعنها ونكلت عن اللعان فحدت فقد اختلف أصحابنا فيها فقال أبو العبـــاس : لا يرتفع احصانها الا فى حق الزوج فان قذفها أجنبى وجب عليه الحد لأن اللعان حجة اختص بها الزوج فلا يبطل به الاحصان إلا فى حقه (٦) .

كذلك فى جريمة الزنا إذا كان أحد الشريكين محصنا والآخر غير محصن فان عقوبة غير المحصن لا تشدد فعن أبى هريرة وزيد بن خالد الجهنى انهما قالا : « ان رجلا من الأعراب اتى النبى صلى الله عليه وسلم قال : يا رســـول الله انشدك الله الا قضيت لى بكتاب الله ، فقال الخصم وهو أفقه منه : نعم اقض بيننا بكتاب الله واذن لى أن أتكلم ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : قل ، قال : ان ابنى هذا كان عسيفا على هذا فزنى بامرأته ، وانى أخبرت أن على ابنى الرجم فافتديته بمائة شاة ووليدة . فسألت أهل العلم فأخبرونى إنما على ابنى جلد مائة وتغريب عام ، وان على امرأة هذا الرجم ، فقال الرسول عليـــه الصلاة والسلام : والذى نفسى بيده لأقضين بينكما بكتاب الله : أما الوليدة والغنم فرد عليك ، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ، واغد يا انيس على امرأة هـــذا

فان اعترفت فارجمها ، فغدا عليها أنيس فاعترفت ، فأمر النبى عليه الصلاة والسلام بها فرجمت (٧) .

كذلك إذا توفر النصاب الذى يجب فيه القطع فى جريمة السرقة فى حق أحد المساهمين ولم يتوفر فى حق الآخر فان الأول يعاقب بالقطع دون الثانى ، قال الامام مالك : « فى القوم يأتون البيت فيسرقون منه جميعا فيخرجون بالعدل يحملونه جميعا أو الصندوق أو الخشبة أو بالمكتل أو ما أشبه ذلك مما يحمله القوم جميعا ، إنهم اذا أخرجوا ذلك من حرزه وهم يحملونه جميعا فبلغ ثمن ما خرجوا به من ذلك ما يجب فيه القطع وذلك ثلاثة دراهم فصاعدا فعليهم القطع جميعا وقال : أما من لم يخرج منهم بما تبلغ قيمته ثلاثة دراهم فلا قطع عليه » (٨) أما أبو حنيفة فيشترط للقطع أن يكون النصاب عشرة دراهم (٩) ، فاذا كان أحدهم قد سرق أكثر من عشرة قطع ومن سرق دون ذلك لم يقطع .

خامسا : كذلك فى الأحوال التى يوجد فيها سبب اباحة ، فان نظرية الاستعارة الاجرامية تمد أثره الى جميع المساهمين فى الجريمة فيستفيد منه الشريك فى حين أن نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تجعل بعض المساهمين يستفيد من سبب الاباحة دون البعض الآخر .

فشريك الأب فى قتل الابن يجب عليه القصاص لأن مشاركة الأب لم تغير صفة العمد فى القتل فلم يسقط القود عن شريكه ، كمشاركة غير الأب (١٠) . والمعروف أنه فى الشريعة الاسلامية لا يجب القصاص على الأب بقتله ولده ، ولا على الأم بقتل ولدها ، لما روى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يقاد الأب من ابنه ، فاذا ثبت هذا فالأثبت فى الأم لانها كالأب فى الولادة .

سادسا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة من يشترك فى جريمة تقع كلها خارج اقليم الدولة : وهو الفرض الذى لم يتناوله قانون العقوبات الحالى ، فمن يحرض وهو فى مصر شخصا غير مصرى يقيم فى الخارج على ارتكاب جريمة فى البلد الذى يقيم فيه لا يعاقب اذا وقعت هذه الجريمة .

وهو نفس الوضع فى قانون العقوبات الفرنسى ، ففعل الاشتراك الذى يقع فى فرنسا وتكون الجريمة قد وقعت كلها فى الخارج — لا يعاقب عليه الشريك (١١) . وقد كان هذا الوضع من بين الأسباب التى أدت الى تعديل وصف جريمة اخفاء الأشياء المسروقة سنة ١٩١٥ فى قانون العقوبات الفرنسى بجعلها جريمة مستقلة واخراجها من نطاق الاشتراك (١٢) .

أما طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان فعل الشريك اذا كان معصية عوقب عليه بعقوبة تعزيرية .

سابعا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك حتى ولولم يكن المشرع يعتبر الفعل الذى ساهم فيه جريمة ، مثال ذلك الانتحار فهو ليس محرما فى تشريعات عديدة منها قانون العقوبات المصرى الحالى وقانون العقوبات الفرنسى والبلجيكى والألمانى ومن ثم فان الشريك سواء تم اشتراكه بالتحريض أو بالاتفاق أو بالمساعدة لا يسأل عن اشتراك فى جريمة لأنه ليست هناك جريمة .

أما فى الشريعة الاسلامية فإن تحريض شخص أو مساعدته على الانتحار معصية يعاقب مرتكبها بعقوبة تعزيرية .

ولعل من أهم النتائج التى يسفر عنها تطبيق نظرية الاشتراك جريمة مستقلة انها تمكن من العقاب على الاشتراك فى الزنا باعتبار أن فعل الشريك سواء كان تحريضا على الزنا أو مساعدة عليه أو اتفاقا بشأنه هو معصية لا شك فيها يعزر مرتكبها بعكس القوانين الوضعية التى لا تعـاقب عليه لأن القواعـد الخاصة بالاشتراك لا تنطبق على جريمة الزنا ، فمن يحرض زوجة على ارتكاب الزنا مع شخص ما لا يعاقب عن اشتراك فى الجريمة اذا ضبطا متلبسين لأن الاشتراك فى الزنا خاص لا يتم الاستناد فيه الى المبادىء العامة الواردة بالمادة ٤٠ عقوبات مصرى (م ٦٦ و ٦٧ عقوبات بلجيكى) (١٣) فالذى يمكن معاقبته فقط هو الفاعل مع غيره فى الجريمة المرتكبة من جانب المرأة الزانية (١٤) .

ثامنـا : ان نظرية الاشتراك جريمة مستقلة تمكن من معاقبة الشريك فى حالة مساهمته فى جريمة مما يتوقف اتخاذ الاجراءات فيها على شكوى . مثال ذلك أن يكون الفاعل فى جريمة السرقة ابنا سرق أباه أو زوجا سرق زوجته . فان الشريك سواء كان قد حرض على ارتكاب الجريمة أو ساعد على ارتكابها أو اتفق بشأنها يعاقب حتى ولو لم يتقدم المجنى عليه بشكوى لأن ما فعله الشريك هو معصية فى ذاته . وكذلك الحـال فى جريمـة الزنا التى يشترط لاتخـاذ الاجراءات بشأنها التقدم بشكوى من الزوج المضرور .

تاسـعا : كذلك تمكن النظرية من معاقبة الشريك الذى يخلق حالة الدفاع الشرعى ، كأن يحرض شـخص آخر على القيـام بعمل ينطوى على استفزاز لشخص ثالث يدفع هذا الأخير الى مهاجمة من صدر منه الاستفزاز فما يكون من هذا إلا أن يقتله دفاعا عن نفسه ، كل هذا بتدبير من المحرض ، فطبقا لنظـرية الاستعارة الاجرامية لا يعتبر فعل الدفاع الشرعى جرما وبالتالى فليس هنـاك نشاط أصلى معاقب عليـه يستعير منه الشريك اجـرامه . ولكن طبقا لنظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان الشريك الذى خلق بنشاطه حالة الدفاع الشرعى يعتبر مرتكبا جريمة يعاقب عليها .

وقد قضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى واقعة مماثلة بأن تحمل الزوجة دية عشيقها الذى مكنته من التخفى بمسكنها للاعتداء على زوجها فما كان من هذا الأخير إلا أن قتله حين هم بالاعتداء عليه لأنها هى التى عرضته للقتـل وتسببت فى ازهاق روحه . وكانت أولى بالضمان من الزوج المباشر للقتل لأن هذا القتل كان مأذونا به فى حالة دفاع عن النفس والحرمة ويقول ابن القيم : « فهـذا من أحسن القضـاء الذى لا يهتدى اليـه كثير من الفقهـاء وهـو الصواب » (١٥) .

النظرية فى الفقه والتشريع الغربيين :

هذه هى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة وتطبيقاتها فى الشريعة الاسلامية اما فى الغرب فقد ظهرت النظرية لأول مرة فى المؤتمر الدولى لقانون العقوبات الذى انعقد سنة ١٨٩٥ فى مدينة (Linz) أى بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا من ظهور النظرية فى الشريعة الاسلامية حيث اقترح كرارا بمناسبة مناقشة موضوع المساهمة فى جريمة قتل الأصول ، الاهتمام بدراسة المتهم وليس الجريمة التى ارتكبها والتى ليست فى الواقع سوى الفرصة التى أتاحت الامساك به .

وقد لاقت هذه الأفكار ترحيبا فى كثير من الدول التى بادرت الى الأخذ بها فى تشريعاتها العقابية ومنها قانون العقوبات النرويجى الذى وضعه الفقيه (Getz)

سنة ١٩٠٢ والذى صرح بأنه طالما لا يجـوز مساءلة الشـخص إلا عما ارتكبه شخصيا كما تقرر ذلك المبادىء العامة ، فانه يجب كذلك الا يسأل الشريك إلا عما قام به شخصيا من افعال بصرف النظر عن أفعال غيره ممن ساهموا معه فى الجريمـة .

وقد أخذت بهذه النظرية بالاضافة الى قانون العقوبات النرويجي الصـادر سنة ١٩٠٢ ، قانون العقوبات الايطالى الصادر سنة ١٩٣٠ ،وقانون العقوبات السويسرى سنة ١٩٣٧ ومشروع قانون العقوبات الفرنسى سنة ١٩٤٣ ، وقانون العقوبات المكسيكى سنة ١٩٣١ والبرازيلى سنة ١٩٤٠ والدانمركى .

كذلك ايد هذه النظرية جانب كبير من الفقهاء مثل فويرباخ وكرارا وفون لست ونيكولا دونى (١٦) وبالرغم من الانتقادات التى وجهها أنصار نظرية الاستعارة الى نظرية الاشتراك جريمة مستقلة فان ذلك لا يحول دون التسليم بأن هـذه النظرية قد حققت مزايا كثيرة تعتبر من عناصرها الأصلية بعكس نظرية الاستعارة التى لجأت الى اصطناع حلول أو بالأحرى استعارتها بالرغم من أنها تتعارض أصلا مع منطقها والملاحظ بصفة عامة أن سلطان نظرية الاستعارة سواء كانت مطلقة أو نسبية قد بدأ ينحسر لأن التشريعات العقابية لم تعد اليوم كما كانـت بالأمس تميل الى اعتناق نظرية أو مذهب معين بشأن وضع الشريك فى الجريمة ، فالتطور المستمر الذى تمر به التشريعات جعلها تستمد القواعد التى تتلاءم مع سياستها العقابية من مختلف النظريات بحيث لا يتاح للشريك أن يفلت من العقاب نتيجة استفادته من التغييرات التى توجد فى النظرية الواحدة ، وقد أدى هـذا التطور الى افقاد نظرية الاستعارة الاجرامية لكثير من الأرض التى كانت تقف عليها لمصلحة نظرية الاشتراك جريمة مستقلة التى اتسعت الرقعة التى تسيطر عليها من قانون العقوبات . فلعل هـذا يشجع رجال الفقه وشراح القـانون المسلمين على اعادة النظر فى موقفهم من أحكام الشريعة الاسلامية وأعمـال الفقهاء المسلمين التى تثبت كل يوم أصالتها وتؤكد دقتها وسلامتها .

---

(١) أنظر مزيدا من البيانات ، جاك ليوتيه : المساهمة الأصلية ، الاشتراك والتحريض فى القانون الفرنسى ، المجلة العقابية السويسرية سنة ١٩٥٧ ، ص ١ وما يليها .

(٢) الاحكام السلطانية للماوردى ص ٢٢٧ .

(٣) المهذب جـ٢ ، ص ١٧٨ .

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٣٩٦ .

(٥) الهـداية ، جـ ١ ص ١٠٣ .

(٦) المهـذب ، جـ ١ ص ١٢٧ .

(٧) بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، جـ ٢ ص ٤٣٦ .

(٨) الموطـا ص ٥٢٢ .

(٩) الهـداية ، جـ ٢ ص ١١٩ .

(١٠) المهـذب ، جـ ٢ ص ١٧٥ .

(١١) فيدال ومانيول : دروس فى القانون الجنائى وعلم العقاب جـ ١ ص ٥٦٨ .

(١٢) دالوز جـ ١ ، قسم ١ ص ٤٥٥ وما يليها .

(١٣) نيبلس ، قانون العقوبات البلجيكى فقرة ٣٨٩ رقم ٩ .

(١٤) جارو الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات الفرنسى جـ ٤ رقم ٥١٧ .

(١٥) محمود الباجى ، المرجع السابق ص ٨٤ .

(١٦) بوزا : الشرح النظرى والعملى لقانون العقوبات جـ ١ رقم ٧٢٨ ص ٤٩٤ .

العلمانية في مرحلتها الثانية في الفكر الأوروبي وهي تمثل الاستئثار بالسلطة

للدكتور محمد البهى

٢ ــ المرحلة الثانية للعلمانية فى القرن التاسع عشر : ــ

وهى مرحلة العهد المادى ، أو ما يسمى « بالثورة العلمانية » .. مرحلة الجناح اليسارى من مدرسة هيجل فى القرن التاسع عشر .
وقد قيم مؤرخ الفلسفة :.K. Lowith (فى كتابه : Von Hegel Bis Nietzsche) « من هيجل ــ الى نيتشة » سنة ١٩٥٠) أصحاب العهد المادى والثورة العلمانية بأنهم قد انحرفوا فى التوجيه ، ونقلوا معارفهم الأكاديمية الى المعارف الصحفية ،

تحت ضغط الظروف الاجتماعية . واصبحت وظيفتهم هى وظيفة الكاتب : يقع تحت التبعية المستمرة للناشرين ، ومن يعطون المال ، والجمهور ، والرقابة . وكتابتهم هى : بيانات ، وندوات ، وبرامج ، وادعاءات . ومظهرهم العلمى أصبح تبليغا حماسيا للناس ، كما أصبحت لهجتهم تنطوى على الاثارة .

ولكن كتابتهم لا تترك الا ذوقا قليل الطعم . لأنهم يدعون ادعاءات عريضة لا حدود لها ، مع فقر وسائلهم . والعالم بعد سنة ١٨٣٠ أصبح قبيحا وفاسدا . ولو قيس العقل الجديد فى عهد الثورة العلمانية بمقياس تاريخ العقل عند هيجل .. لعد نمطا من تحويل الفكر الى همجية وبربرية . اذ أصبح مضمونه الآن : عجرفة .. وميولا فاسدة .

* فيرباخ Feuerbach (١٨٠٤ — ١٨٧٢) :

ويعتبر من أهم المؤسسين لفكر الثورة العلمانية فى القرن التاسع عشر : فيرباخ . اذ يمكن للانسان عنده : أن يدرس مرحلة الانتقال من دين أرضى طبيعى صاف بعيد عن السماء .. الى المادية المتطرفة . فقد بدا واضحا : **أنه يشلح الاله المسيحى تاجه ، ويطيح بالثنائية بين الدين الغيبى والعالم المشاهد ، وكذلك بين الكنيسة والدولة** . وذلك فى رسالته التى كتبها عن هيجل .

وفى نقده لفلسفة هيجل فى سنة ١٨٣٩ : تحدث عن عدم الجدوى من فكرة (المطلق) — وهى الله — وذكر أن المطلق عند هيجل ليس الا العقل المفارق للاهوت .. ذلك العقل الذى يشبه فى فلسفته (هيجل) : الخيال الطائف .

وفى رسالته : « لإصلاح الفلسفة ، والمبادىء الأساسية لفلسفة المستقبل » .. سار قدما فى الطريق .. نحو الايمان بالمحسوس وحده ، وبالمادية الهوجاء . وبالأخص فيما كتبه فى هذه الرسالة تحت عنوان : « طبيعة المسيحية » سنة ١٨٤١ .

والمذهب المثالى عند هيجل — فى نظر فيرباخ — ليس الا غطاء للاهوت « ومن لا يتنازل عن فلسفة هيجل ، لا يتنازل عن اللاهوت » . فرأى هيجل — فى نظر فيرباخ — بأن الواقع والطبيعى نشأ عن « الفكرة » هو التعبير العقلى فى تعاليم اللاهوت : بأن الطبيعة نشأت عن الله . ويقول — متحديا ذلك — : إن الدين اللانهائى ، وكذلك الفلسفة ، ليس فى الواقع الا تحديا حسيا نهائيا ، ولكن فيما وراء الضوء . فبداية الفلسفة لا يمكن أن تكون الله ، أو الوجود بدون موجود . ولكن بدايتها فقط : النهائى ، والمحدد ، والواقع . **ويجب أن تكون المادية ، أو مذهب الحس** فى موضع الدين الغيبى (أى الموحى به من عند الله) وفيما وراء الطبيعة . والواقعى ، والحقيقى ليس : الله ، ولا الوجود بدون الموجود ، ولا : المفهوم والمعنى . ولكن الموجود : هو المحس .

والانسان هو الموجود الالهى ، وليس الله . والدين الجديد هو : السياسة بالطبع ، وليس المسيحية . والسياسة يجب أن تكون ديننا . ولكن لا يتحقق ذلك الا اذا كان هناك شىء أعلى فى نظرنا يحول السياسة الى دين . وهذا الشىء الأعلى هو : الانسان . ولكن ليس الانسان الفرد . لأن الانسان الفرد يظل دائما انسانا أرضيا مفتقرا . ولذا يجب أن تكون : « جماعة العمل » ، هى المعبود وفى مكان العبادة .

والله ، والدين ليس اى منهما أساس الدولة . وانما اساسها : الانسان وحاجته . ليس الايمان بالله ولكن الشك فى الله يجب أن يكون العامل فى قيام الدولة . والايمان الذى يجب أن يتوفر هو : ايمان الناس بذواتهم انفسهم وببعضهم

بعضا . لانه اذا بقى الله هو السيد ، والرب .. فان الانسان سيظل واثقا به ، بدلاً من أن يثق بالناس . والباقى لنا هو الانسان وحده .

ولهذا : فالدولة هي مضمون الواقع كله .. هى الطبيعة العامة أو الانسانية .. هى الحامية والواقية للانسان . **وبهذا تصبح الدولة** مناقضة للدين . **« وان الالحاد العملى هو الرباط بين الدول »** .

والناس يلقون بأنفسهم على السياسة فى الوقت الحاضر — هكذا يذكر فيرباخ — لأنهم يعرفون : أن المسيحية كدين تشل فاعلية الانسان السياسية . وتسمى هذه النظرة — من جانب أتباع فيرباخ — التى تنقل الانسان الى مكان الله فى العبادة ، وتقام الدولة عليها ، وتصنع التاريخ : بالمذهب الانسانى الالحادى .. !

* ماركس Marx (١٨١٨ — ١٨٨٣) :

وفيرباخ يعتبر معبد الطريق التى سلكها كارل ماركس مع زميله : انجلز ، نحو تأسيس ما يسمى بالمادية التاريخية ، الاستنتاجية : (Dialekisch) . وتعود تلامذة ماركس بأن يلقبوه : « بأبى الاشتراكية العلمية » . وماركس تأثر أولا بفلسفة هيجل ، ثم عن طريق تأثره « بفيرباخ » .. تحول الى اليسار المتطرف لفلسفة هيجل . وقد درس الاشتراكية أيضا فى فرنسا ، وتعرف هناك على « انجلز » . وعن طريقه ذهب الى انجلترا ، ودرس المشاكل الاقتصادية ، كما تأثر بالأوضاع الاجتماعية السيئة التى كانت للطبقة العاملة هناك . وفى سنة ١٨٤٨ وضع : « البيان » الشيوعى فى مدينة بروكسل ، بالاشتراك مع «انجلز» .

وتآليفه : العائلة المقدسة ، والايديولوجية الالمانية ، وشفاء الفلسفة ، وراس المال . وقد نعت ماركس نفسه : بأنه تلميذ لهيجل عكس عليه وضع فلسفته : فهيجل نظر الى العالم من « أعلى « لأن « الفكرة » عنده هى مبدأ العالم ، وما عداها تابع فى الظهور لها ، أو لما يسمى : بالمفهوم ، أو بالعقل العام . والطبيعة المادية هى عنده صفحة أخرى « للفكرة » وحدها . بينما يرى ماركس : أن الحقيقة المادية وحدها هى بداية العالم ، وهى كذلك : الواقع الصافى الجازم ، وما عدا الحقيقة المادية مما له طبيعة : « الفكرة » كالعادة ، والخلقية ، والقانون والدين ، والثقافة .. هو تابع فى الظهور الاضافى لتلك الحقيقة المادية .

و « المادية » عند ماركس تختلف عن « المادية » عند الآخرين من أصحاب اليسار من تلامذة هيجل .. حتى عن « المادية » عند فيرباخ : استاذه ومعبد الطريق له .. المادية عند ماركس هى المادية **العملية ، التاريخية ، الالحادية** .

وفى نقد ماركس للمادية عند فيرباخ يرى : أن المادية التى قال بها فيرباخ هى : عوض عن المذهب الحسى ، الذى ينظر الى العالم الطبيعى على أنه مجعول يقبل قبولا سلبيا ، وليس على انه انتاج للعمل الانسانى المحسوس (الاقتصاد) أو على أنه يدرك : على أنه عمل .

والنظرة المادية لماركس هى نظرة راديكالية (متطرفة) استخدم فى شرحها عدة مبادىء من فلسفة هيجل .. استخدم فيها :

أولا : — مبدأ الباعث على التطور الدائم ،

وثانيا : — مبدأ رفع المتناقضات ،

وثالثا : — مبدأ التقدم نحو جديد ، وان لم يكن أحسن .

.. كما اختار التطبيق « الثلاثى » فى فلسفة هيجل (وهو الدعوى ، ومقابل الدعوى ، والجامع بينهما) مجال : النظام الراسمالى كدعوى ، والطبقة العاملة

كمقابل للدعوى ، والمجتمع الشيوعى اللاطبقى كجامع بين الدعوى ومقابل الدعوى .

وبسبب هذا الاختيار يعتبر كارل ماركس (ثوريا) وليس فيلسوفا . اذ الفلسفة فى نظره : وسيلة مختارة لاتجاهاته السياسية .

والمادة التى تقصدها المادية الماركسية ليست مادة بعيدة عن النشاط الانسانى . فالمادة التى تحدد — فى رأيه — النظرة الى العالم ، أو الى التاريخ ، وكذلك ما يحدد على العموم : التفكير ، والعمل ، والسلوك للانسان .. هى مادة متصلة بنشاط الانسان ، أو هى انسان فى صلته بالمادة (هى الاقتصاد) .

* ماركس والمسيحية :

ويرى ماركس : ان هدم المسيحية مقدمة ضرورية لبناء عالم يكون الانسان فيه سيد نفسه . ولكن لا ترفض المسيحية وحدها ، **بل معها يرفض كل دين كذلك .** اذ الدين يسلب الانسان وعيه بمأساته وشقائه فى الوقت الذى يمنيه فيه بعالم افضل . « ان الدين هو افيون الشعب » . ولذا — فى نظر ماركس — يجب أن يذكر الشعب دائما : بأن الدين ليس انتاجا للانسان . انه تفكير الانسان واحساسه ، ذلك الانسان الذى لم يتكسب بعد ، أو الذى أصبح بالفعل ضائعا .

وفى نظر ماركس : الطبقة التى تملك ، والأخرى التى تعمل ، كلتاهما تمثلان وضعا شاذا فى الانسانية . ولكن الرأسمالية — كما يرى — تحس نفسها بخير فى عدم انسانيتها .

وهنا تنشأ مهمة الطبقة العاملة ، وهى : أن لا تخدع بالدين، وان لا تتراخى فى الصراع ضد الرأسمالية بسببه . فهذه الطبقة العاملة يجب أن تكون على ذكر دائم بمأساتها ، كى تزيل وضعها الشاذ فى الانسانية ، كما تزيل ذلك الوضع الشاذ الآخر للرأسمالية فى الانسانية .

وايمان كارل ماركس بفكرة التقدم (التقدمية) — كما كان الحال فى القرن التاسع عشر يرجع الى عاملين :

العامل الأول : — ما توحى به فلسفة هيجل بأن كل تطور هو تقدم ، أى هو خطوة الى الامام ، وان لم يكن ليس بلازم أن يكون أحسن .

العامل الثانى : — أن مدح التقدم والتبشير به يعتبر من عدة (التأثر) . وماركس كان ثائرا أكثر منه فيلسوفا .

وتتلخص الماركسية — وهى العناية بفلسفة ماركس ، وانجلز — فى عدة مبادىء :

المبدأ الأول : — المادية التاريخية ، الاستنتاجية ، من الوجهة الفكرية والنظرية .

المبدأ الثانى : — الالحاد ، واستخدام المنهج العلمى فى تحقيقه ،

المبدأ الثالث : — صراع الطبقات ، للوصول الى مجتمع لا طبقى .

وتتبع هذه المبادىء عدة موضوعات أخرى فى الاقتصاد ، على نحو ما نذكر فى كتاب « رأس المال » . وأهمها ما يخص فائض القيمة ، الذى هو الفرق بين ما يدفع للعامل من رجل الصناعة ، وما تباع به السلعة المصنعة فى السوق الحرة . ويرى ماركس فى فائض القيمة : أن الرأسماليين يدفعون للعامل أجرا ، على نحو يحفظ له قدرته على العمل فقط — ويسميها ماركس بالقيمة الخادعة — بينما قيمة الربح فى انتاج العامل فى السوق الحرة أكثر من ذلك . وفائض القيمة يخفيه الرأسمالى . وهنا يكون معنى الرأسمالية مساويا لمعنى الاستغلال للعامل . والرأسمالى يرغب فى ذلك ، لأنه يملك وسيلة الانتاج . والرأسمالى

من غير أن يجهد نفسه فى عمل .. يصل عن طريق استغلال الشعب العامل الى تكديس الثروة باستمرار . ولكن هذا التكديس نفسه ــ كما يتنبأ ماركس ــ سيؤدى الى الاكراه على نزع الملكية الخاصة من المكدسين .

لأن هؤلاء المكدسين هم الذين أوجدوا الطبقة العاملة ، ثم عن طريق هذا التكديس عكسوا الآية فأساءوا الى العمال .

واذا صارت الطبقة العاملة على وعى بوضعها اللانسانى فانها ستتقدم الى الكفاح : فتمسك بسيطرة القوة ، وتنزع الملكية الخاصة ، وتبعد التناقض القديم بين الراسمالية والطبقة العاملة ، وتذيب هذا التناقض فيما يجمع الطرفين ، وهو المجتمع اللاطبقى .

وهذا هو اتجاه الماركسية الأرثوذكسية التى تعرف بالبلشفية فى الوقت الحاضر .. وهو المفهوم الذى أعطاه لينين ــ واستالين من بعده ــ للماركسية .

* ولكن هناك جناح آخر للماركسيين فى غرب أوربا ، وهو الجناح المعتدل أو المتئد .. هو جناح غير المقلدين من الذين يستخدمون : الاختبار والامتحان فى قبول النظريات أو فى رفضها .. هم من يعرفون بجناح الـ : Revisonistes
وقد يوصفون بالمرتدين تنديدا بهم ، من أمثال : E. Bernstein, K. Kautzky
K. Vorlandes

وهذا الجناح ترك فلسفة ماركس فى التطبيق ، لأنها فى نظره تقوم على ادعاءات لا دليل عليها . ثم يعنى بتحسين الوضع الاجتماعى للعمال ، كعمال . فالحزب الاشتراكى الديمقراطى فى المانيا تنازل بصراحة عن المادية التاريخية . والمنظمات العمالية الاشتراكية فى : فرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، وانجلترا ، واسكندنافيا .. يصدرون الآن فى نظرتهم الى تحسين الوضع العمالى عن مبادىء فلسفية واقتصادية أخرى .

* وأسس التفكير الفلسفى الماركسى تمثل فى واقع الأمر نظرة القرنين : السابع عشر ، والثامن عشر .. الى العالم . وهى النظرة الميكانيكية ذات الصلة بعصر التنوير فى فرنسا ، وبالمذهب الوضعى ، وبالمادية فى البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر .

وقد قذف الماركسيون بأنفسهم الى .. مادية البحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، كما تقذف صبية الفلاحين الى مصنع فى مدينة كبيرة . وهنا يفهم : إنه هنا كانت كذلك : (ثورة) فقد اعتاد الانسان (الماركسى) : أن :

أ ــ يرجع العقل .. الى العاطفة ،

ب ــ والأخلاق .. الى المنفعية ،

.. واعتاد أن ينظر :

أ ــ الى الانسان .. على انه حيوان فى مستوى أعلى ،

ب ــ والى الشعب .. على انه كومة من الخلايا ــ أو الذرات الانسانية ــ بحيث لا يحكمها هنا الا ذلك القانون الطبيعى ، وهو قانون : الضغط ــ والدفع ، أو السبب ــ والمسبب .

ولكن النظرة التى قامت عليها : مادية البحث الطبيعى ، وهى النظرة الميكانيكية .. اصبحت الآن خارجة عن دائرة الاعتبار . لأن هذه النظرة ترى : أن الوجود ذو جانب واحد ، بينما هو متعدد الجوانب . فالانسان يبدو فى طبقات الحياة النباتية والحيوانية ــ دون ما عداه فيها ــ صاحب امكانيات عديدة ــ ولذا : فله من طبيعته : الحرية والمشيئة والاختيار . ومن أجل ذلك يمكن أن يقال : ان حتمية السببية ــ والسببية هى أصل النظرة الميكانيكية ــ للطبقة العضوية

هى ظاهرة احصائية فقط . اى ليست ظاهرة صحيحة بالنسبة لطبيعة الانسان .

وكما نقدت هذه النظرة الميكانيكية للبحث الطبيعى فى القرن التاسع عشر ، والتى تأثر بها ماركس فى مذهبه المادى التاريخى . . نقد ايضا أساس ما تميزت به : « ماديته » وهى المادية العملية . . نقد ذلك الادعاء الذى يرى : أن الاقتصاد هو اصل الوجود الفكرى ، والنفسى ،والاجتماعى ، والمادى :

فقد وضع ماكس ويبر .MARX WEBER (١٨٦٤ — ١٢٩١) فيما سبق أن اشرنا — فى كتابه . « البحوث الدينية الاجتماعية » (ثلاثة أجزاء — ١٩٢٠) .

أ — ان الدين عند الهنود ، والصينيين ، واليهود . . لم يقم على أساس اقتصادى ، كما يحاول ماركس : أن يشرح كل شىء فى الوجود . . حتى الدين ، والأخلاق ، والفكر . . من الاقتصاد . ولكن الفكرة الدينية وحدها فى هذه الأديان الثلاثة هى التى حددت البناء الاجتماعى لشعوب هده الاديان .

ب — وان التفكير الكنسى كان له تأثير على المجتمع والاقتصاد فى القرون الوسطى ،

جـ — وان الراسمالية المعاصرة قامت على الايديولوجية الخاصة بـ كالفن .Calvin (١٥١٩ — ١٥٦٤) ، وتحت تأثير أصحاب « النزعة الخالصة » فى المسيحية من البروتستنت ، فى انجلترا منذ القرن السادس عشر Puritaners وليست الراسمالية هى التى خلقت هذه الايديولوجية .

ويستمر « ماكس فيبر » فى نقده لفكرة نشأة الوجود عن الاقتصاد فى مادية كارل ماركس فيتساءل :

د — هل يمكن أن تكون الحقائق الرياضية ، والمنطقية تابعة لأسس مادية ؟

هـ — اليست هذه الحقائق هى هى ، فى كل وقت ، وفى كل الظروف ؟

* لينين فى تطبيق الماركسية (١٨٧٠ — ١٩٢٤) :

ان ماركس كان ذا صلة بالثوار الروس منذ وقت سابق . وفلسفته منذ سنة ١٨٧٠ كانت تناقش وتدرس فى روسيا . والمؤسس فى الواقع للماركسية الروسية هو .Pechanow (١٨٥٦ — ١٩١٨) عندما كان مهاجرا بجنيف . ففى سنة ١٨٨٠ اسس أول مجموعة ماركسية فيها ، تسمى نفسها : « رابطة تحرير العمل » . وتبع تأسيس هذه المجموعة قيام مجموعات اخرى على غرارها فى روسيا . وانضم بعضها الى بعض تحت شعار : « اتحاد الكفاح من أجل تحرير الطبقة العاملة » .

وفى سنة ١٨٩٨ عقد أول مؤتمر للماركسيين فى مدينة مينسك .Minsk ، وعقد المؤتمر الثانى فى بروكسل — ولندن سنة ١٩٠٣ .

ولينين هو الذى حول الماركسية الى عقيدة للحزب . واصبحت الماركسية تسمى بالبلشفية فى عالم السياسة ، بينما تسمى بالمادية الاستنتاجية فى عــالم الفلسفة . والبلشفية اذن **هى « الدين الجديد » بديلا عن المسيحية .**

وفى نظر لينين يجب أن تخدم الفلسفة « الواقع » . **والواقع — عنده — هو: « الحزب »** . وفى مقال له تحت عنوان : « الاشتراكية والدين » كتب : « **أن الدين هو أفيون الشعب . وأن الدين نوع ردىء من خمرة العقل التــى تحجب ذاكرة الأرقاء لراس المال : عن أن يعوا وجه انسانيتهم ، ومطالبتهم فى : وجود انسانى ، على منتصف طريق الانسانية .**

ومع هذا : فالرقيق الذى يكون على وعى برقه ، ويقوم للكفاح من اجل تحرير نفسه . . انما يكون قد وصل الى منتصف الطريق نحو الخلاص والتحرر

النهائى . **والعامل الحديث الذى يسكون على وعى بطبقيته ، والذى تخرج فى المصنع الكبير وعلى بصيرة بطريق حياة المدنية .. يبعد عن نفسه بكل احتقار : الامتيازات الدينية ، تاركا للسماء .. أصحاب الدرجات العالية من القساوسة ، ومن المدنيين الصالحين ، من أجل استخلاص حياة أفضل على الأرض هنا .**

واذ يوافق لينين على انه يجب ان يكون الدين امرا شخصيا — كما هو متعود أن يقال فى دائرة الماركسيين — فانه يوافق فقط **بالنسبة للدولة ووضعها . أما الحزب فيجب أن يمارس أعضاؤه الالحاد . اذ الحزب عدو لدود للدين .** أما الدولة فيجب أن تكون محايدة ، على معنى : انها لا تهتم بالدين ، وأن لا ترتبط به ، وأن يكون عديم المغزى لديها بالنسبة للمواطن فلا تسأله عن مذهبه الدينى . **وحياد الدولة بالنسبة للدين هو انفصال كامل بين الكنيسة والدولة .**

* * *

وفى مرحلة العلمانية المتطرفة ، أو ما تسمى بمرحلة اليسار المتطرف فى مدرسة هيجل ، نرى :

اولا : — أن « علمانية » فيرباخ — وهى التى تتمثل فى مذهبه الانسانى الالحادى — هى : الغاء الدين ، اى دين ، وليست فصلا بينه وبين الدولة بمفهوم العلمانية فى مرحلتها الاولى ، واحلال « الانسان العام » (جماعة العمل) فى العبادة محل الله .

وثانيا : — ان علمانية ماركس — وهى التى تتمثل فى المادية ، التاريخية ، الالحادية — هى : هدم الدين كمقدمة ضرورية لقيام عالم يكون فيه الانسان سيد نفسه . وتنتهى سيادة الانسان الى سيادة المجتمع والدولة . ووضعهما بالنسبة للأفراد هو وضع المعبود الخالق من الأفراد المخلوقين .

وثالثا : — ان علمانية لينين ينتهى أمرها الى الغاء المسيحية كدين ، ووضع البلشفية — وهى الماركسية اللينية — كدين جديد ، بدلا منها . وهذا الدين الجديد يجب أن يكون فى خدمة (الواقع) الذى هو (الحزب) . والحزب يأخذ الآن فى هذا الدين الجديد مكان (العبادة) عوضا عن الله فى المسيحية ، ومكان القداسة عوضا عن الكنيسة .

* * *

* وهنا نجد — بعد استعراض مجمل لاهم خصائص الفكر الفلسفى العلمانى فى أوربا —

أولا : — ان دافع « العلمانية » فى القرنين السابع عشر ، والثامن عشر كان هو : **التنازع على السلطة بين الدولة والكنيسة** . ولذا كان الفصل بين السلطتين هو : الحل الفلسفى ، أو الرسمى لهذا التنازع .

ثانيا : ـــ ان الدافع عليها فى القرن التاسع عشر ، أو فيما يسمى بين اليسار الثورى او المتطرف فى مدرسة هيجل ، **هو الاستئثار بالسلطة** . ولذا : كانت العلمانية غير مساوية لمفهوم الفصل بين الكنيسة والدولة . بل كانت الغاء للثنائية ، بهدم الدين كمقدمة ضرورية للوصول الى « السلطة المنفردة » التى هى سلطة « جماعة العمل » او « المجتمع » أو « الدولة » أو « الحزب » ، حسب تحديد بعض هؤلاء اليساريين المتطرفين .

ثالثا : ـــ ان البحوث الطبيعية والتقدم العلمى بالتدريج منذ نهاية القرون الوسطى هى التى جرأت ارباب هذا الفكر العلمانى على الخروج على وصاية الكنيسة ، وعلى الاستقلال فى النشاط الانسانى وحركة المجتمع عن أى رأى يصدر منها .

رابعا : ـــ ان الفكر الفلسفى العلمانى ـــ سواء فى مرحلته الأولى ، أو الثانية ـــ لم يسلم فى أوربا من مواجهة فكر فلسفى آخر معارض . فقد قامت مدرسة كمبردج بمعارضة هوبز ، أشد المفكرين العلمانيين صلابة ضد الكنيسة فى مرحلة العلمانية الاولى ، كما قام كثيرون فى المرحلة الثانية منها بمعارضة المادية عند فيرباخ ، والمادية التاريخية عند ماركس ، وبنقض الأسس الفلسفية التى تبناها الاتجاه المادى المعاصر سواء : أكانت أسسا تنتمى الى البحث الطبيعى أو الى دائرة الاقتصاد . وابرز المعارضين لهذا الاتجاه المادى كتلة المنشقين اليساريين من أتباع : برنشتين .Bernsein الذين لقبوا من أعدائهم اليساريين .. بالمرتدين . ثم ما قام به فى القرن العشرين من معارضة : الفيلسوف الاجتماعى الالمانى : ماكس فيبر لأساس الاقتصاد بصفة خاصة . وبلغ من تأثير ما نالته المعارضة من هذا الاتجاه المادى : ان اصبح يوصف فى الفكر الأوربى نفسه « بالثورية » دون أن يوصف « بالفلسفى » .. الأمر الذى يدل على أنه يعبر عن عاطفة وحماس ، أكثر منه تعبيرا عن فكر وتأمل .

خامسا : ـــ ان الموطن الذى ولد فيه الفكر العلمانى ـــ فى مرحلتيه ـــ وهو : انجلترا ، وفرنسا ، والمانيا : لم يأخذ بالاتجاه العلمانى ، فى التطبيق فى الحياة العملية . فالتاج البريطانى لم يزل حاميا للبروتستنت ، وفرنسا لم تزل حامية للكثلكة فى صورة عملية . والدولة فى انجلترا ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الامريكية ، والمانيا ـــ رغم اعلان انها علمانية ـــ تساعد المدارس الدينية من ضرائبها الخاصة التى تجبيها من المواطنين ، مع علمها باستقلال هذه المدارس فى برامجها التعليمية ، وبعدها عما تجريه الدولة من تفتيش على النفقات التى تنفقها .

والجانب الآخر الذى يتبنى البلشفية كدين وكسياسة ، بدل المسيحية ، فى أوربا الشرقية لم يأخذ منذ الستينات بسياسة « التعايش السلمى فقط » مع الراسمالية الغربية .. وانما يأخذ كذلك بسياسة « حسن العلاقات » مع دولة الفاتيكان ..

للبحث بقية

جهاد الأمة العربية وصراع اللغة العربية

وجهان لمعركة واحدة

للدكتور مازن المبارك

ـ ما اشبه اللغة العربية بالعرب، وما اشد ارتباطها بهم .

ـ انها مثلهم ، تتعرض لما يتعرضون له من نكسات ، وتواجه ما يواجهون من هجمات ، النكسات التي تصيبها والدعوات المنكرة التي تريد القضاء عليها كالأمراض الموسمية ، تهدأ حينا حتى تقول انها تلاشت ، فاذا هي مستطلنة تصول وتجول .

تكمن حتي تظن أنها انطفأت ، فاذا هي مشتعلة تتأجج .

ـ ليس في هذا شيء من العجب.

الجسم القوى هو وحده الذى يتصدى للعلة ، يتحداها ، تغالبه فيغلبها ، تقوى عليه فيستعلي عليها ، تصارعه فيصرعها .

ـ لكن العجب أن مواسم « النوبات المرضيّة » وأوقات « الصرع » الذى يصيب الطاعنين والمهاجمين تتفق بالمصادفة وبشكل عجيب مُحكَم ومواسم الهجمات العلنية المنيفة على أمتنا ووحدتها .

ـ ويبدو أننا نعيش الآن عصر « نوبة » من تلك « النوبات » الموسمية ، ولم لا ؟ فالفرصة مواتية ، ان الأمة تخوض معركة مصيرها

وتجند كل طاقاتها لمعركة البقاء ، وهذه « أفضل » فرصة لنوبة المرض، نوبة الصياح والسخط على اللغة وعجزها وفقرها .

ــ إن كل ما فى الجو من دلائل واضحة وخفية ليدل على أن المعركتين ، معركة الأمة ومعركة اللغة ، هما معركة واحدة ، أو هما وجهان للمعركة الواحدة .

ــ وليس موقفا سليماً ولا بريئاً أن نفصل أو نوهم بالفصل بين المعركتين، ولا يفصل بين هذين الوجهين للحقيقة الواحدة إلا غبى ساذج أو خبيث مخادع .

ــ إن أحد الوجهين أن يغزونا الغرب بجيوشه فى الحملات الصليبية وأما الوجه الآخر ، الوجه الأخطر ، فأن يغزونا بالثقافة والفكر .

ينال «بالفكر» ما تعيا «الجيوش» به

كالموت مستعجلا يأتى على مهل !

وإنه لخطأ فاضح أن يدّعى أن الثقافة أمر عام لا يعرف القومية ، وأنها « أممية » فى عناصرها ومقوماتها . ثقافة الأمة مرآة لكل ما تتميز به من خصائص وما تتصف به فى تاريخها وتراثها . وليس هنا مجال التفصيل فى هذا الأمر وشرح أبعاده .

ــ كان فى مقدمة الأهداف التى سعى الغرب الى تحقيقها فى البلاد العربية القضاء على اللغة العربية الفصحى فجند ما استطاع من إمكانات لإضعاف هذه اللغة فى مصر والمغرب العربى خاصة وفى سائر البلاد العربية عامة .. وهو يفعل ذلك وما زال لا لمجرد صراع لغوى ينتهى الى إحلال لغة محل اخرى ولكنه يفعله على علم وبصيرة ويقين من أن اللغة العربية ليست كسائر اللغات ، إنها بالنسبة الى العربى قوام حياته وعصمة بقائه .

إن «زوال اللغة العربية لا يبقى للعربى أو المسلم قواما يميزه من سائر الأقوام ولا يعصمه أن يذوب فى غمار الأمم ، فلا يبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان » (١) وبقدر علمهم هذا وبصيرتهم هذه ويقينهم هذا كان عنف هجومهم ومكر أساليبهم وخفاء هدفهم .

ــ واذا كان لا يعنينا أن نرد على الذين كشفوا القناع عن غاياتهم وأسفروا عن وجوههم ونياتهم إيماناً منا بإخفاقهم وانكشاف أمرهم فانه لواجب أن نكشف نحن الستر عن الذين اختفوا وراء شعارات زائفة كالذين ادعوا أن اللغة العربية صالحة للتعبير فى ميادين الأدب والشعر ، او أنها لغة دينية أو غير ذلك مما وصفوها به ولكنها ليست لغة علم وتعليم وليست لغة حضارة واختراعات .

ــ الم يلجأ « كرومر » الاستعمارى الانكليزى (شفقة) منه على الأمة العربية المتخلفة الى فرض تعليم الحساب والعلوم والتاريخ والجغرافية (فقط !) باللغة الانكليزية

---

(١) العقاد أشتات مجتمعات ص ١٢٧ .

بحجة أن العربية لا تصلح للتعليم لأنها لا تملك ثروة لغوية تقوم بحاجة تلك العلوم ..

الم نسمع من أمثال كرومر فى البلاد العربية من ينادى بترك العربية (الكلاسيكية) والتعبير مرة بالعامية، ومرة بالحرف اللاتينى ، ومرة بتبنّى لغة أجنبية تحملنا على ألفاظها وجملها الى عالم العلم والحضارة !

إنها دعوات كثيرة منها ما عرف اصحابها اهدافها ونتائجها ، ومنها ما جهل اصحابها مؤداها ، ولكنها على كل حال دعوات خطيرة ، بعيدة المرمى ، عرف ذلك من عرفه ، وجهله من جهله .

ونحن لا نكتب ما نكتب لأولئك الذين يعملون عن تصميم ماكر وهم يعلمون حقيقة ما يعملون له ، ولكنا نكتب للذين سلمت منهم الطويّة ، وحسنت منهم النيّة ، والذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

— لقد كانت اللغة العربية — ولا تزال — مظهراً رائعاً لوّحدة الأمة العربية . وهى الراية الوحيدة التى ينضوى تحتها اليوم ملايين العرب من المحيط الى الخليج .

— والعربية هى الثوب التعبيرى الذى اختاره الله سبحانه وتعالى لوحيه المنزل على قلب نبيّه المرسل ، فبلغت بالقرآن ما لم تبلغه لغة بكتاب . وكانت بالقرآن لغة البيان المعجز والاسلوب الآسر .

— لقد عاشت العربية مع اصحابها حياتهم وشاركتهم سرّاءهم وضراءهم .

— كانت لسان دعوتهم ، ومرآة حضارتهم ، ومستودَع تراثهم . وقام بينها وبينهم من الصلات ما لم يقم بين قوم من الأقوام ولغة من اللغات .

— وكلما ادرك اعداء العرب والمسلمين مدى هذه الصلة بين الأمة ولغتها ازدادوا ضراوة فى الهجوم عليها ، ومكراً فى الكيد لها .

— إنهم لا يهاجمون القرآن ، ولكنهم يهاجمون الأسلوب العربى « القديم » .

— انهم لا يصرّحون بقطع الأمة من ماضيها ، ولكنهم ينادون بتغيير اللغة التى كتب بها التراث والتى هى جسر الأمة الى ماضيها المجيد .

— إنهم لا يهاجمون وحدة الأمة ولكنهم يشجعون اللهجات المحليّة والألفاظ والتراكيب العاميّة .

— لذلك كله كان على علماء اللغة من عرب ومسلمين أن ينشروا الوعى اللغوى السليم . وقوام هذا الوعى أن العربية بالنسبة الى العرب ناظم وحدتهم ، وبالنسبة الى المسلمين لغة قرآنهم وسبيلهم الى فهم عقيدتهم ، وكما قال الإمام ابن تيمية « ما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب » .

مائدة القارئ

شهادة ضمان

« وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا » .

— صدق الله العظيم —

شهادة استثمار

« مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء » .

— صدق الله العظيم —

سورة البقرة

عن ابى هريرة قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا ، وهم ذوو عدد فاستقراهم (طلب منهم أن يقرءوا) فاستقرأ كل رجل منهم ما معه من القرآن ، فاتى على رجل منهم من احدثهم سنا ، فقال : ما معك يا فلان، قال : معي كذا وكذا وسورة البقرة . قال : « أمعك سورة البقرة ؟ » قال : نعم ، قال : اذهب فانت اميرهم ..

— رواه الترمذى وقال حديث حسن

علامات السعادة ثلاث

١ — متى زيد فى عمره نقص من حرصه .

٢ — ومتى زيد فى ماله زيد فى سخائه .

٣ — ومتى زيد فى قدرة زيد فى تواضعه .

علامات الشقاء ثلاث

١ — متى زيد فى عمره زيد فى حرصه .

٢ — ومتى زيد فى ماله زيد فى بخله .

٣ — ومتى زيد فى قدره زيد فى تكبره وقهره .

اجابــة حكيـــم

وجهت الى حكيم الأسئلة التالية فاجاب عليها بما ياتى :

— كم عمرك ؟
— صحتى جيدة .
— كم وفــرت ؟
— ليس علي ديون .
— كم عدو لك ؟
— قلبى نظيف ولسانى عف .

جاء رجل الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يطلب منه أن يمكنه من حضانة ولده من زوجته المطلقة قائلا :

يا أمير المؤمنين حملته قبل أن تحمله ، ووضعته قبل أن تضعه .

فاجابت الأم قائلة :

يا أمير المؤمنين حمله خفيفا ، وحملته وقرا ، ووضعه شهوة ، ووضعتــه كرهــا .

فقضى الخليفة العادل للأم بحضانة الولــد .

المحتكر هو الذى يجمع ما لا حاجة له فيه بهدف التحكم فى الآخرين .

والمدخر هو الذى يحتجز لنفسه ما قد يحتاج اليــه فى المستقبــل ، وليس للآخرين حاجة فيه وقت ادخاره ، والاحتكار محرم ، والادخار عقل وحكمة .

عن معاذ بن جبل قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بئس العبد المحتكر ، أن ارخص الله الأسعار حزن ، وان اغلاها فرح » .

يروى التاريخ أن طارق بن زياد فاتح الأندلس لما نزل بالجزيرة الخضراء أمر بالسفن فاحرقت ، فاثار ذلك بعض رجال جيشه ، وقالوا له : لقد قطعت الحبال بيننا وبين بلادنا فضحك طارق من تفكيرهم وقولهم ، ووضع يده على السيف وقال :

((انما يحافظ على السفن من يفكر فى الرجوع ، أما أنا فقد عزمت على البقاء فى هذا المكان والقتال ، فاما أن يكون لنا وطنا وأما أن يكون لنــا قبرا .)) وكتب الله للايمان النصر .

مدارس جديدة للدراسة السيرة النبوية

ظهرت فى مطلع القرن العشرين مدرسة جديدة ، تشق بعقول المسلمين الى فهم حياة محمد عليه الصلاة والسلام طريقا جديدا ، تحت راية ما اسمته إذ ذاك بالعلم الحديث.

ولقد لفتت هذه المدرسة إليها حينئذ انظارا كثيرة ، وسيطرت على مجموعة كبرى من المثقفين والنابهين ، لا بسبب موازين علمية اعتمدت عليها ، بل بتأثير من الراية الجاذبة التى كانت تخفق فوقها .

ولكن ما لبثت الأنظار بعد حين ان ارتدت عنها ، وما لبثت الطريق التى شقتها الى التحليل الجديد لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقفرت بعد ازدحام ، وعادت الراية الجاذبة من فوقها راية عتيقة لا تشبع للمثقفين المؤمنين رغبة ولا تمتد الى نفوسهم بأىّ تأثير .

غير أنها تركت من ورائها اصداء عظيمة ، لا تزال تدوى على اسماع كل من يريد أن يقبل على حياة محمد عليه الصلاة والسلام دراسة وفهما ، فهى لا بدّ أن تشغله بين يدى دراسته حينا من الوقت . فان واصل الطريق والدرس ولّت عنه هذه الأصداء ، وتخلفت وراء سور الحقائق العلمية الناصعة ، وان هو اكتفى ببعض ما تد علم ووقف عند منتصف الطريق ، غشيته هذه الأصداء ثم لم تفلته ، وعاد من النهاية التى وقف عندها بمزيج من شطر تدين وشطر علم ، فلا يزال هذان الشطران يحتك احدهما بالآخر فى خصومة لا نهاية لها حتى يتفانيا او يظهر اقواهما على الآخر .

فما هى قصة هذه المدرسة ..؟ وفيمَ ظهرت ثم خبت ..؟ وما هو موقف العلم فى سلطانه الحديث منها ..؟

[illegible]

للدكتور / محمد سعيد رمضان البوطى

انعكاس مرير لنقطة ضعف مريرة

قصة هذه المدرسة ترجع الى ايام الاحتلال البريطانى لمصر !..

لقد كانت مصر حينئذ منبر العالم الاسلامى كما نعلم ، يعنو اليه بعقله وتفكيره كلما اراد أن يعلم عن الاسلام علما ، كما يعنو الى كعبة الله بوجهه كلما اراد حجا أو صلاة .

وكان الصوت الذى ينبعث من منبر العالم الإسلامى ، إنما هو صوت الجامع الأزهر بكل ما يفيض به من علوم مختلفة وما يتأجج فيه من وعى وجهاد ووطنية .

وكان فى استمرار هذا الصوت العظيم من جانب ، واستمرار انصات العالم الإسلامى اليه من جانب آخر ، ما لا يدع لبريطانيا فرصة هدوء او استقرار . ومهما أخضعت لنفسها الوادى كله تحت سلطان من قوة الحديد والنار ، فانه خضوع موقوت لا يطمأن اليه ، طالما بقيت للأزهر هذه القيادة الحية ، وطالما كان الأزهر معتمدا فى قيادته وتهييجه على وقود هذا الدين ، يؤججه وعى ، ويحوطه علم ، ويحميه إخلاص !.

إذاً ، لا بدّ من الإقدام على أحد علاجين لا ثالث لهما :

إمّا أن يقطّع ما بين الأزهر والأمة ، فلا يبقى له عليهما من سلطان ، وإما أن يتم التسلل الى مركز العمليات القيادية فى الأزهر ذاته ، فتوجه قيادته الوجهة التى ترضى مصالح بريطانيا وتهيىء لها أسباب الراحة والاستقرار .

وأنا والله لا أعتمد فيما أقول على استنتاج أو توسم .. او نحو ذلك من المناهج الوهمية التى يعتمدها أكثر المؤرخين اليوم ، فى قنص ما وراء الأحداث وتحليل ما قد يكون لها من أسباب .

وإنما أعتمد فى ذلك على اقرار اللصوص انفسهم ، بعد أن تمت السرقة ، وتحقق القصد ، وجاء دور

الراحة ، واستعادة أخيلة النصر ، وكتابة المذكرات .

يقول اللورد لويد المندوب السامى لمصر إذ ذاك فى مذكراته التى سماها (مصر منذ أيام كرومر :

EGYPT SINCE CROMER

(إن التعليم الوطنى عندما قدم الانكليز ، كان فى قبضة الجامعة الأزهرية الشديدة التمسك بالدين ، والتى كان اساليبها الجافة تقف حاجزا فى طريق أى اصلاح تعليمى ، وكان الطلبة الذين يتخرجون من هذه الجامعة يحملون معهم قدرا عظيما من غرور التعصب الدينى (تأمل !..) فلو أمكن تطوير الأزهر لكانت هذه خطوة جليلة الخطر ، فليس من اليسير أن نتصور لنا أى تقدم طالما ظل الأزهر متمسكا بأساليبه هذه ، ولكن اذا بدا أن مثل هذه الخطوة غير متيسر تحقيقها فحينئذ يصبح الأمل محصورا فى إيجاد التعليم اللادينى الذى ينافس الأزهر حتى يتاح له الانتشار والنجاح) .

وكان أن اختارت بريطانيا الحل الأول ، باعتباره أقرب منالا ، وأبعد عن الملاحظة والانتباه .

وكان السبيل الوحيد الى هذا الحل ، الاعتماد على نقطة ضعف مريرة تعانى منها مشاعر الأمة الاسلامية عامة بما فيها مصر وغيرها وهى احساس المسلمين بما انتابهم من الضيعة والتخلف والشتات ، الى جانب ملاحظتهم للنهضة العجيبة التى نهضها الغرب فى شتى المجالات الفكرية والحضارية المختلفة !.. لقد كان المسلمون يتطلعون ولا ريب الى اليوم الذى يتحررون فيه من الأثقال التى خلفتهم الى الوراء ، ليشتركوا مع غيرهم فى رحلة الحضارة والمدنية والعلم الحديث .

من هذا السبيل تسلل الهمس ، بل الكيد الاستعمارى ، الى صدور قادة الفكر فى مصر : ان الغرب لم يتحرر من اغلاله إلا يوم أخضع الدين لمقاييس العلم .. فالدين شىء والعلم شىء آخر !.. والتوفيق بينهما لا يتم إلا باخضاع الأول للثانى . واذا كان العالم الاسلامى حريصا على مثل هذا التحرر فليس أمامه الا أن يسلك نفس الطريق ، وأن يفهم الاسلام هنا كما فهم الغرب النصرانية هناك . وانما يتحقق ذلك بتخليص الفكر الاسلامى من كل حقيقة غيبية غير مفهومة أو غير خاضعة لمقاييس العلم الحديث .

وسرعان ما خضع لهذا الهمس اولئك الذين انبهرت أبصارهم بمظاهر النهضة الأوربية الحديثة ، ممن لم تترسخ حقائق الإيمان بالله فى قلوبهم ، ولا تجلت حقائق العلم الحديث وضوابطه الكلية فى عقولهم فتنادوا فيما بينهم الى التحرر من كل عقيدة غيبية لم تصل اليها اكتشافات العلم الحديث ولم تدخل تحت سلطان التجربة والمشاهدة الدائمة .

إخضاع الدين لسلطان العلم ظاهرا ونسفه باسم العلم باطنا

وغاب عن هؤلاء الناس أن هذا الوحى الاستعمارى الذى يدغو المسلمين الى « ثورة إصلاحية » فى شؤون عقيدتهم الاسلامية إنما يستهدف فى الحقيقة نسف هذه العقيدة من جذورها !..

وغاب عنهم أن الدين الصالح فى ذاته لا يحتاج فى عصر ما الى مصلح أو اصلاح .

وغاب عنهم أن تفريغ الاسلام من حقائقه الغيبية إنما يعنى حشوه بمنجزات ناسفة تحيله أثرا بعد عين. ذلك لأن الوحى الإلهى — وهو ينبوع الإسلام ومصدره — يعتبر قمة الحقائق الغيبية كلها ، والذى يسرع الى رفض بعض ما فيه من خوارق العادات بحجة اختلافها عن سنن الطبيعة ومدارك العلم الحديث ، فهو لا جرم اسرع الى رفض الوحى الإلهى كله بما يتبعه من اخباراته عن النشور والحساب والجنة والنار ..

غاب عن هؤلاء الناس هذا كله ، وقد كان إدراكهم له من أبسط مقتضيات العلم لو كان يتمتعون بحقيقته وينسجمون مع منطقيته . ولكن أعينهم عشيت فى غمرة انبهارها بالنهضة الأوربية الحديثة وما يحف بها من شعارات العلم والفاظه ، فلم تعد تبصر من حقائق المنطق والعلم إلا عناوينها وشعاراتها ، ولم يعد يستأثر بتفكيرهم إلا خيال نهضة «اصلاحية» تطور العقيدة الاسلامية هنا كما تطورت العقيدة النصرانية هناك .

لقد كان الذى يهيّجهم إلى هذا السلوك إذاً شعارات العلم والفاظه ، لا قواعده وقوانينه ، ومن ثم فقد كان ذلك منهم ثورة فى النفس لا فكرة مدروسة استحوذت على العقل .

مظاهر الوباء الإصلاحى !..

ولم يكن على الاستعمار البريطانى وقد امتص إيحاؤه قدرا كبيرا من المفكرين المسلمين ، أن يتعب نفسه بمواصلة الجهد ومتابعة المخطط .. فقد اطمأن الى أن هؤلاء انفسهم سوف يقومون بالمطلوب . وما عليه إلا أن يقربهم ويسلمهم قيادة العمل الفكرى فى الأزهر ليبثوا منه الى الفكر الاسلامى هذا الوباء « الإصلاحى » الجديد .

فى سبيل هذا الاصلاح استبدلت قيادات عالية فى مختلف مناصب الأزهر ..

وفى سبيل هذا الاصلاح أسرع الرئيس الجديد لتحرير مجلة « نور الإسلام » ينشر مقالاته المتحدية العجيبة التى فاجأ بها الناس تحت عنوان (السيرة المحمدية تحت ضوء العلم والفلسفة) وهى التى يقول فى بعض منها :

« وقد لاحظ قراؤنا اننا نحرص فيما نكتبه فى هذه السيرة على أن لا نسرف فى كل ناحية الى ناحية الإعجاز ، ما دام يمكن تعليلها بالأسباب العادية حتى ولو بشىء من التكلف » .

وهو الذى كان قد نشر من قبل مقالا فى جريدة الاهرام فى ١٩٣٧/٨/٣٠ يقول فيه : « إن الشرق الإسلامى لما رأى دينه ماثلا فى عالم الأساطير التى قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه رأى الأمر أكبر من أن يحاوله ، ولكنه استبطن الإلحاد وتمسك به ، متيقنا أنه مصير إخوانه كافة متى وصلوا الى درجته العلمية » !!!..

وفى سبيل هذا الاصلاح ظهر كتاب جديد فى تحليل السيرة النبوية باسم « حياة محمد » لحسين هيكل يقول فى مقدمته : « إننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت أن أجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية .. » وراح يبتعد فيه عن جميع الإلزامات الغيبية التى يتجسد فيها معنى نبوة رسول الله

صلى الله عليه وسلم ، ويحيلها بتكلف عجيب الى ظواهر طبيعية أو يثير من حولها شكوك النقل والرواية . وما كاد الكتاب يظهر حتى قدمه الشيخ مصطفى المراغى شيخ الأزهر الى الناس قائلا : « لم تكن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم القاهرة إلا فى القرآن ، وهى معجزة عقلية » !..

وفى سبيل هذا الإصلاح أخذت تروّج صفة « العبقرية » و « العظمة » و « القيادة » وما شاكلها للنبى صلى الله عليه وسلم تعويضا عن صفات النبوة والوحى والرسالة وتغطية لها وإبعادا للفكر عنها .

وفى سبيل هذا الاصلاح أصبحت كل خارقة مما قد جاء به صريح القرآن او متواتر السنة ، تؤول — ولو بتكلف وتمحل — بما يعيدها الى الوفاق مع المألوف والمعروف . فطير الأبابيل يؤول — رغم أنف الآية الصريحة الواضحة — بداء الجدرى. والإسراء الذى جاء به صريح القرآن يحمل رغم أنف الدلائل الثابتة المختلفة على سياحة الروح وعالم الرؤى . والملائكة الذين أمد الله المسلمين بهم فى غزوة بدر يؤولون بالدعم المعنوى الذى أكرمهم الله به .

وهكذا ، فقد تكونت من هذا الاتجاه مدرسة فكرية جديدة ، انقدحت فى الحقيقة من ردّ فعل نفسي ، وان بدت أنها سارت تحت راية بحث علمى . حيث اخذت تنشر فلسفتها من فوق منبر الأزهر ، لينطلق تأثيرها بارزا فى الأوساط المختلفة ، فى ظل ذلك الاحتلال الاستعمارى المشؤوم ، وذلك بعد أن قامت معارك طويلة بين المؤيدين والمعارضين لا مجال لسردها فى هذا المقام .

ما هى ثمرات هذا « الاصلاح » ؟

وتسألنى الآن : فما الذى استفادته بريطانيا من تطوير الفكر الدينى بهذا الشكل فى رؤوس المسلمين ؟

والجواب انها اضعفت بذلك الوازع الدينى فى نفوس أولئك الذين كان الدين أعظم محرك ومهيِّج فى حياتهم ، وكان صاحب السلطان في كل شىء كما قد رأيت من ملاحظة اللورد لويد فى كلامه الذى نقلناه آنفا .

وانت تعلم ان اى استهانة بما فى الدين من الخوارق والغيبيات الثابتة، من شأنها ان تضعف ما فيه من وازع وسلطان على النفس ، بل من شأنها أن تقضى عليهما مع الزمن .

فلما ضعف هذا الوازع فى النفوس ، تهيأت بذلك لقبول اى تطوير وتبديل فى حقائق الاسلام باسم الاصلاح والتوفيق مع مقتضيات العلم . فكان أن تسللت العقلية الأوروبية المتحللة لتحتل مكان العقلية الاسلامية المعتزة بالمنهج الاسلامى السليم ، وتمكنت من تطوير مناهج الحياة نفسها طبقا لما تريد بعد أن انحسر عن الاسلام سلطانه وعاد اسلاما شكليا مجردا ، تبدو صبغته على اللسان ولا تمتد منه اى جذور الى طوايا النفس وأعماق القلب .

وبالمقابل ، فان تلك المدرسة « الاصلاحية » لم تكسب أربابها ودعاتها أى نهضة علمية كالتى نهضتها أوربا كما كانوا يتوهمون أو كما أوهمهم الاستعمار البريطانى .

كل ما جنته أيدى ذلك « الاصلاح

الدينى » إبعاد المسلمين عن الحقيقتين معـــا : فلا هم على وازعهم الدينى ابقوا ، ولا على النهضة العلميـــة المنشودة عثروا .

موقف العـلم من هـذه المدرسة « الاصلاحية »

بعد هذا نقول : ليكن ما قد فعله الاستعمار البريطــانى خداعا كمـا اوضحنا ، فهل لنا أن نتأثر من ذلك بدافع من ردود الفعـل المجـردة ، فنؤمن بسلطان الخوارق والغيبيـات كيفما كان ، وأيا كان حكم العقـل والعلم فيهما ؟!..

لا .. ليس لنا أن ننقاد فى شىء من ذلك بدافع من ردود الفعل . وكما انه لا ينبغى للعاقل أن يلحد فى ذات الله بدافع من التقليد او ردود الفعل المجردة ، فكذلك لا قيمة للإيمان بالله او بما يتبعه من خوارق وغيبيـات بدافع من هـذا التقليد أو الانعكاس النفسى المجرد . إن الميزان المحكم على كل حال هو العقل السليم الحـر ، أو قل : إنه العلم اليقينى الذى لا يشوبه الوهم .

وإن أحدث ما انتهت اليه مـدارك العلماء من الحقائق العلمية (١) التـى لا مرية فيها هو أن ما بين الأسباب ومسبباتها الطبيعية ليس إلا علاقـة اقتران مطرداكتسبت تحليلا ثم تعليلا، ثم استنباطا للقانون المرتبط به طالمـا فيه نفسى .

اى أن العلم ليس إلا ممارســة لتجارب خارجية بعيـدة فى مرحلتها الأولى عن وحى الفلسفة أو الحركة الفكرية المجردة ، تتعلق بموضوعات مادية معينة ، ثم انها تفرض نفسها على العقل طبق ما دلت عليه التجربة والمشاهدة ، بقطـع النظر عن أى تنبؤات وتقديرات أخرى تفرض فى المستقبل .

فان رحت تسأل هـذا العلم عن رايه فى خارقة غيبية أومعجزة إلهية ، قال لك بلســان الحـال : ليست الخوارق والمعجزات من موضوعات بحثى واختصـاصى . فلا حكم لى عليهما بشىء . ولكن اذا وقعت خارقة من ذلك أمامى فانها تصبح فى تلك الحـال موضـوعا جاهزا للنظـر والتحليل ثم الشرح والتعليل . أما أن افرض حالة معينة فى الذهن تنفصل فيها النار عن قوة الإحراق مثـلا ، ثم احكم عليها أى أحللها وأقومها كما هو شأنى وعملى ، فذلك متناقض مع طبيعتى واختصاصى وما قد حصرت فيه نفسى

وقد انقرض العصـر الذى كان بعض العلماء فيه يحسبون أن أثر الأسباب الطبيعية فى مسبباتها أثر حتمى يستعصى على التخلف والتغيير وانتصر الحق الذى طالما دافع عنه علماء المسلمين عامة والامام الغزالى خاصة من أن عـلاقات الأسـباب بمسبباتها ليست اكثر من رابطـــة اقتران مجردة ، وما العلم فى قوانينه كلها إلا جدار ينهض فوق أساس هذا الاقتران .. هذا الاقتــران وحده . ولقد رأينا « هيوم » وهو العـالم التجـريبى الأول كيف يجلّى هـذه الحقيقة بأنصع بيان صارم .

وإذاً ، فان الحديث عن اى خارقة غيبية مما قد أحيـل به الى الزمن الماضى او اخبر به عن المسـتقبل ، إنما يشترط لاعتبارها حقيقة ثابتة شرط واحـد هو وصـولها الينا عن

---

(١) نقصد هنا بالعلم العلوم الطبيعيـة ، لا العلم بمعناه العام وهو ادراك الشىء على ما هو عليه .

طريق علمى من شأنه أن يورث اليقين والجزم .

فالخوارق التى يحار العلم فى تفسيرها ، إذا بلغتنا عن طريق التواتر ، بالقيود التى يجب توفرها لإعطاء إدراك يقينى ، تعتبر حقيقة علمية لا مجال فيها لجدل أو تردد . أما ما لم يتوفر له هذا الشرط فهو ملغى عن الحسبان وان ارتقى به النقل الى درجة الظن .

وهذه القاعدة لا شك فيها عند احد من العقلاء ايا كان تفكيره ومذهبه . ولكن الخلاف قد يقع فى تطبيقها لأسباب أخرى لا علاقة لها بالقاعدة ذاتها .

حقائق أولية .. هى سر الخلاف

هذه الأسباب تتمثل فى عدم إيمان بعض الناس ، بحقائق أولية هى عمود الحقيقة الاسلامية الكبرى ، كنبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وثبوت أن القرآن كلام الله عز وجل .

فان من يجزم بهاتين الحقيقتين ، لا يسعه إلا أن يستيقن بما قد بلغه عن محمد عليه الصلاة والسلام عن طريق التواتر الذى يورث اليقين ، وبما قد قطع به القرآن فى عبارة صريحة لا تحتمل — فى ميزان السليقة العربية — تأويلا ولا تحريرا .

أما من لم يجزم بهما ، فلا جرم أنه قد لا يستيقن شيئا مما ذكرناه ، لا إنكارا منه لقانون التواتر وما يورثه من اليقين ، ولكن إنكارا منه للوثيقة ذاتها أى لمصدر الخبر ذاته .

وواضح ان تقليد المسلم الموقن بنبوة رسول الله والجازم بأن القرآن كلام الله ، لهذا الفريق الثانى ، عندما ينكر غيبيات الاسلام مما قد اخبرت به نصوص القرآن مثلا — يعتبر غباء عجيبا يثير الشفقة والاشمئزاز !..

وهكذا فان أولئك الذين ليسوا على استعداد لإدراك أن ملائكة ارسلها الله لتقاتل مع المسلمين فى غزوة بدر ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم قد أسرى به (دون وسيلة نقل طبيعية) الى بيت المقدس ، لا يرجع عدم استعدادهم هذا الى حقيقة علمية تصدهم عن الادراك واليقين ، كما كانت تتخيل المدرسة «الاصلاحية» السالفة ، وإنما يرجع الى انكارهم لنبوة محمد عليه الصلاة والسلام والى انكارهم لما نخبرهم به ، من أن القرآن ليس الا وحيا من عند الله . ولو اتفقوا معنا فى الإيمان الصادق بهاتين الحقيقتين لما توقفوا لحظة واحدة فى الإيمان بهاتين الجزئيتين ، ولما وجدوا أى حقيقة علمية تصدهم عن هذا الإيمان .

كان ذلك منعطفا .. ومر

إذاً ، فان العلم لا يتناقض فى شىء من قوانينه الثابتة مع ما هو ثابت من غيبيات الاسلام وخوارقه . وليس بين التقدم العلمى وانكار هذه الخوارق أى علاقة أو تلازم .

وإنما كانت تلك المدرسة « الاصلاحية » منعطفا ومر .. ولقد كان أقطابها ودعاتها يفتحون أعينهم على خبر النهضة العلمية فى أوربا من جديد ، بعد طول غفلة واغماض

وانه لأمر طبيعى أن تنبهر العين عند اول لقياها مع الضياء فلا تتبين حقائق الأشياء ولا تميز الأشباه عن بعضها ، حتى إذا مرّ وقت ، واستراحت العين الى الضياء اخذت الأشياء تتمايز عن بعضها وتبدت الحقائق واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض .

ولقد مرّ وقت كان على البصائر التى عشيت ذات يوم بالضياء المداهم الوهاج ، فهى اليوم ترى الحقائق ناصعة كما هى ، ومن ثم فهى تتأمل بسخرية واشفاق فى الكلمات التى كان قد قالها أحدهم وهو يعانى من احدى غيبوباته العاطفية مع كلمة « العلم » : (ان الشرق الاسلامى لما راى دينه ماثلا فى عالم الأساطير التى قذفت فيه الأديان جملة بيد العلم الحديث الغربى ، لم ينبس بكلمة لأنه رأى الأمر اكبر من أن يحاوله ..) فهى ولا ريب نبوءة عين تخطفها الضياء اكثر من أن تكون تفكير عقل بما يحمله المستقبل .

واغرب من هذا ما يقوله حسين هيكل : (اننى لم آخذ بما سجلته كتب السيرة والحديث لأننى فضلت ان اجرى فى هذا البحث على الطريقة العلمية ..) !!.. إنه يطمئنك الى انه لم يأخذ حتى بما ثبت فى صحيحى البخارى ومسلم حفظا لكرامة العلم !

إذاً فان ما يرويه البخارى ضمن قيود رائعة عجيبة من الحيطة العلمية النادرة ، انحراف عن جادة العلم ، على حين تكون طريقة الغربيين فى الاستنتاج والحدس ومنهج التوسم حفظا لكرامته والتزاما لمنهجه وجادته !. اليس هذا من أفجع الكوارث النازلة برأس العلم ؟

... ...

اما اليوم فان الجيل المثقف الواعى المشبع بروح العلم لا يعدو أن يكون احد رجلين : رجل مؤمن بالله ورسوله فهو يقبل الإسلام بكل ما هو ثابت فيه من خوارقه ومعجزاته وغيبياته ، لا يرهق عقله بتمحل ولا اختلاق تأويل ، ولا يرى فيه أى انحراف عن مقتضى العلم وسلطانه ، وهو يمثل جمهور الشباب المثقف اليوم .

وآخر لا يؤمن بإله ولا برسول ، ومن ثم فهو لا يؤمن بشىء مما نتحدث عنه ، لا اعتمادا منه على مقياس العلم ، بل اعتمادا على كفره وجحوده بينبوع ذلك كله .

اما رجل آمن بالله ورسوله واتخذ الإسلام دينا ، ثم انكر منه كل ما لا سبيل للعلم الى فهمه وتحليله ، فهو نموذج لا يمكن أن نعثر عليه فى جيلنا المثقف اليوم ، إلا أن يكون رجلا تدوى على سمعه اصداء تلك الأفكار القديمة دون أن تسعفه الظروف بمواصلة الطريق الى نهايته فى الدراسة والنظر والبحث .



بقلم : محمد عبد الله السمان

ما اكثر ما تخرجه المطابع فى ايامنا هذه من مؤلفات تقدمها الى المكتبة الاسلامية فى كثير من الموضوعات ، حتى يكاد يتوهم البعض اننا بصدد نهضة فكرية تعيد الى الأذهان تلك النهضة الفكرية التى ظهرت إبان العصر الذهبى للدولة العباسية . .

وليس الكلام هنا موجها الى طبع التراث الاسلامى ، حيث نلمس العديد منه يتخم المكتبات واكشاك باعة الصحف فى كثير من عواصم البلاد العربية ، وفى مقدمتها لبنان والعراق ومصر والكويت وقطر وسوريا ، والحق أن الاهتمام بالتراث عمل جدير بالتقدير ، ولا سيما ما كان منه لا يزال مسجلا فى مخطوطات نادرة فى مكتبات أوربا ، ولكن هذا لم يمنع تسلل العنصر التجارى أو المذهبى الى هذا العمل ، وكان أن طبعت كتب وزج بها الى الأسواق ، لا تخدم الفكر الاسلامى ، ولاتمثل الثقافة الاسلامية الواعية فى قليل أو كثير ، وإن منها ما لا يساوى ثمن المداد فضلا عن ثمن الورق . .

وإنما الكلام هنا موجه الى الكتابات الحديثة التى تتسم فى مظهرها بالطابع الاسلامى ، أما فى حقيقتها فلا تمثل إلا لونا من الوان الاستهلاك ليس الا ، ومن بين عشرة كتب لا تكاد تعثر على كتابين جادين يخدمان الفكر الإسلامى السليم ، ويمثلان الثقافة الاسلامية الناضجة ، أما الكثرة الساحقة من هذه الكتب ، فهى تحرص على أن تحمل عناوين عاطفية ضخمة ، فاذا قرأتها خرجت منها صفر اليدين خالى الوفاض .

اذكر أننى منذ سنوات قد جذبنى عنوان كتاب لعالم فاضل « المستقبل للاسلام » وما أن قرأته حتى أصبت بخيبة أمل . فالكتاب — يعلم الله — ليس فيه عن حاضر الاسلام — فضلا عن مستقبله — حتى بضعة سطور ، وعتب علىّ المؤلف الموقر لأننى تناولت كتابه بشىء من القسوة على صفحات مجلة الأزهر ، وبحثت عن معنى أشد من الدهشة فلم أجد ، حين اعتذر سيادته ، بأنه سلم الناشر كتابا ضخما ، لكن الناشر اقتطع منه هذا الجزء ، واختار له العنوان بنفسه دون الرجوع إليه .. فرجوت أنا منه أن يكتب هذا الاعتذار ، وسننشره له ، لكنه وعدَ ولم يفِ .

ومنذ أيام معدودة ، أبصرت كتابا ضخما فى أحدى المكتبات ، يقع فى اكثر من ستمائة وخمسين صفحة ، ومؤلفه مستشار سابق ، أما عنوان الكتاب ، فهو « محمدخاتم الرسل » وجلست بعضا من الوقت أتابع موضوعات الكتاب ، وللأسف لم أخرج منه بشىء جديد فهو سرد أوجز ما دونته كتب السيرة ، ليس فيه ما يروى الغلة من تحليل أو تعقيب أو مناقشة ، لا بد أن السيد المؤلف قد قرا ما كتبه المرحوم الدكتور هيكل فى كتابيه « فى منزل الوحى » و « حياة محمد » لكن الذى أقطع به أنه لم يتأثر بهما ولم يفد منهما ، أما كان الأحرى بالسيد المؤلف أن يقدم للمكتبة الاسلامية احدى الدراسات عن القانون المقارن بالتشريع الاسلامى ، كما فعل إخوان له من قبل ، فخدموا الفكر الاسلامى ، وخدموا الثقافة الاسلامية ؟؟

ما أحوج الاسلام اليوم ، بل والمسلمين الى دراسات جادة تعرض معانى الاسلام الحية ، وتصفى الاسلام نفسه من الشوائب التى لحقت به فى عصور الغفلة واللامبالاة وتدحض الشبهات والمفتريات التى الصقها به المغرضون وذوو الأهواء ، مستشرقين صليبيين حاقدين كانوا ، أو مسلمين ضعاف الضمائر ، لذّ لهم أن يعرفوا بالتحضر ، أو ماديين متحفزين دائما للنيل من الاسلام وأصوله ..

كان العقاد رحمه الله يتصدى لهذه الشبهات وتلك المفتريات على صفحات مجلة الأزهر تحت عنوان : « ما يقال عن الإسلام » متعقبا كل ما يصدر عن هوى عن الاسلام فى صحف الغرب ومؤلفات كتابه ، والحق الذى لا جدال فيه ، أن كل مقال من مقالاته ، كان يزن عشرات من الكتب الاسلامية التى لا تقدم للمكتبة الاسلامية إلا تكرارا مملا ، واسفافا ضحلا ، ومات العقاد ، وخلا مكانه ، وفشلت مجلة الأزهر فى الحصول على خلف له ، ولقد عرضت الموضوع بنفسى على عديد من الكتاب الاسلاميين المبرزين فأحجموا ، وقبل على استحياء المرحوم الدكتور الأهوانى لكنه توقف بعد مرتين أو ثلاثا .

وكتاب العقاد « حقائق الاسلام واباطيل خصومه » يكاد يكون الكتاب اليتيم فى المكتبة الاسلامية . وهل ينكر إنسان أن « العبقريات » التى كتبها العقاد ، قد أتت بجديد فى مجال التحليل الذى لا يبارى فيه العقاد ؟

عشرات الكتب تظهر من تأليف المستشرقين المغرضين ، تنال من الاسلام ونبى الاسلام ، ولكن قل أن نجد من يتصدى لها من الكتاب الاسلاميين الذين آثروا السلبية فى كتاباتهم ، بل منهم من يتحمس لمصادرة هذه الكتب المنحرفة مؤثرين السلامة بدل أن يتصدوا لها ويفندوا مزاعمها ، ويدحضوا شبهاتها .

بل لا يكفي أن يترجم الكتاب الى اللغة العربية ويرد عليه ، فالعمل الايجابى أن يرد عليه بنفس اللغة ، وينشر فى الأوساط التى تسلل اليها بلغته الأجنبية ..

وكما خلا مكان العقاد فى هذا المجال ، خلا من قبل مكان المرحوم فريد وجدى ، فقد خدم الفكر الاسلامى وحده بقلمه ، لكن ما قدمه للفكر الاسلامى من خدمات لا يزال معظمه ضيفا على أرفف النسيان والاهمال ..

وفى مجال جغرافية العالم الاسلامى نحس بكثير من الخجل ، فالكتب عن جغرافية العالم الاسلامى لا وجودلها فى المكتبة الاسلامية ، هناك كتاب يتيم ألفه كاتب هندى مسلم وقام بترجمته الاستاذ فتحى عثمان ، بل ان المسلم لا يكاد يجد مرجعا يروى الغلة عن الدول الاسلامية فى أفريقيا وآسيا .

لذلك يضطر الى الرجوع الى ما كتبه كتاب الغرب مثل كتابى المؤلف الامريكى « جون جنتر » وهما داخل افريقيا وداخل آسيا ، بل حتى الاحصائيات الدقيقة عن تعداد المسلمين ومظاهر النهضة والحضارة الحديثتين فى بلادهم ، لا نكاد نعثر علىمراجع وافية شافية بأقلام الكتاب الاسلاميين ، وقد ظهر منذ سنوات كتاب لكاتب يحمل لقب دكتور ، عنوانه : « الاسلام فى المشارق والمغارب » ومن المؤسف القول بأن ما استوعبه منمعلومات لا يزيد شيئا عما هو مدون فى الكتب المدرسية فى مرحلتى الاعدادى والثانوى ، وعندما أردت الحصول على تعداد المسلمين فى الكنغو ، وجدت المؤلف يذكر أنهم مليون مسلم ، لكن حين أطلعت على كتاب « المسلمون فى العالم » لمؤلف مسلم يحمل ايضا لقب دكتور وجدته يذكر أنهم احد عشر الفا ، وأمام هذه البلبلة اضطررت الى الرجوع الى أطلس العالم الاسلامى الذى أصدرته مؤسسة « رانكلين » الأمريكية ..

وفى مجال الحركات الاسلامية المعاصرة ، نجد أن كتاب الغرب أنشط منا ، وأسبق منا ، فنحن لا نكاد نعرف شيئا عن حركة الصراع الدائبة فى داخل افريقيا السوداء بين الاسلام من ناحية ، وبين الوثنية والصليبية والمادية أخيرا من ناحية أخرى ، وحسبنا أن نقرأ كتاب «داخل أفريقيا» الذى سبق ذكره لجون جنتر ، ثم كتاب يقظة العالم الاسلامى لكاتب أوربى هو (فرنو) لنزداد مرارة وأسى .

وفى مجال التبشير الصليبى فى داخل أفريقيا السوداء وآسيا ، وهو الذى لا يزال يناهض الاسلام دون توقف أو ملل ، هل استطاع الكتاب الاسلاميون أن يتعقبوا هذا التبشير الصليبى الاستعمارى الذى لا يزال يغزو الاسلام فى عقر داره ؟ لقد سد

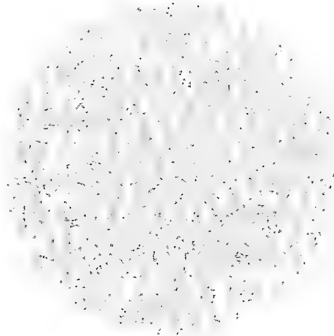
الدكتور عمر فروخ وزيمله فراغا كبيرا فى المكتبة الاسلامية بكتابهما : « التبشير والاستعمار » لكن ماذا بعد هذا الكتاب الجليل الذى صدر منذ بضعة عشر عاما ؟ لا شىء ..

وبعد ..

فمن الوهم أن نقيم نهضتنا — نحن المسلمين — فى مجال الفكر على اساس من الكم فيما يؤلفه المؤلفون وتخرجه المطابع . وهو كالسيل الجارف ، فالكثرة الساحقة من هذا السيل تكرار ممل ، أو اسفاف ضحل لا يخدم الفكر الاسلامى ، ولا يشرف الثقافة الاسلامية ، ونحن لا ننكر أن هناك كتبا إسلامية جادة لكتاب اسلاميين لهم وزنهم وتقديرهم ، لكن هذه الكتب القليلة تضيع فى ضوضاء السيل الجارف من الكتب التى تنتسب الى الاسلام وهى لا تزن المداد الذى كتبت به ، فضلا عن الورق الذى طبعت عليه ..

إن الاسلام يتعرض لتيارات جارفة مستوردة ومحلية ، فهو فى مسيس الحاجة الى كتابات جادة تواجه هذه التيارات التى لا تعرف الهدوء فضلا عن التوقف ، الاسلام فى حاجة الى دراسات تعرض الاسلام عرضا سليما خاليا من شوائب التزمت والشموذة ، وفى حاجة الى دراسات جادة عن حركة الاسلام وموقفها من التبشير الصليبى العميل للاستعمار من كل مذهب ولون ، وفى حاجة الى دراسات تتعقب الشبهات والمفتريات التى يلصقها بالاسلام واصوله ذوو الأهواء من المستشرقين ، ومرضى الضمائر من المنتسبين الى الاسلام طلبا للشهرة ، وتزلفا الى جبهات تملك الحرمان كما تملك العطاء ..

وحسبنا الله وحده .





للدكتور محمد محمد حسين

من هم العرب .. ؟

العروبة والجامعة العربية والقومية العربية ، كلمات يجرى استعمالها هذه الأيام فى معنى واحد هو الصفات الجامعة لذلك الجنس من الناس المسمى بالعرب .. فمن هم العرب .. ؟ لو تتبعنا مدلول هذه الكلمة على امتداد التاريخ لم نجده واحدا .. كلمة (العرب) كانت تطلق قبل الاسلام على سكان جزيرة العرب ، التى يحدّها الهلال الخصيب من جهة الشمال (العراق والشام) والتى يحيط بها خليج العرب والبحر المحيط والبحر الأحمر من الشرق والجنوب والغرب . كان هذا الجنس الذى يسكن تلك الارض هو وحده المقصود باسم (العرب) .. منه ورثنا التراث الشعرى الضخم الذى اشتدت عناية الدارسين به للاستعانة به فى ضبط اللغة العربية وعلومها وفى تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف .

فلما ظهر الاسلام وعم الجزيرة العربية على اختلاف قبائلها ، بدأت الفتوح على عهد النبى صلى الله عليه وسلم بمحاربة الروم فى غزوة مؤتة سنة ٨ هـ ، ثم فى غزوة تبوك سنة ٩ هـ ، ثم كانت واقعة اليرموك سنة ١٥ هـ فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وقد توفى فى اثنائها قبل أن يتحقق النصر للمسلمين . وتوالت الفتوح من بعد فى خلافة سيدنا عمر رضى الله عنه فى العراق ومصر وما وراءهما . ثم فى خلافة سيدنا عثمان ومن بعده .

هجرة العرب :

وتتابعت هجرة القبائل العربية الى الأمصار المفتوحة على اختلاف اسبابها .. منهم من هاجر طلبا للنجعة فى سنوات القحط وفى أوقات الجفاف على عادتهم في الجاهلية ، ثم طابت له الحياة فاستقر فى موطنه الجديد . ومنهم من ذهب مع الجيوش الفاتحة ثم لم يعد . ومنهم من هاجر استجابة لدعوة أمراء العرب فى هذه الأمصار ، الذين رأى بعضهم أن يستقدم بطونا من عشيرته يتقوى بهم ويدعم عصبيته ، كما حدث فى ولاية الوليد بن رفاعة على مصر فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى حين استقدم القيسية . ومنهم من هاجر التماسا لسعة العيش فى هذه البلاد .

وكان العرب فى أول الأمر ، وعلى امتداد الدولة الأموية ، يترفعون عن الاختلاط بأبناء البلاد المفتوحة . وكانوا يعتزّون بأنسابهم فى قبائلهم . ولذلك حرضوا على حفظها من الاختلاط بغيرهم ، وعاشوا حياة أقرب الى البداوة ، فى منازل أشبه بثكنات الجيوش فى خطط منعزلة ، كالكوفة والبصرة فى العراق ، والفسطاط فى مصر ، والقيروان فى المغرب . لذلك ظل اسم (العرب) طوال الدولة الأموية يطلق على المنتسبين الى هذا الجنس ممن قدموا على الأمصار المفتوحة ، وذلك فى مقابل اسم (الموالى) الذى كان يطلقه العرب على من عداهم من الأجناس فى هذه البلاد ترفعا واستعلاء . وذلك باستثناء بلاد الشام التى بدأ اختلاط العرب فيها بأهل البلاد منذ الفتح ، لانتشار العنصر العربى فيها من عهد بعيد قبل الاسلام ، ثم ساعد انتقال العاصمة اليها فى عهد الأمويين على زيادة هذا الاختلاط . كانت البلاد المفتوحة فى أول عهدها بالفتح تطلق على الغزاة الفاتحين اسم (العرب) ، تمييزا لهم من سكان البلاد الأصليين ، الذين كان بعضهم لا يزال على دينه . وبذلك كان اسم (العرب) مرادفا لمعنى (المسلمين) .

التعريب :

وانتشر الاسلام شيئا فشيئا فى هذه البلاد المفتوحة .. وانتشرت معه اللغة العربية التى لا غنى للمسلم عنها فى معرفة دينه وإقامة شعائره وحفظ كتابه . ثم جاء تعريب الدواوين فى أيام عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) ونقلها الى أيدى المسلمين بعد أن كان يتولاها أهل البلاد من غير المسلمين ، ويدونونها باللغة الفهلوية (الفارسية القديمة) فى العراق وبالرومية فى الشام وبالقبطية (المصرية القديمة فى العصر المسيحى) فى مصر . فزاد انتشار اللغة العربية . ولم ينته القرن الأول الهجرى حتى كانت اللغة العربية لغةً للتخاطب والتعامل والتدوين فى هذه البلاد جميعا ، واصبح الاسلام دين

السواد الأعظم من سكانها ، وكادت لغات البلاد القديمة تنسى بعد أن اقبل الناس على العربية ، قرآنا وحديثا وشعرا ولغة ، يحاولون إتقانها ومنافسة العرب انفسهم فيها .

وعلى توالى الأيام زاد امتزاج العرب فى الأمصار بأبناء البلاد ، بالتصاهر وبتداخل المصالح ، واختلطت انسابهم بتوالى الأجيال ، فضعفت العصبية العربية المبنية على النسب تبعا لذلك (تاريخ ابن خلدون ٦ : ٣ طبع بولاق) . وزاد الزواج والتسرى من ناحية أخرى بين العرب بغير العربيات فى العامة والخاصة ، حتى اصبح الخلفاء فى أواخر الدولة الأموية ، من بعد الوليد بن يزيد ، وفى سائر الدولة العباسية ، من بعد الأمين بن الرشيد ، من أمهات غير عربيات . وزاد على مَرّ الأيام عدد الفقهاء والشعراء والمشتغلين بالعلوم العربية والذين يشغلون المناصب الخطيرة الشريفة من غير العرب . بل سادت عناصر غير عربية وتسلطت على الدولة منذ عصر المعتصم . وزاد خطرها منذ تجرأ الترك على قتل المتوكل .

الاسلام اولا ..

وبذلك انتهت النعرة العنصرية العربية ، واصبحت الصبغة الظاهرة فى البلاد الاسلامية على اختلافها هى الاسلام ، واصبحت اللغة العربية وعلومها وآدابها حظا شائعا بين العرب وغير العرب بلا تمييز . بل اصبح عدد المشتغلين بها والذين يدونون بها شعرهم ونثرهم وفكرهم ومعارفهم من غير العرب اكثر عددا واغلب شهرة . فأبو حنيفة الفقيه (١٥٠ هـ) فارسى ، والبخارى شيخ المحدثين (٢٦٥ هـ) تركى ، وسيبويه أبو النحو (١٨٣ هـ) فارسى ، وصلاح الدين الأيوبى بطل الحروب الصليبية (٥٦٤ هـ) كردى ، ومحمد بن إسحق اول من دوّن السيرة النبوية (١٥١ هـ) فارسى . والطبرى شيخ المؤرخين والمفسرين (٣١٠ هـ) تركى ، وابن سينا أبو الطب العربى الذى ظلت كتبه تدرس فى جامعات اوروبا طوال العصور الوسطى (٤٢٨ هـ) أفغانى . وبذلك صح أن توصف هذه البلاد جميعا بأنها عربية ومسلمة فى آن واحد ، دون أن تغلب فيها احدى الصفتين على الأخرى .

من هذا العرض يتبين لنا بوضوح أن البلاد العربية كلها من الخليج العربى شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا — فضلا عما وراءها شرقا من بلاد ارتدت بعد ذلك عن عروبتها — ليس لها تاريخ فى العروبة يسبق الاسلام ، بل إن عروبتها فى الحقيقة تتأخر عن اسلامها . وهذه العروبة لم تجئها الا من طريق الاسلام وبسببه . ذلك بأن الاسلام دعا المسلمين الى أن يحبوا العرب ويلتفوا حول رايتهم ويتخذوا العربية لغة جامعة لشملهم . روى الحاكم فى المستدرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « من أحب العرب فبحبى أحبهم . ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم » . وعن أبى هريرة أنه قال « أحبوا العرب وبقاءهم . فإن بقاءهم نور فى الاسلام . وإن فناءهم ظلمة فى الاسلام » . وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه انه قال « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » . وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلا يتكلم بالفارسية وهو يطوف حول الكعبة فأخذ بعضديه وقال « ابتغ الى العربية سبيلا » . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيّن بوضوح أن العربى هو من تكلم العربية ، حيث يقول « يا أيها الناس . إن الرب واحد وان الأب واحد وان الدين واحد . من تكلم بالعربية فهو عربى » .

من أجل ذلك كان التفريق بين العروبة والاسلام فى ايامنا هذه لا يستند

الى اساس . فالاسلام هو الذي اعطى للعرب لغتهم ووحدهم عليها وعلى القيم التى تضمنها كتابه وسنة رسـوله . فالتقت قلوبهم وعقولهم وأمزجتهم على ما يحلون وما يحرمون ، وما يحبون وما يكرهون ، وما يستملحون وما يستقبحون ، وتوحدت انماط حياتهم فى عباداتهم وفى أفراحهم وفى احزانهم وفى نظمهم داخل بيوتهم وخارجها . لأنهم فى ذلك كله كانوا محكومين بالفقه وبالآداب والفنون التى نشأت ونمت وترعرعت فى ظل الاسلام ، وخضعت لأحكامه ، وتأثرت بقيمه ومزاج شعوبه . فاتجه النحت والتصوير مثلا الى الانماط العربية المعروفة المبنية على الخطوط والدوائر ، والى تجميل الحروف الكتابية والافتنان فى تنسيقها ، مبتعدا عما نهى عنه الاسلام من إبراز الشخوص الانسـانية أو الحيوانية وتمثيلها ، واصبح لهذا الفن شخصية بارزة متميزة يستملحها غير العرب وغير المسلمين ، حتى رأينا بعض نصارى الغرب يزينون كنائسـهم بأحجار قد نقشت عليها آيات قرآنية مما بقى من آثار العرب فى الأندلس بعد خروجهم ، وهم يجهلون أن هذه النقوش ليست سـوى آيات قرآنية . ثم ان القرآن ضمن للغة العربية ولخطها ثباتا واستمرارا لا نظير له فى سـائر لغات العالم التى تتعرض للتبديل والتغيير والتحوير . لأن المسلمين رفضوا كل تغيير أو تبديل أو تطوير يبعدهم عن فهم النص القرآنى والأصول الاسلامية من حديث وفقه أو يحول دون قراءتها وتذوق بلاغتها وإعجازها . وبذلك أصـبح التراث الفكرى الاسلامى كتابا مفتوحا يتنقل القارىء بين صفحاته وفصوله من أوله الى آخره ، يقرأ للمتقدمين السابقين من الأولين كأنه يقرأ لشعراء ولكتاب معاصرين .

ولم يقتصر الأمر على قيام هذه الروابط الاسلامية الجامعة بين العرب . فقد امتدت آثارها الى سـائر المسلمين ، الذين تأثروا بهذه القيم والنظم الخلقية والاجتماعية ذاتها ، والذين إن فاتهم اتخاذ العربية لغة لهم ، فلم يفتهم اتخاذ حروفها لتدوين تراثهم ومعارفهم . لم يشذ عن ذلك الا الترك منذ الثورة الكمالية والجمهوريات التركية الجنوبية فى روسيا منذ الثورة البلشفية والاندونيسيون فى ظل الاستعمار الهولندى .

ومن أطرف ما قرأته فى صلة العروبة بالاسلام قول سمث (د. ك. سمث) فى كتابه « الاسلام فى العصر الحديث » الذى ظهر سنة ١٩٥٧ : ان العرب المسلمين لا يعتبرون غير المسلمين من بنى جنسهم كاملى العروبة ، كما أنهم لا يعتبرون المسلمين من غير العرب كاملى الاسلام ..

من أين إذن جاء التشكيك فى هذه الصلة بين العروبة والاسلام .. ؟ فزعم بعض الزاعمين أن الاسلام ليس عنصرا أصيلا فى مقومات العروبة .. ؟ وأراد آخرون أن يعرّوا الاسلام من صفته العربية .. ؟

متى نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام .. ؟

حين نشأت الدعوة المعاصرة الى القومية العربية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، أو ما كان يسمى وقتذاك بالجامعة العربية ، ويعنون بها الرابطة الجامعة لشمل العرب ، كان العرب يشكلون الجزء الاكبر من الدولة العثمانية . واتخذت الدعوة فى أول أمرها شكلا ثقافيا يعنى ببعث التراث العربى ، والعناية بانشاء صحافة ومسرح عربى ، والدعوة الى الاهتمام باللغة العربية وجعلها لغة

التعليم والقضاء والدواوين فى البلاد العربية بدلا من اللغة التركية التى كانت هى اللغة المستعملة وقتذاك فى هذه المجالات . وكانت كثرة كبيرة من رجال الرعيل الأول من هذه الحركة وفى هذا البعث من مسيحيى لبنان مثل البستانى واليازجى والشدياق واديب اسحق ونقاش وشميل وتقلا ومشاقة وزيدان ونمر وصرّوف . واغلبهم ممن اتصلوا بالارساليات الانجليزية الامريكية ، التى بدأت تتوارد على بيروت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر لنشر مذهبهم البروتستنتى . واكثرهم فى الوقت نفسه ينتمون الى الماسونية . فابراهيم اليازجى (١٨٤٧ — ١٩٠٦ م) وأبوه ناصيف اليازجى (١٨٠٠ — ١٨٧١ م) كانا على صلة حسنة بالارساليات الامريكية الانجليزية . وكانا يترددان على مطبعتهم فى بيروت ، التى كان يشرف عليها وقتذاك الدكتور فانديك . وقد علّم اليازجى الكبير فى مدارسهم ، وأعان ابنه فى ترجمتهم التوراة الى العربية . ثم قدم بعد ذلك الى مصر ومات بها . واحتفلت المحافل الماسونية فى مصر والاسكندرية بتأبينه . وهو صاحب القصيدتين المشهورتين فى استنهاض همم العرب ودعوتهم الى احياء أمجاد آبائهم ورفض التجبر والاستبداد :

دع مجلس الغيد الأوانس وهوَى لواحظهِا النواعس

واختها التى مطلعها :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

وهو صاحب مجلة (الضياء) بما حوت من مباحثه اللغوية . وقد اتم الابن ما بدأ به أبوه من شرح ديوان المتنبى وسماه « الجوهر الفرد والعرف الطيب فى شرح ديوان أبى الطيب » .

ومن مؤسسى هذه النهضة أيضا بطرس البستانى (١٨١٩ — ١٨٨٣ م) . وقد كان أيضا على صلة بدعاة المذهب الانجيلى البروتستانت من الامريكان ، وتولى منصب الترجمة فى قنصلية امريكا ببيروت . وأعان الدكتور سميث المبشر الامريكى ، ثم الدكتور فانديك من بعده ، فى الترجمة البروتستانتية للتوراة التى تمت فى سنة ١٨٦٤ م ثم طبعت فى أمريكا سنة ١٨٦٦ . وأعان الدكتور فانديك أيضا فى انشاء مدرسة عبية الامريكية ، وهى مدرسة عليا ترجع أهميتها الى انها كانت تقوم بتدريس العلوم الحديثة من جغرافيا وطبيعة وكيمياء ورياضة باللغة العربية . وقد وضعت لذلك كتبا خاصة قامت بطبعها ، فشاركت بذلك فى حركة الاحياء العربية . وبطرس البستانى مع ذلك هو صاحب القاموس العربى (محيط المحيط) . وهو صاحب دائرة المعارف المعروفة باسمه ، اتم منها ستة مجلدات ، وتوفى وهو فى بدء السابع ، فأتمه واتم الثامن ابنه سليم . ثم توفى ابنه قبل أن يتم التاسع ، فأصدر أبناؤه الباقون بمعاونة ابن عمه سليمان البستانى (مترجم الالياذة الى العربية) الأجزاء الباقية (التاسع والعاشر والحادى عشر) . وقد ساهم بطرس البستانى مع ذلك كله فى النهضة الصحفية العربية بانشاء ثلاث صحف ، وهى (الجنان) و (الجنة) و (الجنَيْنة) .

ومن الذين شاركوا فى هذه النهضة أيضا من مسيحيى لبنان فارس الشدياق (١٨٠١ — ١٨٨٧) ، الذى تسمى بعد اسلامه على يد باى تونس بأحمد فأصبح اسمه (أحمد فارس الشدياق) . ترك فى أول حياته مذهبه المارونى واتبع المذهب الانجيلى على يد المرسلين الأمريكان ، فتولوا حمايته من بطش رجال الاكليروس الذين حبسوا اخاه وعذبوه حتى مات وهو فى سجنهم بسبب تغييره مذهبه . حضر على نفقتهم الى مصر فى أيام محمد على . ثم

طوّف كثيرا بين دول أوروبا والأستانة وتونس ومصر . ووصف كثيرا من هذه الأسفار فى صحيفته (الجوائب) التى أصدرها سنة (١٨٩١ م — ١٢٧٧ هـ) . وقد استدعته جمعية ترجمة التوراة البروتستانتية فى لندن سنة ١٨٤٨ م فأعان فى ترجمتها الى العربية . وله كتب كثيرة تغلب عليها النزعة اللغوية ، أهمها (سرّ الليال فى القلب والإبدال) و (الساق على الساق فيما هو الفارياق) و (الجاسوس على القاموس) . وله مع ذلك شعر كثير فى مدح سلاطين آل عثمان وباى تونس . وهو صاحب المقامات التى نالت فى زمانها شهرة كبيرة والمعروفة باسم (مَجْمَع البحرين) .

ومن دعائم هذه النهضة أيضا سليم تقلا مؤسس صحيفة (الأهرام) المصرية (١٨٤٩ — ١٨٩٢ م) . تلقى علومه فى مدرسة عبية التى انشأها المبشر الامريكى الدكتور فانديك أحد مؤسسي الجامعة الامريكية ، التى بدأت سنة ١٨٦٦ م باسم (الكلية السورية الانجيلية) .

ومنهم جورجى زيدان (١٨٦١ — ١٩١٤ م) . كان على صلة بالمبعوثين الامريكان . وكان يدعى الى احتفالات الخريجين بكليتهم . ثم التحق بالجامعة الامريكية سنة ١٨٨١ لدراسة الطب . وغادرها دون أن يتم دراسته فى العام التالى . وهو صاحب المباحث المعروفة فى اللغة العربية وآدابها . ومؤلف سلسلة من القصص التاريخية العربية وهى (فتاة غسان) و (عذراء قريش) و (١٧ رمضان) و (غادة كربلاء) و (الحجاج بن يوسف) و (فتح الأندلس) و (شارل وعبد الرحمن) و (أبو مسلم الخراسانى) و (العباسة أخت الرشيد) و (الأمين والمأمون) و (فتاة القيروان) و (صلاح الدين ومكايد الحشاشين) و (شجرة الدر) . وهو مع ذلك كله مؤسس مجلة (الهلال) التى لا تزال تصدر حتى الآن .

منذ ذلك الوقت نشأت التفرقة بين العروبة والاسلام على يد هذه الطائفة من المفكرين والكتاب . ولم يعد اسم (الجامعة العربية) مرادفا لاسم (الجامعة الاسلامية) .

الجامعة الاسلامية :

والواقع ان الذين دعوا الى الجامعة العربية فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى كانوا مختلفين فى تصورهم لهذه الجامعة ، متباينين فى أغراضهم التى يستهدفونها من وراء هذه الدعوة . كانت الجامعة الاسلامية وقتذاك هى الرابطة التى تربط أجزاء الدولة العثمانية تحت راية السلطنة العثمانية التى جمعت بين الزعامة السياسية والزعامة الدينية منذ تلقب سلاطينها بلقب الخلافة الاسلامية فى القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) . وقد زاد نفوذ هذه الجامعة فى قلوب الناس منذ عنى السلطان عبد الحميد بتدعيمها وبدعوة الناس الى الالتفاف حول رايتها والاعتصام بها فى وجه الأطماع الاستعمارية التى كانت تنتظر بفارغ الصبر الوقت الملائم لاقتسام أملاك هذه الدولة . وكانت لغة التعليم والادارة فى البلاد العربية التى تكوّن الجزء الأكبر من الدولة العثمانية هى اللغة التركية . بها كان يجرى التعليم فى المدارس على اختلاف أنواعها . وبها كانت تجرى المرافعات فى المحاكم . وبها كانت تدوّن المعاملات الحكومية فى مختلف الدواوين . ومن هنا نشأت الدعوة أول ما نشأت تدعو الى الاهتمام باللغة العربية واتخاذها لغة للتعليم والادارة فى

البلاد العربية ، مع منح هذه البلاد شيئا من الاستقلال الجزئى الذى يبرز شخصيتها العربية فى داخل إطار الدولة العثمانية ودون خروج على وحدتها الجامعة .

وكان بعض دعاة ما سمى فى ذلك الوقت بالجامعة العربية من المسلمين خاصة لا يرى تعارضا بينها وبين الجامعة الاسلامية ، التى يدينون بها ويسلمون بأنها هى الجامعة الاولى والأهم بين المسلمين فى سائر بلاد الارض . بل كانوا يرون فى الاهتمام باللغة العربية شداً لأزر هذه الجامعة التى بها يقيم المسلمون صلواتهم وشعائر دينهم وأذكارهم فى تلاوة القرآن الكريم وخطبة الجمعة وخطبتى العيدين . وبها يتحتم على المسلم أن يلتمس التفقه فى أصول دينه .

ولكن فريقا من هؤلاء المسلمين انفسهم ، الذين يتمسكون بالجامعة الاسلامية ، كان يرى التفرقة بين الخلافة وبين السلطنة ، بجعل الخلافة فى العرب والسلطنة فى الترك . وحجتهم فى ذلك أن العرب هم أقدر الناس على فهم الاسلام وتبليغه . بلغتهم نزل كتابه ، ومن بينهم اصطفى الله نبيه ، وبين أحضانهم نشأت الدعوة اليه ، ومنهم كان الرعيل الأول من المجاهدين فى سبيل نشره والدعوة اليه . وذلك مع تسليمهم بأن الترك هم اقوى الشعوب الاسلامية واقدرها على الوقوف فى وجه المطامع الاستعمارية فى بلاد العرب على وجه الخصوص . ولذلك فهم أحق الناس بالزعامة السياسية .

فصل الدين عن الدولة :

وكان ذلك هو رأى الكواكبى الذى بدا واضحا فى آخر كتابه (أم القرى) ، ومن ذهب مذهبه واتبع طريقه من دعاة الجامعة العربية ، الذين ابتدعوا لأول مرة التفرقة بين السلطة السياسية والسلطة الدينية ، أو المرجع الدينى على الأصح ، لأن هذه التفرقة تترك الدين فى واقع الأمر بلا سلطة .

وكان هناك فريق ثالث من المسلمين أنفسهم واقعا تحت تأثير الدعوات القومية المتطرفة التى اشتدت حركتها فى أوروبا فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وهؤلاء كانوا يتصورون الجامعة العربية تصورا قوميا خالصا ويجردونها من كل صلة بالدين . وكان الهم الأكبر والشغل الشاغل لهذا الفريق هو انشاء دولة عربية مستقلة على النمط القومى العربى الذى يقوم على مؤسسات ديموقراطية قوامها ارادة الشعب الممثلة فى مجالس نيابية منتخبة . وكانت هذه الجامعة العربية التى يتوسلون بها الى انشاء دولة عربية كبرى مقصورة على الجناح الايمن لما نسميه الآن بالعالم العربى ، أى القسم الآسيوى وحده من هذا العالم . وكانوا فى معظمهم واقعين تحت تأثير الفكر المستمد من كتّاب الثورة الفرنسية ومفكريها من ناحية ، ومن فلاسفة عصر النهضة اللبراليين فى أوروبا ، الذين دعوا فى صدامهم مع الكنيسة الى فصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية من ناحية أخرى . وقد ظن هؤلاء أن التقدم الاوروبى الحديث هو ثمرة من ثمرات هذه النهضة ، التى قضت على سلطة الدين وحررت منه رجال السياسة والعلم والاقتصاد . ولذلك فالنهضة العربية عندهم لا تصح الا على هذا الاساس . وهذا الفريق يلتقى فى تفكيره مع غلاة القوميين من الترك ، الذين يدعون الى القومية الطورانية ، والذين كان اكثرهم منضما الى حزب الاتحاد والترقى . بيد أن الأخيرين كانوا يختلفون مع القوميين العرب فى أنهم يرون فرض الصبغة التركية واللغة التركية على كل أجزاء الدولة ، ومنها البلاد العربية ، مع تجريد السلطة السياسية من الدين ، والتخلى عن لقب الخلافة ، أو الاقتصار على استغلاله فى تدعيم نفوذ الدولة بين العناصر غير التركية من المسلمين .

العروبيون والاسلاميون :

اما المسيحيون ممن قدمنا ذكر بعض رجالهم فقد كان من الطبيعى أن يكونوا ضمن الفريق الذى يرى الجامعة العربية جامعة قومية خالصة ، لأنهم غير داخلين بحكم مسيحيتهم فى الجامعة الاسلامية ، وليس لهم ولاء قلبى لها ، فكل الذى يربطهم بالدولة هو الولاء السياسى . وكان من الطبيعى أن يجد الاستعمار والصهيونية فى هذا الفريق الاخير من المسلمين والمسيحيين على السواء صيدا ثمينا يمكن أن يلتقى معه فى فترة مرحلية تمهد لتحقيق أغراضه . فالاستعمار الانجليزى كان طامعا فى العراق وفى مصادر البترول الذى كانت البحوث الجيولوجية تشير الى احتمال ظهوره ، كما كانت البحوث الاقتصادية تشير الى تزايد أهميته الصناعية .

وفرنسا كانت تطمع فى الشام للرابطة الدينية والاقتصادية التى تربطها بمسيحييه على الساحل ، وللحصول على مصادر البترول ، الذى كان ظهوره متوقعا فى الاجزاء الشمالية من حوض الفرات . وقد اصبحت الحدود بينهما وبين منطقة النفوذ الانجليزى فى العراق مثار نزاع بين الدولتين عقب الحرب العالمية الاولى لهذا السبب .

والصهيونية العالمية كانت طامعة فى الاستيلاء على فلسطين واتخاذها وطنا قوميا لليهود . ولا سبيل الى ذلك إلا بانحلال الدولة العثمانية ، بعد أن عجزوا عن الوصول الى موافقة السلطان عبد الحميد على زيادة الهجرة اليها وتملك الارض فيها . كان الفرقاء الثلاثة يلتقون عند اسقاط الدولة العثمانية وتمزيقها ، ويرون أن بث الفرقة بين العرب وبين الترك يساعد على بلوغ هذا الهدف . وقد نجح الفرنسيون فى استمالة فريق من المسيحيين — ومن الكاثوليك منهم على وجه الخصوص — باسم الدين ، فكانت الجامعة العربية او القومية العربية تمثل فى نظر هذا الفريق فترة مرحلية ينتقلون منها بعد الاستقلال عن الدولة العثمانية الى الولاء الفرنسى .

هذه الظروف والمناسبات التى واكبت نشأت الجامعة العربية فى العصر الحديث ادت الى سوء ظن متبادل بين العروبيين والاسلاميين . وزاد فى سوء الظن عند الاسلاميين أن الشريف حسين حالف الانجليز بعد ذلك ضد الدولة العثمانية لقاء وعد منهم بالمساعدة فى إقامة دولة عربية يجعلونه على رأسها ، وينقل الخلافة الاسلامية اليه بعد زوال الخلافة العثمانية . فالاسلاميون يرون أن هذه الدعوة العربية التى نشأت فى حضانة أمريكية صهيونية ، والتى تساندها انجلترا وفرنسا وتمدانها بالمال والسلاح لا يمكن أن تخدم إلا مطامع الاستعمار والصهيونية .

وذلك هو ما عبر عنه شكيب أرسلان فى خطابه الموجه الى الشريف حسين حين بلغه عزمه على غزو سوريا مع جيوش الحلفاء فى الحرب العالمية الاولى . فهو ينهاه عن المضى فيما هو فيه من دعوة زعماء السوريين للخروج على الدولة العثمانية والالتحاق بالجيش الحسينى العربى ، ويحذره عاقبة هذه الغارات التى يضرب فيها العرب بالعرب ، فيقول له فيما يقول « أتقاتل العرب بالعرب أيها الامير ، حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم ومقتولهم استيلاء انجلترا على جزيرة العرب ، وفرنسا على سورية ، واليهود على فلسطين ؟ » . ثم يخاطب القائمين بالدعوة قائلا « قل لهؤلاء القائمين بالدعوة العربية ، الناهضين لحفظ حقوقها وأخذ تاراتها : ماذا الى اليوم أمنوا من حقوق العرب بقيامهم .. ؟ ليقولوا لنا

ماذا أقاموا للعرب من الملك حتى نشكرهم ونقر بفضلهم ، لأننا عرب نحب كل من أحب العرب ، ونبغض كل من ابغض العرب . ولا نبالى بالقيل والقال أمام الحقائق » .

ولذلك السبب نفسه هاجم الشاعر العراقى معروف الرصافى دعاة الجامعة العربية حين عقدوا مؤتمرهم فى باريس سنة ١٩١٣ بعد أن كان مؤيدا لهم يؤ.. ازر دعوتهم بشعره ، وذلك فى قصيدته (ما هكذا) التى بداها بقوله :

أصبحت أوسعهم لوما وتثريبا	لما امتطوا غارب الإفراط مركوبا

وفيها يقول :

إنى لأبصر فى (بيروت) قائبة	للشر موشكة أن تخرج القوبا
لو كان فى غير (باريز) تألبهم	ما كنت أحسبهم قوما مناكيبا
لكن (باريز) ما زالت مطامعها	ترنو الى الشام تصعيدا وتصويبا
ولم تزل كل يوم فى سياستها	تلقى العراقى فيها والعراقيبا
هل يأمن القوم أن يحتل ساحتهم	جيش يدك من الشام الأهاضيبا

أما العروبيون فقد كانوا من ناحيتهم يحتجون بأن الدولة قد أصبحت بعد عزل السلطان عبد الحميد فى يد طائفة من غلاة الطورانيين الذين تنطق صحفهم واعمالهم منذ تولوا الحكم بميولهم الالحادية وبمحاربتهم للاسلام والمسلمين واتخاذهم الوزراء من اليهود* . ثم انهم كانوا يدافعون عن محالفتهم لانجلترا وفرنسا بأن الدولة العثمانية قد حالفت المانيا . وكيف يكون جهادا اسلاميا ، وكيف تكون حربا مقدسة ، تلك الحرب التى تخوضها دولة الخلافة الاسلامية فى ركاب دولة مسيحية هى المانيا .. ؟

وانتهت الحرب العالمية الاولى .. ووزع المشرق العربى بين انجلترا وفرنسا كما توقع شكيب أرسلان .. أما المغرب العربى فقد كان شطر منه فى يد فرنسا من قبل . وكانت مصر فى قبضة جيوش الاحتلال الانجليزية منذ الثورة العرابية . وكانت ليبيا محتلة بالجيوش الايطالية منذ غزتها قبيل الحرب العالمية . عند ذلك بدأ الاسلاميون يعيدون التفكير فى الموقف الذى آل اليه أمر المسلمين والعرب . ورأوا أن البديل الوحيد من الجامعة الاسلامية بعد هزيمة تركيا وزوال الخلافة الاسلامية هو الجامعة العربية . أما دعاة الجامعة العربية السابقون فقد انقسموا شيعا . فالاسلاميون منهم ظلوا ثابتين على دعوتهم لم يغيروا ولم يبدلوا . وغلاة القوميين من المتأثرين باللبراليين والقوميين الغربيين ظلوا على ما كانوا عليه من الدعوة الى جامعة عربية مجردة من الاسلام غير مرتبطة به . وبعض الضعفاء منهم ممن تولوا المناصب فى ظل التقسيم الجديد الخاضع للاستعمار ركنوا الى الدعة وسكنوا الى النظم التى يعيشون فى ظلها ، بل اصبح بعضهم يدافع عن مصالحه فى هذه الكيانات المفتعلة الجديدة . أما الذين كانوا يتخذون الدعوة الى الجامعة العربية ستارا للتخلص من الدولة العثمانية واستبدال الاستعمار الفرنسى بها — وهم لا يمثلون إلا قلة ضئيلة من بعض مسيحيى الشام* — فقد أصبحوا متمسكين بوضعهم الجديد ، يعارضون كل تغيير أو تبديل فيه .

رد الفعل :

والواقع أن لهذا النفر من المسيحيين عذرهم فيما ذهبوا اليه . فقد لقى هؤلاء من عنت الحكام ومن فساد الادارة فى أواخر أيام الدولة العثمانية ما نفرهم من الارتباط بالحكم الاسلامى جملة ، ودعاهم الى تفضيل الاستعمار الفرنسى عليه . ومن الواضح أن تفكيرهم على هذا النحو هو ضرب من ضروب (رد الفعل) الذى يتسم دائما بالغلو والافراط والبعد عن الروية والحكمة .

فرد الفعل عمل عصبى مرتجل لم يمحصه العقل ، وهو يتسم دائما بالعنف . فالذى يفر من النار قد يقذف بنفسه فى البحر أو يقفز من علو شاهق . والذى يؤدب ولده لخطأ ارتكبه وهو فى سورة غضبه قد يؤذيه أو يقتله . والذى يقع تحت تأثير حزن عميق مفاجىء قد يسرع الى التخلص من الحياة انتحارا . وكل هذه صور من ردود الفعل الخاطئة التى يمكن أن يتفادى صاحبها ضررها وخطرها لو انه أمسك عن التصرف فى سورة غضبه أو حزنه أو خوفه ، ثم عاد للتفكير ولتقدير الموقف وحساب ما له وما عليه فى روية وهدوء وتعقل . فلنعد التفكير إذن معا فى هدوء .

عروبة اسلامية :

العروبة بطبيعتها وبحكم نشأتها ونموها وازدهارها والعوامل التى ضبطت هذا الازدهار والتطور هى عروبة اسلامية . وقد ساهم فى تطورها الحضارى على مدى القرون والأجيال عناصر عربية غير مسلمة . ولكن مساهمتها ظلت فى داخل الإطار الاسلامى الذى لم يكن يسمح لأحد بالخروج عليه . ولم تجد هذه العناصر العربية من غير المسلمين غضاضة فى أن تساهم فى بناء هذه الحضارة فى الحدود الاسلامية ، لأن هذه الحدود لم تكن تتعارض مع عقائدهم . بل ان تخطى هذه الحدود والخروج عليها فى كثير من الاحيان هو فى الوقت نفسه خروج على حدود دينهم وخوض فيما يحرّمه . وكان الاسلام يمنح هذه العناصر كل حرياتها الدينية ويحظر التضييق عليها أو ممارسة أى لون من الوان الضغط لحملها على ترك دينها والدخول فى الاسلام . بل لقد كان الاسلام الذى يبيح للمسلم أن يتزوج غير المسلمة من الكتابيات يمنعه من إجبارها على ترك دينها واعتناق الاسلام . وقد ماتت أم خالد بن عبد الله القَسْرى وهو من كبار ولاة الدولة الأموية فى العراق على نصرانيتها . وكان ذلك مدعاة لتجنى أعدائه عليه ، كالذى نراه فى شعر الفرزدق حين يهاجمه قائلا :

الا قطع الرحمن ظهر مطية	اتتنا تَمَطّى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وامه	تدين بأن الله ليس بواحد
بنى بيعة فيها الصليب لأمه	وهدّم من كفر مَنَارَ المساجد

ونصوص القرآن صريحة فى تأمين اليهود والنصارى وفى رعاية حقوقهم وتفويض الأمر فينا وفيهم لله . فالله سبحانه وتعالى يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المنزّل عليه بقوله : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم . ونحن له مسلمون » (آل عمران ٨٤) . ويخاطبه فى موضع آخر بقوله تعالى : « فلذلك فادع . واستقم كما أمرت . ولا تتبع أهواءهم . وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم . الله ربنا وربكم . لنا أعمالنا ولكم اعمالكم . لا حجة بيننا وبينكم . الله يجمع بيننا واليه المصير » (الشورى ١٥) . والمسلمون هم المخاطبون بقول الله تعالى فى شأن اليهود والنصارى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن ، الا الذين ظلموا منهم — أى الذين يبدعونكم بالعدوان — وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وانزل اليكم . وإلهنا والهكم واحد . ونحن له مسلمون » (العنكبوت ٤٦) .

التسامح الاسلامى :

والدليل الناصع على أن المسلمين التزموا على مر الأجيال وعلى اختلاف الدول ما أمرهم به دينهم من إنصاف أهل الكتاب وتأمينهم على دينهم وعلى أموالهم وانفسهم واعراضهم هو وجود هذه الجاليات الكبيرة بين اظهرهم فى

مختلف بلادهم من النصارى واليهود . وهو سلوك لا نوفيه حقه ولا ندرك قيمته الا اذا قارناه بما يقابله من صنيع محاكم التفتيش فى الأندلس بعد أن غادرها المسلمون . فقد لقى غير المسيحيين من المسلمين واليهود على يديها من التنكيل ما تسود له صفحات التاريخ . وانتهى الامر الى استئصالهم جميعا فلم تبق منهم باقية .

فالعروبة إذن شخصية معنوية لهـــا وجود تاريخى حقيقى ذو مقوّمات ثابتـــة محدودة لا لبَس فيها ولا غموض . وليست مولودا جديدا تقترح له المقومات وتخترع له الأسس والمبادىء فى مصانع دعاة العروبة على اختلاف اجنحتهم وزعاماتهم . ولنسأل أنفسنا فى رؤية يحكمها عقل مجرد من الأهواء : ما هو البديل من عروبة اســــلامية .. ؟ العروبة لا يمكن أن تكون نصرانية ولا يمكن أن تكون يهودية ، لأن المسلمين يكوّنون لكثرة الكاثرة للعرب . فهل يكون البديل فى البلاد التى تسكنها كثرة نصرانية هو عروبة فى ظل حضـــانة اجنبية .. ؟ هذا أمر قد أصبح مرفوضا حتى من الذين ارتضوه بالأمس فى ظل الحكم العثمانى . وقد شارك المسيحيون أنفسهم فى الخلاص من الاستعمار الفرنسى . وكثير من الذين وقفوا مع الفرنسيين معارضين حركة الاستقلال لم يكونوا فى الحقيقة يوازنون بين الاستعمار وبين الاســــتقلال . ولكنهم كانوا يوازنون بين الاستعمار الفرنسى وبين الاستعمار الانجليزى ، الذى كان فى تقديرهم هو البديل الوحيد من الاستعمار الفرنسى ، لأنهم كانوا يظنون الاستقلال شيئا بعيد المنال غير محتمل التحقيق .

والذى لا شك فيه هو أن الاستعمار فى كل صوره لا يستمد رفاهيته إلا من التضييق على مســـتعمراته ، ولا يبنى عظمته الا على ما يســـلبه من كراماتهم . ولا ينفق على هذه المستعمرات ولا يبذل فيها من جهده لاصلاحها إلا كما ينفق المالك على مزرعته ليجنى من وراء ذلك ربحا اكبر ، وكما يُسَمِّن صاحب المزرعة ابقـاره ليأخذ منها البـانا اغزر ولحوما أثقل . وهو فى ذلك لا يفرق بين مسلمهم ونصرانيهم ويهوديهم . اقربهم اليه أعونهم له على ظلم قومه واستغلالهم . ثم ان الازدهار لا ينشأ من الثقة المتبادلة بين المستعمرين وبين بعض المواطنين ، ولكنه ينشأ من الثقة المتبادلة بين المواطنين جميعا ، بعضهم والبعض الآخر ، مســـلميهم ومسيحيهم ويهوديهم ، ما دامت الحريات الدينية مكفولة لهم جميعا على السواء .

لم يبق بعد ذلك كله من الفروض المحتملة للبديل من العروبة الاسلامية إلا أن تكون العروبة لا دينية ، بمعنى أن تكون مجردة من الارتباط بالقيم الدينية فى أى دين من الاديان . ولنتساءل من جديد : ما هى المزايا التى يمـــكن أن تحققها عروبة لا دينية ، مما تعجز العروبة الاسلامية عن تحقيقه .. ؟

ارتباط العروبة بالاسلام :

الشخصية العربية كما راينا هى شخصية عريقة تضرب عروقها فى أعماق التاريخ . وقد ارتبطت بالاسلام منذ نشأتها . ونمت وتطورت ونضـــجت فى داخل إطاره ، دون ان يكون فى ذلك تعارض مع أصول الأديان الســـماوية الاخرى التى نبعت من المنطقة ذاتها . فالاسلام هو الذى أعطى العروبة شكلها الثابت المحدد وجعل لهـــا شخصيتها المتميزة التى يلتقى عندها كل العرب ، لا يختلفون عليها ، ولا ينكرها أحد منهم أو ينفر منها . فاذا نحن جردناها من هذه القيم الدينية المسلّم بها عند كل العرب . فالماديون منهم سينزعون الى الماركسية ، فيقع الخـلاف بينهم وبين مخالفيهم ممن لا يرتضـــون هذا المذهب أســـاسا لتنظيم المجتمع . وسيشتركون مع اللبراليين فى السخرية من القيم

الدينية ومن المنظمات الدينية على اختلافها ، فيقع الصراع بينهم وبين المتدينين على اختلاف مِلَلهم . والمتحررون من الوجوديين والهيبيين وغيرهم ممن يتبعون كل ناعق يدعو الى الشهوات سينطلقون من كل قيد خلقى أو دينى ، فيؤذون كل ذي خلق وكل ذى دين .

وسيحاول فريق من الناس ان يعالج صراع الطوائف والشيع والمذاهب بالدعوة الى نظم جديدة للمجتمع فيفشلون ، ولا يزيدون على أن يضيفوا للمذاهب القائمة مذاهب جديدة تزيد فى احتدام المعركة وفى شـــدة الصراع . على ان المسيحيين الذين يخافون على أمنهم وسلامتهم وحريتهم فى ظل عروبة اسلامية هم أكثر خوفا وأبعد عن الأمن فى ظل عروبة لا دينية ، لأن الاسلام وحده هو الضامن لمنع انحراف المسلمين الى عصبية جهولة عمياء تحطم وتعتدى وتظلم . فالخطر الحقيقى على غير المسلمين من العرب لا ينجم الا اذا نشـــأ جيل من المسلمين يجهلون اسلامهم فى ظل العروبة اللادينية التى يدعو اليهـــا بعض الناس ، لأنهم قد يتعصبون عند ذلك تعصبا أعمى ينحرف بهم الى ما كان الاسلام ينهى عنه آباءهم واجدادهم طوال أربعة عشر قرنا .

ولقد جربوا ذلك فى الحكم العثمانى من قبل ، فكانوا أسوأ حالا فى حكم ملاحدة الاتحاديين بعد عزل الســـــلطان عبد الحميد . هذا الى أن قوام الديموقراطية التى يتغنى بها أهل هذا العصر هو نزول القلة على حكم الكثرة . فلماذا تجد القلة غير المسلمة غضاضة فى إقرار الكثرة المسلمة على بناء حياتهم فى ظل الاسلام وعلى هدى منه .. ؟

أصابع الصهيونية :

أما غلاة القوميين من المسلمين الذين يلتقون مع ذلك الفريق الذى أشرنا اليه من المســـــيحيين فى الدعوة الى قومية لا دينية فهم واقعون تحت تأثير ما توهموه من أن النهضـــة الاوروبية الحديثة كانت ثمرة للتمرد على الكنيسة ولتجريد الحكم من الصفة الدينية ، وهو وَهْمٌ لا يصحّ على التحقيق ولا يثبت على التمحيص . فالحركة الدينية البروتســــتانتية التى تمردت وتتذاك على الكنيسة الكاثوليكية لم تخل من أصابع الصهيونية وقد كان همها الاول هو هدم الكنيسة الكاثوليكية لأنها كانت أكبر المؤسسات التى تناصب اليهود العـداء . والبروتستانت اليوم هم أشد الطوائف المسيحية عطفا على الصهيونية وأكثرها مساندة لها ماديا ومعنويا . ثم ان الازدهار الذى حققته هذه النهضة فى أوروبا لم ينتفع به أحد كما انتفع به اليهود . جمع الثروات فى أيديهم وأمّنهم عليها مما كانوا يتعرضون له من المصادرات والتضييق والاضطهاد ، ومكن أجهزتهم من السيطرة على شئون السياسة والاقتصاد ، وأفسح الطريق أمام دعواتهم التى تنشر الالحاد والانحلال ، والتى ينفذون من خلالها الى ما يستهدفونه من السيطرة على مصائر الأمم والامساك بزمامها .

جرى ذلك كله تحت ستار الحرية والاخاء والمساواة وحقوق الانسان . وهى شعارات لم ينتفع بها حتى الآن سوى اليهود . لم ينتفع بها زنوج أمريكا . ولم ينتفع بها الأفارقة والآسيويون فى مختلف البلاد التى عانت وتعـــانى من صنوف الظلم والتسلط والاضطهاد الدينى والعنصرى .

وقد اعترف عزيز ميرهم ، وهو أحد كبار الماسون ، فى مقال له نشر فى (السياسة) الاسبوعية سنة ١٩٢٦ م بأن الذين هدموا سلطان الكنيسة فى فرنسا وفى ايطاليا هم الماسونيون ، كما اعترف بأن زعماء الثورة الفرنســـية كانوا من الماسون ، وأن مخلصهم هو الذى وضع شعار الثورة الفرنســـية « الحرية ، والإخاء ، والمساواة » . واعترف كذلك بأن تركيا نالت دســـتورها بفضل عمل محافلها . وصلة الماسونية بالصهيونية العالمية مشهورة معروفة لم تعد اليوم تحتاج الى تعريف .

ثم ان ظروف العرب اليـــوم تختلف عن ظروف أوروبا يومذاك . فليست لدى العرب جهتان تتنازعان السلطة ، إحداهما دينية والاخرى سياسية ، كما كان الشأن فى أوروبا . بل ان المسلمين لا توجد عندهم سلطة دينية متحكمة كسلطة الكنيسة التى ثار عليها المسيحيون فى نهـــاية القرون الوســـطى وفى مطلع عصر النهضة . فليس فى نظام الاسلام رجال دين . هناك علماء تحكم فتاواهم نصوص اسلامية صريحة مكتوبة بلغة يقراها كل العرب ويفهمونها ولكل قادر على فهمها ممن الم بأصول الاسلام أن يناقشـــهم فيها . وهم لا يكوّنون طائفة متميزة بعينها تنتمى الى جهاز خاص يرعاها ويدبر أمورها . ولا يملكون من السلطة والجاه والمـــــال ما كان يملكه رجال الدين فى الكنيسة وقتذاك . فكثرتهم من الفقراء الذين لا تكاد دخولهم تكفى لسد الضرورى من نفقاتهم . ذلك الى أن واقعنا يختلف عن واقع أوروبا وقتذاك وأهدافنا تختلف عن أهدافهم .

فالنهضة الاوروبية قد انتهت الى تفتيت الجامعة الاوروبية المســـيحية وتقسيمها الى دول شتى ، لكل منها لغتها الخاصة وقوميتها المســـتقلة . أما الحركة العربية فهى تستهدف جمع العرب بعد ان فرقهم الاستعمار ، وتتمسك بلغتهم العربية الجامعة لشملهم ، والتى هى وســـيلة التواصل بينهم أفرادا وجماعات ، فى كتبهم وصحفهم واذاعاتهم وندواتهم ومؤتمراتهم ومعاملاتهم .

ذلك التقليد الاعمى من جانب غلاة القوميين المتـــأثرين بحركة الإحياء وباللبرالية والعلمانية والثورة الفرنسية فى أوروبا ، يذكرنا بقصــــة رمزية قديمة ، تتحدث عن حمارين كان احدهما يحمل ملحا وكان الآخر يحمل إسفنجا . راى حامل الاسفنج صاحبه ينزل الى الماء فيذيب بعض الملح ويخرج منه أخف حملا . فخطر له أن يحصل على المزية نفسها بالاسلوب نفسه ، فكانت النتيجة على عكس ما توقعه ، وخرج من تجربته اثقل حملا .

إن ما ينفع قوما قد يضر بآخرين . وما يزكو عليه نبات من العنـــاصر والأجواء قد يقتل نباتا آخر أو يؤذيه . والناس فى ذلك — ككل خلق الله — طوائف وأمم ، يتمايزون فى الطبائع والامزجة وفى أساليب الحياة ووســـائل التقدم والرقى . وقد يقتل بعض جماعاتهم ما تصح به جماعة أخرى .

واذا كانت العروبة ضرورة اقتصادية وحربية فى مجال الصراع العالمى الذى لم يعد فيه مكان للكتل الصغيرة لضعف امكانياتها ولعجزها عن الدفاع عن نفسها أمام الطامعين ، فان الوحدة الاقتصادية والحربية لا تتم على اساس من الاقتناع العقلى وحده . ولا بد لها ، لكى تكون وثيقة ودائمة ، أن تســـتند الى احساس عام مشترك ورغبة صادقة مخلصة فى مختلف بلاد العرب وعلى امتداد أوطانهم . وهذا الاحساس العام انما هو اتجاه عاطفى وتآلف قلبى أولا وقبل كل شىء .

فادراك الفائدة التى تعود على العرب من وحدتهم الاقتصادية او الحربية أمر قد يدركه رجال الاقتصاد أو رجال الحرب أو خاصة الناس ومفكروهم على وجه العموم . أما العامة — وهم سواد الناس وكثرتهم — فلا ينساقون الى الوحدة الا بدافع من عواطفهم وما استقر فى نفوســـهم من معتقدات . وربط العروبة بالاسلام هو وحده الذى يجمع العرب على هذا الاحساس المشترك فيجعلهم يدا واحدة على عدوهم . وهو وحده الذى يمنح جهادهم صفة الاخلاص والفدائية وطول النفس فى المصابرة والجلد . على أنه يجب أن نعرف فى كل حال أن الدولة العربية الواحدة ليست هى الصورة الوحيدة للجامعة العربية . وليس التحريض على بعض النظم العربية وتقســـيمها الى نظم رجعية ونظم

تقدمية هو السبيل الوحيد للوصول الى هذه الجامعة . بل لعل هذه الصورة وهذا الاسلوب يعوّق المسيرة ويؤخر الوصول الى الهدف ويقيم فى وجهه العقبات فى بعض الاحيان .

ولكن اللب والصميم فى هذه الجامعة العربية هو الحب المتبادل باخلاص دون شائبة من ريبة أو سوء ظن بين الحكام والشعوب على الســــواء . لأن الصراع فى أى صورة من صوره لا يفيد إلا العدو ، ولأن الحب والمحاسنة بين الاخوة هو اقرب الطرق الى تقويم الاعوجاج وتلافى الأخطاء .

ذلك هو حديث العروبيين الذين يجردون العروبة من الاســـــلام ، على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم . أما الاسلاميون الذين يسيئون الظن بالعروبة أو القومية العربية ، بدعوى أنها تفتت الوحدة الاسلامية وتشق عصا المسلمين المجتمعين على الاسلام فتجعل منهم عربا وغير عرب ، فلنا معهم حديث آخر .

إن الانحراف الذى صحب الدعوة فى أول نشأتها بارتباطها بحضـــانات اجنبية لا يصح أن يكون مبررا لمعارضتها الآن . فظروف نشأتها فى ظل دولة اسلامية جامعة للشمل تختلف عن ظروفها اليوم مع تفرق الشـــمل واختلاف الكلمة . فاذا كانت هذه الدعوة قد فتّت بالأمس فى عضد الجامعة الاسلامية فهى اليوم ــ اذا صححت مســـيرتها ــ الخطوة الاولى فى الطريق الى هذه الجامعة . فالعرب هم أقرب الناس بين المسلمين الى تحقيق وحدة جامعة بحكم اللغة المشتركة التى تربط بعضهم ببعض من ناحية ، والتى تربطهم بأصول الدين الاسلامى من ناحية أخرى ، وبحكم تجمعها وتلاصـــقها فى حيز مكانى واحد لا تقوم بين أجزائه عوائق أو فواصل طبيعية . وهم بحكم هذا التقارب والتآلف واتفاق العادات والأمزجة أو تقاربها على الأقل مهيَّئون لأن يكوّنوا نواة اسلامية صلبة تشع على العالم الاسلامى من ثقافة الاسلام وتحمل من اعباء الارشاد والتوعية والرعاية ما تعجز الدول العربية متفرقة عن النهوض به .

وحـــدة البلاد الاسلامية :

فالجامعة العربية هى نقطة البدء التى لا بديل عنها فى هذه المسيرة الطويلة نحو جامعة اسلامية لا سبيل اليها الآن ، مع انشغال كل بلد من بلاد المسلمين بمشكلاته الخاصة ، ومع ترامى أطراف هذه البلاد ، وانعدام وسائل التواصل الصحيحة للاسلام ذاته الذى يُراد جمعهم عليه . فالوحدة الحقيقية المهيَّـأة اسبابها الآن هى وحدة البلاد العربية . أما البلاد الاسلامية الاخرى فلا بد أن تسبق وحدتها خطوات ، أولها نشر اللغة العربية ، التى لا تتم جامعة بغيرها .

إن مقاومة الأخطاء والانحرافات فى ادراك حدود العروبة ومقوماتهــــا بالهرب منها وبمهاجمة العروبة ذاتها هو ضرب من ضروب العجز وضيق الحيلة . والحزم فى أن تواجَه هذه الأخطاء والانحرافات بتصحيحها وبيان زيفها . وسوف تكون العروبة الاســـــلامية عند ذاك مَحَطّ آمال المسلمين جميعا ومَهْوَى قلوبهم ، لأن الذين يعادونها منهم الآن إنما يعادونها لما غلب على لسان زعمائها ومتفلسفيها من فهم عنصرى يسقط الاسلام من حسابه حينا ويعاديه ويحاربه فى كثير من الأحيان ، بعد أن ترك الاســـــلاميون لهم الميدان يسرحون فيه كما يشاءون دون رقيب أو حسيب .

والله سبحانه وتعالى هو المستعان .

---

* كان (يافيد) وزير مالية الاتحاديين يهوديا . ثم كان وزيرها من بعده (جاويد) الذى ينتمى الى طائفة (الدونمة) . وهم يهود يتسترون بالاسلام ويعيشون فى مجتمع مغلق فى (سلانيك) .

* وأقول (بعض) لأن فيهم عددا غير قليل من المتمسكين بعروبتهم المخلصين لها ..

القرآن الكريم

للأستاذ/ق . ق

لقد انعم الله سبحانه وتعالى على البشر بنعم لا تعد ولا تحصى . فلقد ميز الخالق عز وجل الانسان بنعمة العقل الذى ارتفع بواسطته عن الحيوان الأعجم . ووجدت الى جانب العقل الحواس والادراكات المختلفة . لتساعده وتزوده بالمواد الأولية للاستنتاج والاستنباط . وكانت مقدرة الانسان الفذة على الاختراع والابتكار تيسر له سبل المعرفة بصورة أسرع كلما مر عليه الزمن . وكان من المؤمل ان يشكر ذلك الانسان الضعيف خالقه لانه يسر له من الامكانات ما لم ييسر للمخلوقات حوله .. ولكن الانسان المغرور سرعان ما اغتر بما لديه من علوم وسرعان ما سيطرت عليه اكتشافاته فتمرد على خالقه الذى خلقه فسواه فعدله واضحى عبدا لمخترعاته التى صنعها بيديه .. انها رحلة طويلة عاد منها الانسان المغرور فى النهاية الى جزء من الحقيقة ، الحقيقة التى قررها القرآن العظيم قبل ثلاثة عشر قرنا الا وهى قصور العلم البشرى أو النقص الذى فطر عليه البشر .

ان العلم الالهى هو العلم الكامل الذى لا يند عنه شىء « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين** » ان العلم الالهى هو العلم الذى لا تحده الحدود : « **ولو أن ما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم** » .

وأما البشر فلا يستطيعون الاحاطة بهذا العلم . وهيهات ان يتحقق لهم شىء مما يريدون فان علوم الأولين والآخرين لو جمعت كلها فى صعيد واحد لن تكون الا بمقدار المخيط اذا دخل البحر . يقول الحق تبارك وتعالى : « **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء** » وقد نبه القرآن الحكيم مرارا الى قصور العلم البشرى فقال تعالى : « **وما اوتيتم من العلم الا قليلا** » وقال : « **ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا** » .

العلماء المسلمون : ومن اجل ذلك كان المسلمون أصحاب العقيدة السليمة بمنجى من الشطط والزلل والانحراف ، وكيف ينتابهم ذلك وهم يرتلون آيات الله ؟ وكيف يشط بهم التفكير ودعاؤهم : « **وقل رب زدنى علما** » ؟ وكيف ينحرفون وهم يعتبرون أن علومهم هى من فضل الله ومنته ، فهم يؤمنون بأن الله هو الذى « **علم الانسان ما لم يعلم** » ؟ ..

ان الحسن بن الهيثم هو عالم مسلم اكتشفت اوروبا ان هذا العالم قد ألف كتابا فى علم الضوء اسمه المناظر . ولقد كانت اوروبا عالة على هذا الكتاب طيلة خمسة قرون . ولقد تبين لها أن روجر بيكون وليوناردو دافنشى وغيرهم قد نهلوا

...

قرر :

قصور العلم البشري قبل ثلاثة عشر قرناً ثم اضطر علماء العصر الحديث أخيراً إلى الاعتراف بذلك

من هذا الكتاب بل ربما نسخوا جزءاً كبيراً من هذا الكتاب ونسبوه الى أنفسهم اى أن هذا العالم قد سبق زمنه الذى عاش فيه ـ بالنسبة للتفكير الأوربى ـ خمسة قرون على أقل تقدير . فهل انتاب هذا العالم الغرور ؟ كلا لقد كان التواضع يسيطر عليه . فكان يصدر كتبه بحمد الله والثناء واستمداد العون فى جميع الأمور من الله وحده (١) . وهذه سمة التواضع وحذف هذه العبارة أول سمة من سمات التكبر والغرور وهى المنافذ التى تؤدى الى المروق والطغيان .

الفلسفة الحسية والغرور :

اما أوروبا فقد ظهرت فيها نزعة غريبة لقد نشأ فيها صراع بين كهنة ادعوا لأنفسهم حق الهيمنة على مصائر المجتمعات وبين معسكر ادعى لنفسه حق احتكار العلم والسيطرة عليه . وظهر من المعسكر الأخير من حمل لواء الفلسفة الطبيعية الحسية ، وكانت تعضيدا لغرور الانسان بالاعتماد على الحواس فقط . وقد حمل لواءها أوجست كومت الذى تجرأ بادعائه انه يستطيع أن يضع الدين الطبيعى الحسى موضع التنفيذ . ولكن هذه الفلسفة انهارت حينما اتضح ان حواس الانسان محدودة القدرة وانه من الخطأ حصر المعرفة فى حيز ضيق محدود جدا . يقول كاميل فلامريون انه : « يوجد من الذبذبات والحركات الأثيرية أو الهوائية ومن القوى والأشياء غير المرئية ما لا نراه ولا نحس به .. هذه حقيقة علمية مطلقة وبدهية عقلية لا يمكن النزاع فيها فيمكن ان يوجد حولنا أشياء بل كائنات حية لا ترى ولا تلمس ولا تستطيع حواسنا أن تصلنا بها .. فاذا تقرر وثبت بالدليل ان اعضاءنا الادراكية لا تكشف لنا كل ما هو موجود وانها تعطينا شعورات كاذبة أو ضالة عن الكون المحيط بنا فلسنا نكون على شىء من التثبت ان اعتقدنا ان ما نراه هو كل الحقيقة بل مضطرون الى التسليم بضد ذلك قلنا ان كائنات حية يجوز ان تكون موجودة حولنا . فمن الذى كان يحلم بوجود الميكروبات قبل اكتشافها ؟ فها هى تتكاثر حولنا بالمليارات والدور الذى تلعبه فى حياة الاجسام من الخطورة بمكان ، فالمظاهر لا تكشف لنا الواقع (٢) .

انشتين عالم القرن العشرين يقر بقصور العلم البشرى : انشتين من أشهر علماء القرن العشرين وصاحب نظرية النسبية الخاصة والعامة ونظرية كموم الضوء والضوء الكهربائى والضوء الكيميائى كما انه صاحب محاولة لوضع قانون المجال الموحد . ولم يحز أى عالم الشهرة التى حازها انشتين . ومع ذلك فان هذا

العالم يقر بقصور العلم البشرى خدمة للعلم والحقيقة . يبين انشتين هـذا المعنى بعد حديثه عن جهود العلماء فى الكشف عن أسرار الطبيعة فيقول : « ولا تزال هذه القصة الغامضة دون حل ، بل انه لا يمكن الجزم بوجود حل نهائى لها . . فلا نزال بعيدين عن الحل الكامل اذا وجد وهو شىء بعيد الاحتمال . وفى كل مرحلة نحاول ان نجد تفسيرا يتفق مع الأدلة المكتشفة حتى ذلك الوقت . ولقد فسرت النظريات المبنية على التجربة كثيرا من الحقائق ولكن لم يكتشف الى الآن حل عام يتفق مع جميع الأدلة المعروفة . وفى كثير من الأحيان بعد الاستزادة من القراءة يتضح فشل نظرية كان يظن انها كاملة كافية ، وذلك لظهور حقائق جديدة تناقض النظرية أو يتعذر تفسيرها بها . وكلما تمادينا فى القراءة كلما زاد تقديرنا لكمال تصميم الكتاب رغم ان الحل الكامل يبتعد كلما تقدمنا (٣) . ومن الجدير بالذكر ان العالم المصرى المسلم على مصطفى مشرفة اكتشف خطأ وقع فيه انشتين فاضاف بذلك دليلا عمليا على قصور العلم البشرى ، ولقد اعترف انشتين بهذا الخطأ .

ومن الغريب ان انشتين وجمهرة كبيرة من علماء الذرة كانوا يعتقدون بعدم امكان تفتيت الذرة لو لم يتطوع انريكو فرمى بانقاذ هؤلاء من الاستمرار على هذا الخطأ ، وذلك بتفتيتها فعلا ، فاضطر هؤلاء الى الاعتراف بذلك واصبح الآن تفتيت الذرة من البدهيات التى يسلم بها الجميع . بل ان انريكو فرمى نفسه تفتت امامه الذرة فى احدى تجاربه قبل بدء الحرب العالمية الثانية بخمس سنين ولكنه لم يدرك ما حدث أمامه واعتبر العلماء ذلك الجهل من الأمور التى انقذت العالم من كارثة استعمال الأسلحة النووية فى الحرب الأخيرة (٤) .

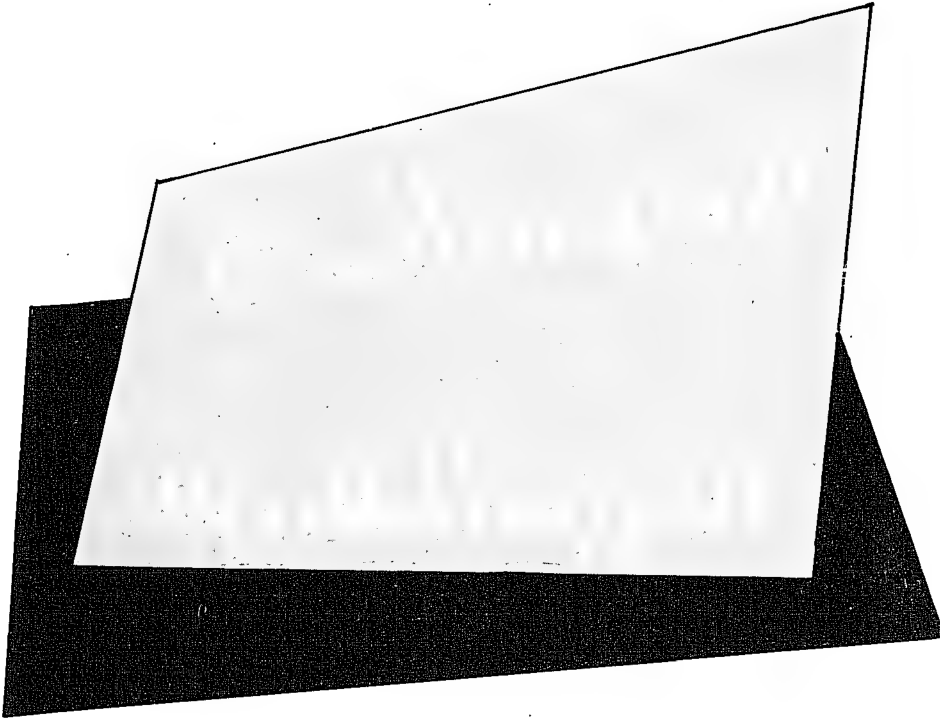
ول د يورانت وللفيلسوف ول د يورانت رأى مشابه لانشتين فهو يفند الادعاء القائل بأن علم الطبيعة يقترب من المرحلة التى يبلغ فيها الكمال فيقول معلقا : « وجميع الدلائل تدل على العكس من ذلك . أما هنرى بوانكاريه فيرى ان علم الطبيعة الحديثة فى حالة من الفوضى فهو يعيد بناء جميع أسسه وفى اثناء ذلك لا يكاد يعرف اين يقف (٥) . وبذلك نرى ان العلم الحديث والفلسفـة الحديثة يعترفان بقصور العلم البشرى الحديث ويؤيد العلماء والفلاسفة هـذا الراى بل ويعتبرانه من مقومات العلم والفلسفة .

العلم البشرى بين الكمال والنقص :

ان قصور العلم البشرى من النعم التى انعم الله بها على البشر رفقا بطاقاتهم وعقولهم ليصبوا الى المعرفة دائما وليلجأوا بعد ذلك الى خالقهم الذى امدهم بالمعرفة والعلم لييسر لهم سبل العيش فى هذه الدنيا وفقا لطاعة خالقهم ومرضاته أما الاعتقاد بكمال العلم الحديث فمعنى ذلك اغلاق باب المعرفة وسد باب العلم ومنع البشر من التقدم والمعرفة (٦) .

---

(١) نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها للمؤلف .
(٢) على أطلال المذهب المادى .
(٣) تطور علم الطبيعة .
(٤) العلم معنى وطريقة .
(٥) مباهج الفلسفة .
(٦) قصور العلم البشرى (للمؤلف) .



للدكتور محمد اسماعيل الندوى

لقد اكد القرآن الكريم مرارا وتكرارا أن اليهود حرفوا شريعتهم لتحقيق اغراضهم الشخصية وكسب المال .. وذلك فى مثل قوله تعالى : ((**من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه**)) (النساء ٤٦/٤) . ومثل : ((**وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون**)) (البقرة : ٧٥) ((**فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون : هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون**)) (البقرة : ٧٩) .

ولكن السؤال الهام فى هذا الصدد هو : كيف كان هذا التحريف .. ؟

الواقع أن الشريعة اليهودية مرت بتطورات عديدة منذ وفاة موسى عليه السلام ولا يمكننا فى هذه المجالة حتى عرض بعضها . والقرآن قد اشار فى الآيات المذكورة الى اليهود فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولذا ينبغى لنا متابعة التطورات التى حدثت منذ عام ٧٠ م ، إذ قد دمر فيه الرومان معبدهم فى القدس وشتتوا شملهم . ومنذ ذلك الحين دخل اليهود فى طور جديد . والأساس الذى قامت عليه اليهودية فى ذلك الحين هو نفس الأساس حتى عصر رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

يقول المؤرخون اليهود المعاصرون فى هذا الصدد : « ان جميع الفرق اليهودية قبل عام ٧٠ م قد اجمعت على الايمان بالمبادىء الأساسية الواردة فى التوراة ، واعتبرت المعبد فى يروشلم بيت الله لجميع اسرائيل . وكذلك اتفقت على الروحانية ووحدة الاله ، ولم ترض بالمناقشة والجدل فى هذه الأمور . وكذلك صارت قداسة التوراة لموسى فوق مستوى النقاش » .

كما أن العقيدة المسيحية لم تتخذ بعد الصبغة الفلسفية . وبما أن شرائع موسى صارت دستور الحياة اليهودية للشئون الداخلية والخارجية أصبح من المحتوم أن تكبر هذه الشرائع وتضاف اليها إضافات جديدة وفق الظروف والمتطلبات . ومما لا شك فيه أن القوانين الدينية والمدنية والجنائية والتنظيمية الموجودة فى التوراة لم تكن تكفى لمتطلبات العصر ، ولذلك أصبح من اللازم أن تفسر هذه القوانين كلها من جديد لتنطبق على الحياة المتطورة ويمكن تطبيقها على شئون الحياة بسهولة وتكييفها وفق الظروف المتغيرة .

لقد وجدت فى توراة موسى مادة خصبة تستطيع بها تطوير القوانين وفق الظروف ، كما دعت الظروف — من ناحية أخرى — الى استنباط ووضع أسس جديدة لصياغة القوانين وفق المطالب الحديثة والظروف الطارئة تلك التى كانت تفرضها الحياة بسبب الضغوط عليها من الداخل والخارج . ومن هنا كان طبيعيا أن تظهر آثار وتقاليد جديدة الى جانب شرائع موسى وتنمو وتزدهر وتسير جنبا الى جنب مع التوراة تلك التى كانت فى الحقيقة مما أضافه أصحاب التوراة وتضمن الاحداث السابقة المماثلة والمبادىء الأساسية التى كانت ضرورية للقوانين المنتظمة المنسقة الدقيقة . وبما أن هذه الآثار كانت فى نمو وتزايد مستمر ومفعمة بالحيوية بسبب السيطرة الالهية عليها ولذلك حمل الدكاترة على عواتقهم أعباء جمع وتنسيق هذه القوانين الغير مكتوبة وجعلها على قدم المساواة مع توراة موسى المكتوبة ، وهؤلاء الدكاترة هم الذين سموا بالربيين (أى رجال القانون والشريعة) وسميت هذه المدرسة الفقهية أو القانونية بالمدرسة الربانية(١) .

لقد خولت فى التوراة الشفوية سلطات واسعة للفقهاء ورجال الدين فى كل جيل يهودى ، وفى جميع العصور لسن القوانين من تلقاء أنفسهم دون قواعد وأصول ، وذلك وفق الظروف الراهنة والمطالب العصرية ، واستنتج هؤلاء هذا الأمر على ضوء تفسير دقيق لبعض النصوص الواردة فى التوراة مثل :

١ — ارسل يهوه يربعل وبدان ويفتاح وصموئيل وانقذكم من يد أعدائكم الذين حولكم فسكنتم آمنين(٢) .

٢ — موسى وهارون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون باسمه . دعوا يهوه وهو استجاب لهم(٣) .

إن هذين النصين يدلان — على حد قولهم — على أنه فى كل عصر من العصور يكون ثلاثة من كبار الشخصيات على منوال الثلاثة الأقطاب من اليهود القدامى وهم : موسى وهارون وصموئيل . كان يربعل فى جيله بمثابة موسى ، وبدان بمثابة هارون ، ويفتاح بمثابة صموئيل . ومن هنا يتحتم على اليهود أن يتعاملوا مع كل زعيم دينى لهم مهما كان صغيرا نفس معاملة موسى وهارون وصموئيل ، لانهم ورثاؤهم ويحلون محلهم فى قيادة اليهود وسن القوانين من أجلهم .

ثم يلجأون الى نص آخر ورد فى التوراة وهو : « اذهب الى الكهنة واللاويين والى القاضى الذى يكون فى تلك الأيام واسأل فيخبروك بأمر القضاء »(٤) . ويستدلون منه أن كل عصر من العصور لن يخلو من وجود القضاة ومعناه : ينبغى تعيين القضاة فى كل العصور ليذهب اليهم اليهود فى طلب العدل وفصل الحكم .

وكذلك استنتجوا من نص آخر : لا تقل : لماذا كانت الأيام الاولى خيرا من هذه ؟ لأنه ليس عن حكمة تسأل عن هذا (٥) ؟ اى ان عصرا من العصور لن يخلو من خير الناس من امثال موسى وهارون وصموئيل ، بل علماء العصور سوف يحلون محلهم وينوبون عنهم ، ويقومون بدورهم فى قيادة اليهود وهدايتهم وسن القوانين الجديدة من اجلهم . وهذا يدل كذلك فى نفس الوقت على أن كل تلميذ بارز فى كل عصر من العصور يحق له ان يفتى وينير طريق الناس وأستاذه حتى يرزق ، وبهذا امر الله موسى فى سينا(٦) .

كيف سن اليهود قوانين جديدة للظروف الجديدة .. ؟ من المعروف أن اليهود لم يطبقوا التوراة المكتوبة فى حياتهم العملية ، ولم تقم عليها دولتهم الى تدمير يروشلم فى المرة الاولى فى عام ٥٨٧ ق. م ، لأن تلك المجتمعات قامت على العقيدة الوثنية والحضارة المستوردة من الشعوب العربية المحيطة بهم . لقد اقتضت الضرورة التمسك بالتوراة — اى القوانين الواردة فى الأسفار الخمسة — أيام المحن والآلام فى بابل . وهنا نظم كبار علمائهم امثال حزقيال وعزريا حياتهم الدينية ، وبفضل جهودهم انشئت المراكز الدينية (السيناغوغو) فى انحاء بابل ، ثم نظموا المعبد بعد العودة فى العصر الفارسى ، ودونوا أسفار العهد القديم ، وظهرت على يدهم التوراة الشفوية ، وهى فى الأصل خلاصة تجارب الشعوب الاخرى ومبادئها وعقائدها وقوانينها .

ومن المعروف أن القوانين الواردة فى الأسفار الخمسة للتوراة كانت محدودة للغاية ، ولا يمكن تطبيقها فى كل الظروف والاحوال كما قلنا . ومن هنا لجأ الفقهاء اليهود الى القوانين الاجنبية مثل القوانين الفارسية والاغريقية والرومانية والى صياغتها وتكييفها وفق احوالهم وحاجاتهم ، وسموا هذه العملية من الاستيراد والصياغة الجديدة بالشرح والتفسير للتوراة المكتوبة .

وكانت هذه العملية تتم على يد لجنة كبرى من الفقهاء ويتم البت واتخاذ القرارات فيها وفق اغلبية الآراء . وعزوا هذا الأمر الى موسى ، واوردوا فى التوراة الشفوية مرارا وتكرارا وهو انه فى محادثة جرت بين الله وبين موسى : « قال موسى : يا ملك الكون ، كيف يكون القرار النهائى فى أمر قانونى ؟ رد الله عليه : ينبغى مسايرة آراء الاغلبية . واذا قررت الاغلبية أن شيئا ما مفيد صالح فيكون هذا القرار نهائيا ويعمل على وفق هذا القرار ، واذا قررت الأغلبية رفض شىء أو تحريمه فهو يكون مرفوضا ومحرما »(٧) .

نسخ شريعة التوراة :

يعتقد اليهود ان الأوامر والوصايا الواردة فى التوراة الشفوية خالدة خلود الدهر وثابتة لا يمكن تغييرها أو تبديلها إلا اذا تغيرت الظروف والأحوال ،

وجعلتها عديمة الجدوى . ومستحيلا تطبيقها مثلما حدث بالنسبة الى القرابين والقوانين الزراعية بعد تدمير المعبد فى يروشلم وتشريد اليهود وتحويلهم الى عبيد وارقاء . فقد الغيت كل هذه القوانين مؤقتا الى أن تعود الأمور الى نصابها . لقد لعبت التوراة الشفوية دورها فى حياة اليهود فى مثل هذه اللحظات الصعبة بسبب مرونة قوانينها وسهولة تشريعاتها . وبمعنى آخر فإن التوراة الشفوية هى التى انقذت اليهودية وحافظت عليها وحالت دون انصهارها وإذابتها فى بحار الأديان الأخرى (٨) .

إن دل هذا الكلام على شىء فإنما يدل على أن التوراة الشفوية التى كانت فى الحقيقة موسوعة كبرى لتجاوب الشعوب الاخرى وأفكارها وقوانينها وشريعتها تبدأ أصلا من الديانة الزردشتية والنظم القانونية الفارسية وتنتهى بالقوانين الرومانية والمبادىء الغنوصية والافلاطونية الحديثة ونظريات رجعية أخرى نسجتها عقول الفريسيين المتزمتة وافكارهم الضيقة العقيمة التى تملك مادة قانونية كافية لتحل محل التوراة المكتوبة فى كل الظروف والأحوال .

وحينما نمعن النظر فى بعض القوانين التوراتية التى لم تصلح للمجتمعات المدنية نجد أن فقهاء اليهود يلغونها إلغاء تاما وعمليا ثم يفسرونها تفسيرا جديدا من تلقاء انفسهم دون سند أو حجة فيصبح تفسيرهم هذا خارج نطاق التوراة كلية .

وإليكم بعض النماذج :

١ ــ لقد جاء فى التوراة : « فى آخر سبع سنين تعمل ابراء » (أى تبرئة ذمة المديون) . وهذا هو حكم الإبراء : يبرىء كل صاحب دين يده مما اقرض صاحبه . لا يطالب صاحبه ولا أخاه ، لأنه قد نودى بابراء ليهوه . الأجنبى تطالب . واما ما كان لك عند أخيك فتبرئه يدك منه . إلا إن لم يكن فيك فقير(٩) .

يقول الدكتور كوهين فى تعليقه على هذا الحكم : إنه يلزم على الراهن أن يعفى المدين عن دينه له بعد كل سبع سنوات ، وإن لم يعف عنه بعد مضى ست سنوات فالقانون يبرئه فى السنة السابعة بصورة إجبارية ولا يستطيع المطالبة بدينه بعد ذلك إطلاقا . هذا واما الأحكام الواردة فى النصوص المقدسة غير التوراة المكتوبة فانها تذكر فعلا الخيرات التى كان يقدمها الاسرائيليون للفقراء والبؤساء من ابناء قومهم ، ولكنه لم يتحدث عن القروض التى تمت بالعقود بين الدائن والمدين فى الشئون التجارية بأنها اعفيت بهذا الطريق . وان هذا القانون من الناحية الاخرى يشير الى انه كان مطبقا على المجتمع البدائى الذى لم يكن يوجد فيه إلا الملاك الصغار ، وكل واحد كان يعتمد على انتاجه الشخصى . ولما تغيرت هذه الظروف وتبدل هذا المجتمع وانتقلت الحياة الى طور جديد تعتمد على التجارة المتبادلة أصبح هذا القانون من التوراة معرقلا وعائقا فى طريق التطور والتقدم ، واستبدت المخاوف بعقول الناس أن الديون المتبادلة فى الشئون التجارية سوف تضيع بعد مضى ست سنوات ، وتصبح تبرعات وإعانات . وبهذا واجهت الحياة اليهودية عراقيل كبرى تترتب عليها مشكلات كبرى .

وهنا يأتى دور كل من الصدوقيين والفريسيين (وهما من الفرق اليهودية الرئيسية فى عصر المسيح) . فالأولون يقولون : انه ليست هناك أية عرقلة ، بل ينبغى تطبيق حكم التوراة بالحرف . وأما الآخرون ومثلهم

هيليل — رئيس جماعة الفريسيين — فلم يقتنع بهذا القانون ، ولم يتفق مع الصدوقيين فى تفسيرهم اياه . بل حاول الرجوع الى الآثار والتراث راجيا ان الدراسة العميقة من هذا القبيل سوف تحل هذه المشكلة العويصة من الأساس .

لقد فسر هيليل هذا القانون على الوجه التالى : إن الدائن اذا اعطى المدين دينا بدون تعاقد رسمى ، فسوف يعفى بعد ست سنوات ، ولكنه اذا تعاقد وقدم المستندات الى المحكمة لتثبت الدين فانه يستحق الدين ، ولن يعفى المدين من الدين ابدا ، مهما كان الامر . ولو مضت سبع سنوات .

ثم يقول كوهين تعقيبا على تفسير هيليل : ان هذا التفسير يعطى للتوراة حياة ابدية لتواصل عملها فى كل العصور ، وذلك عن طريق تفسير احكامها تفسيرا جديدا يطابق روح العصر ومقتضى الظروف (١٠) .

٢ — وهناك مثال آخر لهذه الظاهرة يدل على انه تحريف واضح للنص الوارد فى التوراة بوضوح وصراحة : « وإذا احدث إنسان فى قريبه عيبا فكما فعل كذلك يفعل له . كسر بكسر وعين بعين وسن بسن . وكما احدث عيبا فى الانسان كذلك يحدث فيه . من قتل بهيمة يعوض عنها ومن قتل إنسانا يقتل . حكم واحد يكون لكم . الغريب يكون كالوطنى . إنى أنا الرب إلهكم »(١١) .

وهذا حكم واضح جلى لا غموض فيه ولا إبهام ، ولا لبس فيما يتعلق بالقصاص . ولكن الربيين فى التلمود ابطلوا الروح الأصلية لهذا الحكم ، والغوا القصاص بالكل وفرضوا التعويض المالى مكانه فى كل الظروف دون استثناء(١٢) .

وهنا نتساءل : هل يمكننا أن نعتبر هذه الظاهرة بمثابة النسخ أو الاجتهاد فى شريعتنا الاسلامية .. ؟ وللاجابة على ذلك ينبغى لنا التحقيق فى معنى النسخ والاجتهاد فى الشريعة الاسلامية .. ؟

النسخ فى القرآن :

يقول الله سبحانه : « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها . الم تعلم أن الله على كل شىء قدير »(١٣) .

يقول الشيخ الخضرى فى شرح معنى النسخ : النسخ فى اصطلاح الفقهاء يطلق على معنيين : الأول : إبطال الحكم المستفاد من نص سابق بنص لاحق ومثاله ما ورد فى حديث : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، الا فزوروها » . فالنص الأول يطلب الكف عن الزيارة ، والنص الثانى يرفع ذلك النهى ويحل محله الإباحة أو الطلب . والثانى : رفع عموم نص سابق أو تقييد مطلقه ، ومثاله قوله تعالى فى سورة البقرة : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » . ثم قال فى سورة الأحزاب : « إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها » . فالنص الأول عام ينتظم المدخول بها وغيرها ، والنص الثانى يعطى غير المدخول بها حكما خاصا بها (١٤) .

وهنا نجد أن النسخ فى الشريعة الاسلامية ليس معناه : إلغاء حكم شرعى الغاء تاما وإحلال حكم جديد محله وفق الظروف الراهنة من خلال الاجتهاد والآراء الشخصية للفقهاء أو بناء على الآراء الأكثرية للفقهاء ، بل

معناه : تخصيص حكم وارد فى القرآن او الحديث او تعميمه بحكم آخر على نفس المستوى الذى ورد فى نص القرآن او الحديث . وبهذا لا يتجاوز النسخ فى الشريعة الاسلامية حدود الله ، فى حين يصبح النسخ فى الشريعة اليهودية إلغاء حكم الله بسبب عدم ملاءمته للظروف وفق الآراء الأكثرية للكهنة الهيود . وهذا تجاوز وعدوان على حكم الله ، وشراء ثمن قليل ببيع حكم الله وتحريف وتشويه لما ورد فى التوراة .

وأما الاجتهاد فى الاسلام فيطلق على معنيين :

الأول : المعنى الأسمي الذى هو وصف للمجتهد قائم به ويعرف بأنه : ملكة يقتدر بها على استنباط الاحكام الشرعية العملية من ادلتها التفصيلية .

والثانى : المعنى المصدرى اى فعل المجتهد وهو : بذل أقصى الوسع لتحصيل حكم شرعى عملى بطريق الاستنباط من الأدلة الشرعية(١٥) .

والدليل على اعتباره : الكتاب والسنة والعقل : فالفقيه المسلم لا يجتهد إلا إذا لم يجد حكما فى كتاب الله او سنة رسول الله الثابتة ، فيجتهد حينئذ على ضوء ما ورد فى كتاب الله وسنة رسول الله فى حكم مماثل او مشابه له . وبهذا لا يخرج المجتهد المسلم عن إطار كتاب الله وسنة رسوله حتى فى الأمور الاجتهادية ، فى حين يملك الكنيست اليهودى حق الغاء احكام التوراة أو تفسيرها تفسيرا جديدا بعيدا عن مفهومها بعدا شاسعا واتخاذ القرار فى هذا الصدد وفق اغلبية اعضاء الكنيست .

إن الإبداع والاختراع ممنوعان منعا باتا فى الاجتهاد عند العلماء المسلمين . يقول الإمام السيوطى فى ذلك : لا شك أن المجتهد يحرم عليه إحداث قول لم يقل به أحد ، واختراع رأى لم يسبق إليه . ولهذا كان من شروط الاجتهاد معرفة اقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم اجماعا واختلافا ، لئلا يخرق الاجماع فيما يختاره . فوجب ذكر اقوال العلماء فى هذه المسألة ، قبل اقامة الدليل ، لكون الكتاب مؤلفا على طريق الاجتهاد(١٦) .

---

(١) History of the Jews by Paul Goodman's P : 31

(٢) صموئيل الأول ١١/١٢ .

(٣) المزامير ٦/٩٩ .

(٤) تثنية ٩/١٧ .

(٥) الجامعة ٧ .

(٦) .. .. ؟

(٧) Everyman's Talmud P : 148

(٨) نفس المصدر السابق .

(٩) تثنية ١/١٥ — ٢ .

(١٠) انظر المقدمة : Everyman's Talmud P : 22

(١١) لاويين ١٩/٢٤ — ٢٢ .

(١٢) Judaism by Gsidore Epstein : P : 187

(١٣) البقرة : ١٠٦ .

(١٤) تاريخ التشريع الاسلامى (الطبعة السادسة بالقاهرة) ص ٢٣ .

(١٥) صون المنطق والكلام عن فنى المنطق والكلام (طبع مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر) ٤٧/١ .

(١٦) .. .. ؟

من نوادر المخطوطات :



دستور الاعلام

نموذج من التراجم الاسلامية

للأستاذ : محمد محمود زيتون

من الجوانب المضيئة فى الثقافة الاسلامية ، على مدى الاربعة عشر قرنا الماضية ، ذلك السيل الدافق من المؤلفات عن أهل المعرفة ، على اختلاف ميادينها ، واتجاهات فرسانها ، وابقى التاريخ لنا هذا التراث الضخم ، ومنه ما سُرق من خزائن الكتب الاسلامية ، وأودع مكتبات الشرق والغرب ، ومنه ما تم طبعه ، وما لا يزال مخطوطا أو مفقودا ، ومع ذلك تتابعت السلاسل، وهى تحمل الينا إشارات تدل على ما كان للسابقين من فضل على تراثنا ، وما كان لمن لحق بهم من وفاء وإخلاص .

أوعية الفكر الاسلامى

ولا شك أن الباعث الأول لتسجيل أهل المعرفة الاسلامية هو الاعتراف

بما لهم من عمل مجيد ، والاشادة بما اشتهروا به من خلق حميد ، ليكونوا — بهذا وذاك — هداة لمن يجيء من بعدهم ، على طريق النور ، واتسع الباب جيلا بعد جيل ، فإذا بهؤلاء الأعلام الأفذاذ يحتلون مكاناتهم فى التاريخ ، فى طبقات صغرى وكبرى ، أو مشيخات أو وفيات ، عقب كل سنة أو كل قرن أو كل عهد ملك او سلطان او رئيس ، واحيانا فى تراجم أو معاجم أو مشيخات او اثبات او تواريخ او ذيول ، أو غير ذلك من التسميات المعروفة .

وكلما كان احدهم يفلت من هذه (الأوعية) التى قد تكون شاملة ، وقد تكون متخصصة ، فاذا بنا نطمئن الى وجود أعلام الفكر ، وقد انخرط كل واحد فى سلك اصحابه من المفسرين والمحدثين والرواة والحفاظ والقضاة والقراء والزهاد والنحاة والشعراء والأدباء والأطباء والمؤرخين والرحالة ، من المالكية أو الشافعية أو الحنابلة أو الأحناف،من البغاددة أو الدماشقة أو الاسكندرانيين أو المغاربة أو غيرهم ، وغالبا ما كان احدهم يكمل ما فات السابقين عليه ، وينقد ويصحح ويزيد ويمضى حتى يسلم الراية لمن بعده ، وهكذا ، كما فعل السيوطى مثلا فى (حسن المحاضرة) و (در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة) لإكمال ما فات أبا الربيع الجيزى ، دفين الجيزة بمصر .

والنموذج الذى نعرضه على القارىء فى هذا المقال ، فريد فى نوعه من كافة الوجوه ، ولهذا آثرنا ان ننوه به ، ليقف أبناء هذا الجيل ، على ما قدمه لنا السابقون خلال اجيال متباعدة ، ومن أمصار متفاوتة، كعمل متكامل يمسك بعضه بعضا ، على غير المعهود عندنا وعند غيرنا .

الكتاب .. و .. المؤلف

والكتاب « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » مخطوط قديم فى مجلدين بمكتبة الاسكندرية تحت رقم ١٩٤٢ ب ، ومؤلفه هو ابن عزم (بفتح العين والزاى) من اهل القرن التاسع الهجرى ، وظل يعلق عليه من بعده عدد من المؤلفين المعنيّين بعلم الرجال . طوال خمسة قرون من بعده حتى يومنا هذا .

اما المؤلف الأول الذى كان رائدا لهم جميعا فهو المحدث المؤرخ : شمس الدين — أو جمال الدين فى بعض الروايات — محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عزم التونسى نزيل مكة ، ولد بتونس عام ٨١٦ هجرية ، وقدم مصر ، ورافق السخاوى صاحب (الضوء اللامع) فى الاشتغال بالتاريخ والتراجم ، وجاور بمكة وبها توفى عام ٨٩١ هجرية ، وقد ترجم له فى صلب كتابه احد

المذيلين عليه وهو المنلا ــ اى المولى او الشيخ ــ قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى فقال : « وأبوه ابن عزم التميمى المتوفى عام ٨٤٦ إمام اهل الحساب والمساحة والنجوم وغيرها واسمه ابو حفص عمر بن محمد بن أحمد » .

فهو إذن من بيت علم ومعرفة واسعة ، ولهذا اشتمل كتابه على تراجم ــ وإن كانت غير مسهبة ــ عن عدد ضخم من الأعلام ، فى شتى النواحى الثقافية ، ومن مختلف البلاد الإسلامية ، ورتبه على حروف المعجم وجعل لكل حرف خمسة أبواب : المشهورين بالاسم ، والمشهورين بالكنية والمشهورين بالنسب أو اللقب أو السبب ، والمشهورين بابن فلان ، والمشهورين بصاحب ، وضرب لكل ذلك أمثلة يوضح بها تبويبه وتصنيفه، « وكل ذلك باختصار » على حد قوله .

دستور فى التراجم

وعلى هذا يذكر لنا ابن عزم الشخص باسمه واسم أبيه ، واسم جده ، والسنة التى توفى فيها بالقلم الهندى وبلده ومذهبه ومكانته العلمية وأشهر مؤلفاته ، أو يقول عنه إنه (صاحب التصانيف) ، وينوه به وبشهرته . فيذكره بقوله مثلا : (مسند قطره) أو (مسند وقته) أو (مسند الدنيا) أو (مسند الآفاق) بما يناسب التعريف به عن عدالة واتزان ، ويقصد المؤلف بذلك أن يكتفى القارىء بهذا العمل متى أراد ، وإلا فهو له كالمدخل الى التواريخ المطولة ، كما نلحظ ذلك فى تراجم السخاوى لرجاله بإسهاب وتفصيل ، [ولهذا سميته ــ كما يقول ابن عزم ــ « دستور الإعلام بمعارف الأعلام »] .

والاختصار الذى اشار اليه ابن عزم متفاوت فى ثنايا كتابه ، فأحيانا لا تزيد الترجمة على سطر أو سطرين ، وأحيانا تبلغ ستة أسطر ، وقلما تزيد ، ومع ذلك ، فإن عظمة المؤلف تتمثل فى القدرة على الإيجاز الوافى بالمطلوب ، مما يشجع فعلا على اتخاذه (دستورا) أو مدخلا للتواريخ الكبار كتراجم (الضوء اللامع) للرجال والنساء على السواء فى فترة معينة وهى القرن التاسع .

على أن التعليقات ــ أو الذيول المتعاقبة ــ التى حظى بها المؤلف على كتابه من بعده ، قد زادت من أهميته، ورفعت من قدره ، إذ أن الزيادة أو الإضافة التى أتى بها كل من المعلقين عليه الستة ، قد أكسبت الكتاب ما لم يكن يحلم به المؤلف الأصلى ، من شهرة لكتابه ولنفسه ، كواحد من اصحاب التراجم ، والتراجم المنوعة بصفة خاصة ، ولا سيما إذا عرفنا أن هؤلاء المعلقين كانوا ينتمون الى بلاد أو قرى شتى فى الوطن الاسلامى ، ومع ذلك التقت مشاربهم، فأكمل بعضهم عمل البعض ، فى تعاون وفىّ ، له قدره من غير شك فى مجال التصنيف ، فجاء تعقيب كل منهم ــ أو (الذيل) ــ نابعا من معلوماته الخاصة غير المنقولة عن غيره ، ولاسيما إذا كان المترجم له من مواطنيه ، مما يزيده اهتماما به .

ذيول ورموز

ومما هو جدير بالذكر هنا ، ان تلك الإضافات لم تختلط بالمتن الأصلى للكتاب ، بل تميز بعضها عن بعض بطريقة سهلة ، فكان كل تعليق يبدأ بحرف يرمز الى صاحبه ، فهذا تعليق حمزة الحسينى يرمز إليه بحرف (ح) ، ورمضان حلاوة بحرف (ض) ، وهكذا ، ولذا يستطيع القارىء أن يميز بين الأصل وبين الزيادات وأصحابها ، وهو مطمئن الى مجهود كل منهم على حدة .

ولتوضيح هذا العمل الفريد فى نوعه من المعاجم والتراجم نقول إن المؤلف يتكلم مثلا عن (الشاذلى) واسمه إبراهيم ، ثم يزيد عليه المعلق الأول أو المذيل الأول ، فيضيف شخصا آخر لقبه الشاذلى ايضا ، ولكن اسمه محمد أو احمد أو غيره ، ثم يأتى المعلق الثانى — إن وجد — فيعلق بشخص آخر لم يذكره من سبقه أو يضيف جديدا الى ما ذكره السابقان عليه ، أو يصحح خطأ وقع فيه أحدهما أو كلاهما ، أو يزيد بما لديه هو من معلومات لم يسبقه اليها غيره من مولد أو وفاة أو غير ذلك ، وفى كل تعقيب يضع المعقب الحرف الذى يرمز به الى اسمه ، وغالبا ما لا نجد التعقيبات إلا من اثنين أو من واحد لا سواه ، ومن هنا نضمن عدم الوقوع فى الخلط بين والد وولد ، أو بين شخص وأخيه .

اصحاب الذيول

واصحاب الذيول على « دستور الإعلام بمعارف الأعلام » — كما هو فى المخطوط الذى بين يدينا — ستة هم :

١ — (ح) ويرمز الى حمزة بن احمد بن على بن محمد بن على الحسينى الشافعى الدمشقى صاحب كتاب (المنتهى فى وفيات أولى النهى) ، والمتوفى ببيت المقدس عام ٨٧٤ هـ .

٢ — (ق) ويرمز الى المنلا قطب الدين محمد بن علاء الدين الحنفى ، ولا ندرى عنه شيئا ، والأغلب انه فارسى الأصل .

٣ — (هـ) ويرمز الى إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفى الجنينى من جنين ثم سكن دمشق ، وتوفى عام ١١٠٨ للهجرة وله تتميم فتاوى شيخه خير الدين الرملى ، ورسائل تاريخية ، و « رحيق الفردوس فى حكم الريق والبوس » و « نتيجة الفكر فيما يتعلق بأحكام الذكر » .

٤ — (ز) ويرمز الى زين الدين ابن محمد البصروى الدمشقى .

٥ — (هب) ويرمز الى إبراهيم بن السيد بن نقيب الأشراف الشهير بابن حمزة .

٦ — (ض) ويرمز الى رمضان حلاوة السكندرى ، وهو آخر المعلقين على الدستور ، الذى لا يزال مخطوطا الى يومنا هذا .

كان رمضان حلاوة آخر هؤلاء الستة المذيلين ، وهو — على ما نعلم — سكندرى الأصل والإقامة ، كان حيا عام ١٨٧٢ ، وكان أديبا ممتازا له تشطير للبُردة ، وله تقريظ فى نهاية كتاب (سراج الملوك) للطرطوشى بتاريخ ١٢٨٩ هـ ، وختمه

ببعض ابيات من الشعر غير متينة السبك والحبك ، ومن اسرته سلامة حلاوة القصرى المتوفى عام ١٨٨٥ (= ١٣٠٣ هـ) ، وكان من اساتذة المدرسة البحرية بالاسكندرية . وقد ولد بقزية (قصر بغداد) بمحافظة المنوفية من أرض مصر ، وله مؤلفات بحرية وفلكية وهندسية وخرائط ، مما يدل على أن رمضان حلاوة قد نشأ فى بيئة علمية ، كما أن رمضان هذا كان من أصحاب عبد الله النديم السكندرى الكاتب الشاعر والخطيب الثائر المجدد ..

الذيل الأخير

ومن توفيق الله تعالى وفضله على المثقفين ، أننا قد عثرنا على إضافة سابعة بعد تذييل ابن حلاوة الذى انتهت به المخطوطة ، وقلما يعرفها احد من المعاصرين المعنيين بهذا الميدان من الثقافة ، وعنوان هذا الذيل « التزام الملتزم من تتمة تاريخ ابن عزم » لصاحبه محمد صالح الجارم الرشيدى (نسبة الى مدينة رشيد شرقى الاسكندرية وعلى مصب النيل فرع رشيد) والمتوفى عام ١٣٢٨ هجرية ، وهو والد الشاعر العربى المعروف على الجارم، وهذه الإضافة مرموز إليها كغيرها بحرفى (مح) ، وعلى الرغم من انها مفقودة الى يومنا هذا ، إلا ان صاحب (اليواقيت الثمينة) وهو البشير ظافر الأزهرى ، قد اطلع عليها فى مكتبة صاحبها الجارم برشيد ، ونقل عنها كثيرا من أعلام المالكية ، ولاسيما من كان من اهل رشيد ، ولولا ذلك ما عرفنا شيئا عن عدد كبير من أعلام رشيد فى القرن الماضى ، ومنهم المجاهد حسن كريت الذى تزعم حركة النضال الشعبى فى رشيد لسحق الغزو الانجليزى بها ، وقد بذلنا اقصى الجهود لدى آل الجارم ، وفى مكتبات مساجد رشيد للعثور على بصيص من الأمل للحصول على هذا المخطوط ، فلم يسعدنا الحظ ، على الرغم مما اطلعنا عليه هناك من مخطوطات ثمينة ونادرة الوجود ، واغلبها لعدد غير قليل من آل الجارم فى مختلف الأجيال وقد تضمنهم كتابنا (إقليم البحيرة) .

وعلى ذلك نرى أن (دستور الإعلام) الذى كتبه مؤرخ محدث من تونس وعقب عليه رجال من جنين والبصرة ودمشق ومكة والاسكندرية، ورشيد ، يعد — بحق — من بين كتب التراجم الاسلامية عملا نادرا وفريدا فى نوعه ، وخصوصا إذا تذكرنا العدد القليل من الذيول على كل من (تذكرة الحفاظ) و (العبر فى خبر من غبر) للذهبى المتوفى عام ٧٤٨ للهجرة .

وحبذا لو اخذ (دستور الإعلام) الذى كتبه صاحبه طريقا عاجلا الى المطبعة العربية ، ليزدان به التراث الاسلامى ، وقد يكون فى نشر هذا المقال ما يفتح أمامنا باب الأمل فى العثور على الذيل السابع لدستور ابن عزم ، وما قد يكون خافيا علينا من تذييلات لا نعرف عنها شيئا حتى الآن فى ميدان (علم الرجال) .

للدكتور محمد التونجي

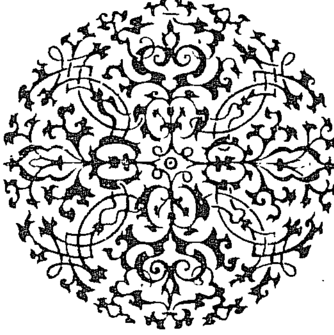
إن موضوعى عن إقبال هو (القضايا العربية) ، فى حين ان هدفه الأسمى هو جمع الكلمة الاسلامية ، تحت راية واحدة — دون اعتبار للقوميات — ليتسنى لها ردع مطامع الغرب ، والتغلب على بهرجته وسطوته ، غير معتبر لأية قومية إلا قومية الدين ، اذا جاز لنا هذا التعبير ..

ولكنه نظر الى الغرب نظرة تقديس ، لأن محمدا بُعث منهم ، ونظرة غيور لأن الشاعر كان لسان الإعلام للعرب فى مشارق الارض ومغاربها . فقد كان يحثهم على الوحدة برباط مقدس أيام السلام ، ويحضهم على الحرب ، بل يخوض معهم وعر الطريق ، ويصرخ فى وجه أوروبة صرخات مدوية اذا فكرت احدى الدول الطامعة أن تنال حداً من حدودها ، أو تتطاول على شخص من افرادها .

فكان اقبال إذاً يربط كلمة العرب بالدين ، ويعتقد ان هذا العالم الجديد لا يحسن تصميمه إلا من بنى بالانسانية البيت الحرام بالأمس ، وورث ابراهيم ومحمدا (عليهما السلام) فى قيادة العالم وارشاده . ويهيب بهذا العربى المسلم النائم ، ويناشده الله أن يستيقظ ، ويمسح عن عينيه وحشة النوم ، فقد عاث الأوروبيون فى الارض ، وخربوا العالم ، وملأوه ظلما وظلمات وشرورا وويلات . وحول الأوروبيون هذه الارض الى خمَّارة ، وبيت فسق ودعارة ، ومكان نهب واغارة . ولقد آن لبانى البيت الحرام وحامل رسالة الأسلام ان يصلح ما افسده الغرب ، ويبنى العالم من جديد (الندوى ١١١ — ١١٢) .

ولقد شارك العرب أتراحهم مشاركة مباشرة ، بل وجه انظارهم الى قضاياهم بأن وضع أصبعه على الجرح وصرخ ، أو مشاركة بالقلب والأحلام والأمانى .. وهذا ما يطلبه العربى المسلم ، أو مشاركة بالدين ، وهذا هو هدفه الأول والاخير .. فاذا صرخ بالعربى عنى انه ينادى المسلم ، وإذا نادى الشرقى فلكى يقف الى جانب العربى ، فالدين عنده لصيق العروبة . وقد عبر عن ذلك بقوله :

أنا أعجمى الدن لكن خمرتى — صنع الحجاز وكرمها الفينان
إن كان لى نغم الهنود ولحنهم — لكن هذا الصوت من عدنان



ولقد كونت فكرة القضايا العربية عند اقبال عوامل كثيرة ، اهمها :

١ ـ حبه للدين المحمدى العربى . وبسببه سكب عواطفه نحو العرب ، حاملى مشعل الدين الى العالم بعد نبيهم الكريم . وكم كان يتخيل انه يطوف ارجاء الحجاز ، ويتصور انه يركب العيس فى زيارة الرسول ، ويعتبر المدينة المنورة حماه الأمين الذى يخلد اليه .. وإذا وصل الى قبره ـ فى حلمه ـ اخذ يشكوه اوضاع العرب والمسلمين .

٢ ـ نظرته المادية الى الغرب ، وايمانه بانسانية الشرق ، والعرب من الشرق .. حملوا مشعل الحرية الى اقصى اسبانية والهند . الا انه يرى الغرب يطغى عليه ، ويمد جبروته على انحاء عديدة من أراضيه .

٣ ـ تعشقه للعربية ، لغة القرآن التى تعلمها منذ نشأته ، كما يتعلمها كل هندى وفارسى وتركى مع القرآن ، ويقدسها لأنها لغة القرآن والدين ، ويقدس كل عربى لأنه حامل لواء التبشير والهداية الى النور الحنيف .

ولقد احب اقبال اللغة العربية ، والشعر القديم منه خاصة ، وكم تحدث عن اعجابه بصدقه وصراحته وواقعيته ، وما يشتمل عليه من معانى البطولة والفروسية والجهاد ، وكثيرا ما كان يستشهد بأبيات الحماسة (الندوى : ٩) . بل إن حبه هذا جعله يعمل على نشر الثقافات والآداب الاسلامية واحياء اللغة العربية وآدابها فى الهند . وهو إذا تكلم عن القوة والأمل فى حديثه عن تربية الذات قال :

بث فكرا صالحا فى الأدب	ارجعن يا صاح نحو العرب
وسليمى العرب يا صاح اعشق	اطلعن صبح الحجاز المشرق

حديثه الى الأمة العربية :

كان كلما دعا الى الأمة الاسلامية استنجد بالأمة العربية ، وطالبها أن تتحد وتحمل على عاتقها هذا العبء لكى تنير الطريق كما فعل أسلافهم . ولقد خصص أبدع قصائده لمخاطبة الأمة العربية ، ليسجل فيها فضلها وسبقها فى حمل الرسالة ، فيذكرها دوما بماضيها ، سلاحها الماضى .. لتستفيد به فى الحاضر لدرء الأخطار المحيقة ، ويخاطبها بقوله :

« أيتها الأمة العربية ، التى كتب الله لباديتها وصحرائها الخلود ، من الذى اكرمه الله بالسبق الى قراءة القرآن ؟ من الذى أطلعه الله على سر التوحيد فنادي بأعلى صوته : لا إله إلا الله ؟ وما هى البقعة التى اشتعل فيها هذا السراج الذى أضاء به العالم ؟ وهل العلم والحكمة إلا فتات مائدتكم ؟ إن الحرية نشأت فى احضان محمد ، فقد كان الجسد البشرى بلا قلب وروح ، فوهبه الله القلب والروح ، فحطم الصنم ، وافاض بعدئذ الحياة على كل غصن ذاو من اغصان العلوم والمدنية وانجب ابطالا وقادة مؤمنين . وما اشتهر العلماء إلا بفضل محمد صلى الله عليه وسلم ، وليست الحمراء فى الأندلس ، ولا تاج محل فى أكرا فى الهند إلا صدقة من صدقات بعثة محمد ، ومظهر من مظاهر عبقرية أمته .

ويذكر اقبال الأمة العربية عهدها فى الجاهلية حين كان القوم فوضى ، يعيشون كالبهائم ، لا هم لهم إلا السيف والطعام ، إذا بجلبة جحافل المسلمين تجلجل فى الشرق والغرب ، فما أوقع تلك الغزوات .. !

وبعد أن يذكرهم أمجادهم يبدأ بالتقريع وهو سلاحه الثانى مع العرب ، ويسألهم : وماذا أصاب الأمة العربية ؟ لماذا يتوانون عن العلم وقد سبقهم الركب ؟ ويشدد على الوحدة العربية ، يقول : كنتم أمة واحدة ، فأصبحتم اليوم أمما واحزابا .

ويتألم شديد الألم إذ يراهم قد وضعوا أيديهم فى أيدى بعض الدول الغربية ، ويزعجه أن يرى فى الأمة العربية اناسا يحسنون الظن بالغرب ، فهو عارف بهم وبمكائدهم درس علومهم ودرّسهم ، وخبر بذلك خبثهم وضراوتهم على الأمة العربية . ويقول فى ذلك : « مهلا ايها الغافلون ، اياكم والركون الى الفرنجة ، ارفعوا رؤوسكم ، وانظروا الى الفتن الكامنة فى مطاوى ثيابهم . ألا إنه لا حيلة لكم إلا أن تطردوهم عن منهلكم ، وتذودوهم عن حوضكم ، لقد مزقوا وحدتكم ، واقتسموا تراثكم » .

ثم ينظر الى العرب نظرة النصوح ، فيبهم تجاربه ، بأن يحثهم على استرداد روح عمر بن الخطاب والسادة الأطهار ، ويحضهم على التمسك ، بالرابط المقدس ، ألا وهو الدين . ويقول للشباب : « إن العصر الحاضر وليد نشاطكم وكفاحكم ، وصنيع جهادكم ودعوتكم ، وما زلتم سادته وولاته حتى أفلت زمامه منكم ، فتبناه الغرب وتملكه .. ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا المجتمع الانسانى ثائرا على الدين . فيا رجل البادية ، ويا سيد الصحراء ، عد الى قوتك ، وتملك ناصية الأيام ، وقد قافلة البشرية الى الغاية المثلى » (الندوى ١١٨) .

ويطيل فى مخاطبة أمراء العرب ، حتى ضاق صدره ، فعاتبهم بقوله :

هل يُسعد الكافر الهندى منطقه مخاطبا أمراء العرب فى أدب ؟

ولكنهم لم يستجيبوا لنداءاته ومذكراته فعمد الى قصيدة صنعها لهذا الغرض ، حيث جعل الأمراء يأتمرون بأوامر أبيهم ابليس ، وابليس هو رمز الغرب ، وأوامره أن يترك الشرق دينه : المسلم والمسيحى والهندوسى . فيخاطبهم بقوله :

عليك بالبرهمن فاربكوه	بأشراك السياسة والحبال
واصحاب الزنانير اطردوه	من الدير القديم بالاحتيال
وذلكم الصبور على الرزايا	ومن هو بالمنايا لا يبالى
فروح محمد منه اسلبوه	لتعمل فيه احداث الليالى
بأرض العرب للاسلام كيدوا	ليسرع فى الحجاز الى الزوال

إقبال فى الأندلس :

زار اقبال اسبانية عام ١٩٣٢ ، ودخل جامع قرطبة ، ووقف فيه وقفة مؤمن خاشع وصلى فيه ، ولعله من المســـلمين القلائل الذين فعلوا ذلك بعد جلاء المسلمين . وبعد ان ذرف الدموع الحرى ، أخذ يتذكر أن بعضـــا من جنود المسلمين اتى بهم صقر قريش ، فاستطاع بهم أن يؤسس هذه الأمجاد فى قلب أوروبة . ورأى فى هذا الفن العظيم شخصية المسلم واخلاقه وصفاته .

ويتذكر ، وهو يطوف فى أرجاء الجامع ، أهله الأدنين الذين شادوه ، والعقيدة التى كانوا يدينون بها ، ودوى بسمعه اذانهم ، إيذانا بنشر العــلم فى الشرق والغرب ، فهاجت نفسه ونظم قصيدته المنبعثة من عاطفته نحو العرب خاصة والمسلمين عامة . . فيقول مخاطبا المسجد !

« إن بينى وبينك ، ايها المسجد العظيم ، نسبا من الايمان والحنان » ولكنه يتذكر فجأة أنه هندى ، فما هذا الرابط إذاً ؟ فيعود ليستأنف كلامه :

« انظر ايها المسجد الى هذا الهندى الذى نشأ بعيدا عن مركز الاسلام ومهد العروبة ، الذى ترعرع بين الكفّار وعبّاد الأصنام كيف غمر قلبه الحب والايمان ؟ » .

وفى قصيدة اخرى ، ولا زلنا فى الأندلس ، تثور فى نفسه الذكريات ، فيخطر على باله طارق بن زياد ، فقد كان هذا البطل العظيم أحد ملهمى هذا الشاعر ، وخاصة فى خطبته المشهورة « أيها الناس ، أين المفر ؟ البحر من ورائكم ، والعدو امامكم ، وليس لكم والله الا الصدق والصبر » . فنظم قصيدة فى طارق ، الذى آلى على نفسه لينصرن الله فى أسبانية . فقال : لقد أكرمت يا رب رعاة الإبل ، وسكان الوبر من العرب بنعم فريدة ، علم جديد ، وايمان جديد ، وشعار جديد ، لينشروا النور فى بلاد الظلام .

أعد يا رب الى هذه الأمة المؤمنة الحمية والغضبة ، وها إن الله تعالى استجاب لدعاء طارق ، وانتصر بجيشه على عدوهم ، وأصبحت أســـبانية النصرانية الاوروبية الاندلس الاسلامى العربى . وقامت تلك الدولة فى ربوعها قرونا مزهرة ، ولم تضعف الا بفقدهم الروح التى تضلع بها طارق وأصحابه ، وبنسيانهم الرسالة التى جاءت بهم من جزيرة العرب ، وبفقرهم فى الايمان الذى امتاز به طارق بين قادة الجيوش وفاتحى البلاد .

وما دمنا بدانا فى تطوافنا مع اقبال وقضاياه العربية بالأندلس ، فلنتابع شعره جغرافيا ، وندخل ليبيا ، فلما نشبت الحرب ضد الطليان جُرحت عواطفه، وهاج خاطره ، وثار على الغرب ، وعلى حضارته بأن نظم قصـــائد رائعة فى المسلمين عامة وفى العرب خاصة .

من ذلك قصيدته : « شكوى الى الرسول » فقد تصور انه زار النبى ، وكثيرا ما يفعل ، وسأله النبى : ماذا حملت الينا من هدايا يا اقبال ؟ فاعتذر الشاعر عن هدايا الدنيا وقال : انها لا تليق بمقامكم الكريم ، ولكننى جئت بهدية ، هى زجاجة يتجلى فيها شرف امتك ، وهو دم شهداء طرابلس .

قصيدة أخرى له فى هذه الحرب ، قصيدة تعد من روائع الأدب الانسانى العالمى ، فقد بلغه ــ أو تصور ــ أن فتاة اسمها (فاطمة بنت عبد الله) من اهل ليبيا لقيت مصرعها عام ١٩١٢ بينما كانت تسقى المجاهدين فى أثنـــاء محاصرة درنة ، فخاطبها ، فقال :

« فاطمة ، انت عزة هذه الأمة الكريمة ، انت طهر وبراءة »
« كان من حسن حظك وسعادتك ، أن تسقي المجاهدين في سبيل الله »
« ان جهادك هذا دون سيف او ترس ، حدآنا علي الشوق للاستشهاد »
« كنت برعما نديا في حديقة الاسـلام البادية الذبول ، وكنت شرارة نحمد الله أن انبعثت من رمادنا »
« كـم من غزال خفي في صـحرائنا ! »
« كم من بروق ساكنة خلف غيومنا السخيـة ! »
« فاطمة ، إن كانت مآقينا تدمع اسى عليك ، فان عويل مآتمنا ينطوي على نغمة الابتهاج ببطولتك أيضا »
« ما أطرب رقص روحك الطاهرة ! إن كل ذرة من رفاتك مفعمة بلوعة الحياة »
« لحدك الصامت هذا يحمل في جنباته غليانا وثورة ، ولسوف تتربي امة جديدة في حضنك الغالي »
« لست أدري مدى وسعة اهدافهم (في المستقبل بالنسبة له) ولكنني ابصر انهم سيخلقون من مرقدك هذا »
« نجوم جديدة ستبزغ في السماء ، لا ترى عين المرء أمواج تألقها » .
« نجوم ظهرت حديثا من ظلام غياهب الأيام ، لا يتقيد ضوؤها بالصباح والمساء »
« نجـوم بريقهـا قديم وجديد في آن واحد »
« وفيه اشـعاع نجمك السـعيد ايضـا »

إقبال في مصر :

يحكي لنا الدكتور عزام حكاية تنم عن حب اقبال الشديد للعرب فيهـا طرافة . فعندما زار جامعة القاهرة بناء على دعوة منها ، يقول عزام : « ذهبت اليه مرة في فندق في حلوان ، فأخرج من حقيبته عمامة وطربوشـا ، وقال : أرني كيف تكوّر العمامة ؟ ثم قال : أراني أوثر العمامة والجبة ، واشعر حين البسهما اني في زي أستاذ ، كما اشعر اني صبيّ حين البس هذه الملابس — وأشار الى الملابس الافرنجية التي كان يرتديها » (عزام : ٤٢) .
وعندما اذن الانكليز المحتلون في مصر للناس بحمل السيوف بعد ان حرم حمل جميع الاسلحة ، نظم اقبال قصيدته التي منها :

أيها المسـلم تدري اليوم ما قيمـة الفولاذ والعضب الذكر ؟
هو مصـراع من البيت الذي مضـمر فيه من التوحيد سر
وأرى مصـراعه الثـاني في سيف فقر تحتـويه كف حر
أنت يا مسلم — إن تظفر به — خالد او حيـدر يوم المـكر

وقد استرعى انتباهه جثوم أبي الهول ، رمز العقل والقوة في وسـط الرمال ، فكتب عدة قصائد فيه ، منها :

من أبي الهـول أتتني نكتة وأبو الهـول طوى السر القـديم
كم شـعوب بدلت سـيرتها قوة لم يجفها العقل الحـكيم
طبعهـا في كل عصـر مائـل يبدل الشكل ويبقى في الصـميم
فهي طورا في حسام المصـطفى وهي طورا في عصا موسى الكليم

ويقول من أخرى ، ويشيد فيها بالانسان وقدرته على الابداع :

شـــادت الفطرة كتبانا لهــــا　　في سكون من يبـــاب قد وقد
روّع الأفلاك فيـــــــه هرم　　أى كف صـــــورت هذا الأبد !
من إســـــار الكون حرر صنعة　　صائد ذو الفن اصيدا يصــــد ؟

في صقلية :

كان كلما مر بأرض كان للعرب فيها فضل وماض بكاها وارسل الشعر مع الدمع مدرارا . فقد مر بصقلية في أثناء عودته الى بلاده عام ١٩٠٨ ، فنظم قصيدة طويلة مطلعها :

« ابك أيها الرجل ادمعا لا دمعا ، فهنا مدفن الحضارة الحجازية »

اقبال وسورية :

عرضت الحكومة الفرنسية على اقبال ان يزور مستعمراتها في شـمال افريقية ، فأبى . وحز في نفسه أن يدمر الجيش الفرنسي مدينة دمشق ، فأعلن أنه لن يدخل الجامع الذى بنى في باريس وقال : إن بناء هذا المسجد ثمن بخس لتدمير دمشق واحراقها . .

يا ناظرى لا يخـــدعنك فنــــه　　للزور هـــذا الحـــــرم المغرّب
وليس هـــــــذا حرما لـــــكنه　　عند الفـــــرنج للغـــرام ملعب
قــــد اخفت الافرنج روح موثن　　في صــــورة من حُرم تكذب
إن الذى شــيد هذا موثنـــــا　　دمشـــــقَ من عدوانه تخرب

ولعل من أروع ابياته في الشام بيتين يصوران السلم الذى يقدمه العرب ، والدم الذى يهدره الغرب :

أهدت الشــــام الى الغرب نبيا　　هو عف ومواس وصــــــبور
ومن الغرب الى الشــــام هدايا　　من قمار ونســــــــاء وخمور

ويقول في حلب أيام الانتداب :

مرحى لحــــانات الفرنج فقد　　ملأت بهن زجاجهــــــا حلب

إقبال وفلسطين :

لا تظنوا أن اقبال لم يشارك العرب في قضية فلســـطين ، فمـــع أنه توفى عام ١٩٣٨ فقد أحس بتحركات اليهود في الغرب ، ورغبتهم في احتلال فلسطين ، فأخذ يحذر العرب . وكم كان يؤلمه أن العرب لا يزالون ينظرون الى الأوروبيين والامريكان كأصدقاء مخلصين ، وأعوان منجدين ، يحلون لهم مشكلة اللاجئين ، ويردون اليهم ارض فلسطين — مستبقا الاحداث طبعا — مع انهم لا يزالون تحت سيطرة اليهود ، وتحت نفوذهم السياسى والاقتصادى والاعلامى فيقول :

« صدقونى أيها العرب انه لا دواء لكم في جنيف ولا في لندن ، الانــكم تعلمون أن اليهود لا يزالون يتحكمون في سياسة أوروبة ، ولا يزالون يملكون زمامها . ان الأمم لا تتذوق طعم الحرية والاستقلال ما لم تربّ فيها الشخصية والاعتماد على النفس » (الندوى : ٧٠) .

لا دواء فى لنـــدن او جنيـــوا   بوريد الفـــرنج كف اليهـــود

ولقد اشترك فى المؤتمر الاسلامى الذى انعقد بالقدس عام ١٩٣١ . وكان قد جاء من اوروبة يمثل الهند المســـلمة فى هذا المؤتمر . وأخذ يتفقد أرجاء فلسطين ، والأماكن المقدسة فيها والرباع الخضراء الممتدة على مدى البصر . وبعد أن طاف طوفته هذه اتجه نحو الوطن العربى ، فرأى ايمانه قد ضعف ، والى العالم الاسلامى فوجد أنه أفلس من الايمان والعاطفة . ونظر الى العالم المادى ، وتمنى أن يرى جبارا يغضب للحق ويثور كالليث . وكم رجا أن يكون هذا الثائر من بلد عربى ، ويفاجىء العـــالم بصراحته وصرامته . ونظر الى الحجاز فلم ير ما يدل على وجود هذا الثائر .. فأيقن أنه ضـــعف العاطفة والحب . لقد رأى أن أبا لهب يحمل راية العصيان ويصـــول ويجول ، فحث العرب على الانضواء تحت راية معسكر الايمان اذا أرادوا لأنفســـهم الوحدة والخير (الندوى : ١٣٥) .

ولقد قدم صفقة رابحة من اجل فلسطين ، وقال : « اذا اراد اليهود أخذ فلسطين ، فليستعد العرب اسبانية من الغرب » :

إن فى فلســـطين اليهـــود زجت   فليــــأخذن اســـبانيا العرب

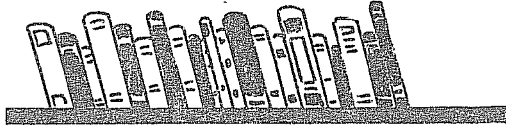
ويهزأ من أوروبة التى ادعت أنها انقذت الشام وفلسطين من قسوة الترك ، ولكنها أوقعتهما فى شر أسر ، من قصيدته (شبكة التمدين) :

فأوروبا نصــــيرة كل شـــعب   تشـــــكى الدهر من ظلم وضر
كرامات القساوس أن أضاءوا   سراج الـــكهرباء بكل فـــكر
ولـــكن من فلســـطين بقلبى   وللشــــام الكسيرة حر جمر
من الترك الجفاة نجـــوا فلاقوا   فى شراك التمـــدن شر أسر

بعد أن جلنا جولة عجلى فى بعض أنحاء الوطن العربى مع الشـــاعر المسلم العظيم محمد اقبال ، فأحسسنا أنه واحد من العرب الغيورين على كل شبر من أراضيه شرقا وغربا . علما أن اقبال لم يكن قومى التفكير ، ولو كان كذلك لما طالب فصل باكستان المسلمة عن الهند ، ولكنه يميل الى دين محمد ، وما دام محمد عربيا ، فليحب ما يحبه العرب ، وليكن احد الجنود الثائرين فى أرضهم ، على أمل وحدة اسلامية متعاطفة وشاملة .

ولعمرى ، لقد وفّاه الدكتور عزام حقه ، واعترف له بهذا الجميل ، فنظم فيه وفى ديوانه (ارمغان الحجاز) أبياتا عام ١٩٤٧ كانت لسان حال كل عربى ، وقد حفرت على قبره بالرخام ، أختتم بها حديثى :

عربى يهـــدى لروضـــك زهرا   ذا فخار بروضـــــه واعتزاز
كلمـــات تضـــمنت كل معنى   من ديار الاسلام فى ايجـــاز
بلسان القرآن خطت ، ففيهـــا   نفحـــات التنزيل والاعجـــاز
فاقبلنهـــا ، على ضـــآلة قدرى   فهى فى الحق (ارمغان حجاز)



مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار فيض

مدخل
لدراسة مطامع اليهود فى فلسطين قديما وحديثا

كتاب من تأليف الدكتور محمد بديع شريف يتحدث فيه عن غربة اليهود فى ارض فلسطين وعدم وجـود أى حق تاريخى لهم فى هذه المنطقـة استنادا الى الأصول التاريخية وسيجد القارئون فى هذا الكتاب ما يحملهم على اعادة النظر فى الآراء السابقة التى ضلل اليهود بها الناس حقبة من الزمن .

والكتاب يحتوى على احد عشر فصلا تشمل الحركة التاريخية لليهود منـذ وجودهم على وجه الأرض وحتى نهاية حربهم مع العرب عام ٦٧ ويقع فى ١٩٥ صفحة ومن نشر معهد البحوث والدراسات العربية بجامعة الدول العربية ــ بالقاهرة .

الدراسات القرآنيــة المعاصرة

بحث جاء ثمرة قراءة طويلة لعدد من الكتب التى تزخر بها المكتبة الاسلامية فى الدراسات القرآنية المعاصرة ــ لخص أفكارها وأوجز أبحاثها ونقد آراءها الطالب محمد بن عبد العزيز السديس باشراف الشيخ مناع القطان .

واشتمل البحث على أربعة أقسام :

القسم الأول : فى التفسير .

والثانى : فى الفهارس والمعاجم القرآنيــة

والثالث : فى الدراسات القرآنيــة العامة

والرابع : فى الدراسات القرآنيــة الخاصة .

ويقع البحث فى ٦٠٠ صفحة وهو من مطبوعات كلية الشريعة بالرياض ، قسم البحوث الاسلامية .

الحرب فى الاسلام

الكتاب الخامس والأربعون بعـد المائة من سلسلة (كتب اسلامية) التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة وهو بعنوان : **(الحرب فى الاسلام وفى المجتمع الدولى المعاصر)** للكاتب القانونى الأستاذ توفيق على وهبة ويتضمن الكتــاب الموضوعات الآتيــة : التعريف بالحــرب ــ أسباب الحــرب وأهدافها ــ إنسانية الحروب الاسلامية ــ دار الاسلام ودار الحرب ــ صــور من الحــروب الاسلامية ــ الغنائم ومعاملة أسرى الحــرب ــ معاملة المدنيين اثناء الحــرب .

هذه بعض جوانب الحــرب الاسلامية التى وردت فى الكتاب واوضـحها المؤلف وقارنها بالقانون الدولى العام والوضع الراهن والكتاب يقارب المائة صفحة ومن طبع مطابع الاهرام بالقاهرة .

قصّة



للأستاذ سعيد زيـد

أطرق حكيم القرية هنيهة ثم قال للسيدة العجوز : اذهبى الى المامون ، فإنى والله لا أظنه يرضى على هذه الحال ، وإلا لما استحق أن يجلس بين المسلمين مجلس الخليفة ، فإن ابسط ما يتصف به خليفة الله هو بغضه للجور وحبه للعدل وسهره على راحة الرعية .

وفغرت السيدة العجوز فاهها ، وقالت فى دهشة : ولكنى اخبرتـك عن الجانى وعن مدى قرابته لخليفة المسلمين ، أو تظن أنه ينتصف لى منه ؟

قال : بلى ، وإن لم يفعل هذا لما استحق أن يكون خليفة . فإنى لا أفهم شيئا أكثر من أن يكون خليفة المسلمين محبا لجميع المسلمين ، ومساويا بينهم فى كل شىء . ومقتصا من الظالم مهما علا قدره للمظلوم مهما نزل قدره ، والا لما كان جديرا بالخلافة .

كانت السيدة العجوز تحيا هى واولادها فى ضيعة صغيرةاورثها لهم زوجها مع عدد قليل من الإبل والغنم . وكانت حياتهم رتيبة خالية من المتاعب النفسية . يستيقظون كل صباح على أداء الواجب الذى يقوم به كل منهم ، تحلب هى اللبن وتوزعه على أولادها ، ثم ينتشر الأولاد فى الضيعة منهم من يرعى الإبل والغنم ومنهم من يقوم بالزرع ، وتبقى هى فى المنزل كى تعد لهم طعام الغذاء ثم تحمله إليهم فيلتفون جميعا حول المائدة التى تصنعها لهم فى ركن من الأرض الخضراء ياكلون هنيئا ويشربون مريئا ، ويقومون بعد ذلـك للعمل فى ضيعتهم حتى المساء ثم يعودون إلى منزلهم الصغير وياوون الى فراشهم بعد الغذاء كى ينالوا قسطا من الراحة حتى صباح اليوم التالى .

وهكذا كانت السعادة والطمانينة وهناء البال وراحة الضمير ترفرف على هذه الأسرة الصغيرة حتى جاء يوم مر فيه احد الأمراء على هذه الضيعـة فاعجبه حسنها والجمال الذى يبدو من تناسقها فابدى رغبته فى شرائها ، ولما رفضت سيدة الأرض ، غضب وأمر جنده بطردها هى وأولادها والاستيلاء على الأرض عنوة ، ولما ضاقت بها الدنيا ذهبت إلى المامون تعرض شكايتهـا كما نصحها حكيم القرية ..

كان من عادة أمير المؤمنين أن يجلس فى بهو فسيح من أبهـاء قصر الخلافة ، رسمت على سقفه وجدرانه آيات من الفن العربى ، ووضعت فى صدره إحدى الأرائك تحت لوحة رائعة مكتوب عليها ((العدل أساس الملك)) وفرشت أرضه بأبسطة جميلة . وكان الحجاب والحراس بعد تادية صلاة الظهر يقفون متاهبين لشىء خطير . وهل هناك أخطر وأروع من رد المظالم إلى أهلها ، ومن إنصاف الضعيف وإحقاق الحق ؟ وهل هناك أيضا أخطر وأروع من أن يكون الخليفة هو الذى يتولى هذا الأمر بنفسه ؟

كان الخليفة المامون يصلى الظهر فى المسجد المجاور للقصر ، وبعد أن يفرغ من صلاة الفرض يتوجه إلى القبلة مرة ثانية ويصلى ركعتين ثم يرفع يديه إلى السماء ويتمتم بدعاء إلى الله كى يهديه الصراط السوى ويلهمه السداد والتوفيق فيما هو مقبل عليه . وبعد أن يفرغ من دعائه يخرج من المسجد تحفه المهابة والجلال ، ويدخل قصر الخلافة ويتوجه إلى الأريكة ويجلس عليها بعد أن يخلع نعليه . ويسمى باسم الله ، ويقرأ بعض آيات الذكر الحكيم ، ثم يلتفت إلى وزيره قائلا : ((ما عندك اليوم يا أخى ؟)) وكانت هذه الجملة بمثابة الاستعداد لافتتاح الجلسة . فسرعان ما يشير الوزير إلى أحد الحجاب الذى يسرع بدوره إلى باب فيفتحه فتدخل منه جموع الشاكين والمتظلمين ويجلسون صفوفا متراصة على البسط الممدودة .

منظر رائع ترفرف عليه المهابة والجلال . إن جميع الأعناق مشرئبة لترى أمير المؤمنين جالسا فى مكان القاضى وقد أطرق برأسه إلى الأرض فكست لحيته صدره ، وتحركت شفتاه بكلام الله عز وجل ، ولعبت أنامله بمسبحة توحى بالتقوى والورع ، إن كل واحد يهمس فى أذن جاره يسأله عن شكايته ويمنيه برفع الظلم ، ويذكر له ما حدث لكل من عرض شكواه فى هـــذا المكان ، وكيف خرج مرفوع الرأس ، موفور الكرامة ، مجبور الخاطر .

ويرفع الخليفة رأسه ، فترتفع خفقات القلوب ، وتتحـــرك بعض الأشجان ، وتصحو الآمال فى جنبات المظلومين ، ويرفرف على المكان سكون رهيب ، وتتجه الأنظار جميعها إلى وجهه ، وترهف الأسماع لتعى ما يقول .

ويشير أمير المؤمنين الى وزيره إشارة ذات مغزى ، فيناوله الوزير كتاب الله ، فيأخذه الخليفة بيده اليمنى ويضعه أمامه ، ثم يضع يده عليه ، ويقسم قسمه العظيم ، وهو أن يقضى فى الناس بالحق . فتطرق الرؤوس مهابة وجلالا .. ثم يرفع يديه إلى السماء ، ويدعو الله بصوت مرتفع أن يلهمه سداد الرأى وفصل الخطاب ، فتتجاوب جنبات القاعة مرددة : ((آمين .. آمين .. آمين)) ..

وكان هذا الدعاء ، إيذانا بفتح الجلسة ، فيشير الوزير بعد ذلك إلى الجالس فى أول الصف من جهة اليمين ، فيقف ويسمى باسم الله ثم يبدأ بعرض ظلامته ، وبعد أن ينتهى من عرضها ، يشير إليه الخليفة إشارة إذنه بالجلوس ، فيجلس . ويسبح أمير المؤمنين فى التفكير برهة قصيرة من الزمن يقلب فيها وجوه الرأى ويزن فيها الأمور ، ثم ينطق بالحكم ، فتهدأ ثائرة المظلوم وتسكن نفسه ، ويطمئن إلى العدل ، وينظر إلى الحياة نظرة ملؤها الثقة والمحبة ، وينصرف إلى حاله راضيا مبتهجا .

وأشار وزير أمير المؤمنين بعد ذلك إلى الشاكى الثانى ، فالثالث ، فالرابع ، إلى أن انتهت الجلسة ، وهم الخليفة بالقيام ، وأعلن الوزير انتهاء الجلسة .

وبينما هو كذلك إذ دخلت السيدة العجوز وعلى وجهها آثار التعب والإرهاق ، لا يشك الناظر إليها أنها آتية من سفر بعيد ، ووقفت بين يديه رابطة الجاش ثابتة الجنان وقالت : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » ..

ولم يستغرب خليفة المسلمين ولم تصبه الدهشة ، فقد تعود هذه المواقف من قبل ، ونظر إلى يحيى بن أكثم ، فقال لها يحيى : « وعليك السلام يا أمة الله . تكلمي بحاجتك » ! فقالت السيدة :

يا خير منتصف يهدى له الرشد ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك — عميد القوم — أرملة عدى عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ظلما وفرق مني الأهل والولد

فاطرق الخليفة لحظة سبحت فيها روحه في ملكوت الله وهو يسمع المؤذن يدعو الناس لصلاة العصر ، قائلا : « الله أكبر ... حي على الصلاة ، حي على الفلاح .. » ، ثم رفع رأسه ونظر إلى المرأة قائلا :

في دون ما قلت زال الصبر والجلد عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
فالمجلس السبت — إن يقضى الجلوس لنا ننصفك منه — وإلا المجلس الأحد

قال هذا ، وهم بالخروج إلى المسجد المجاور ليصلي العصر ، وانصرفت السيدة العجوز .

وفي اليوم التالي ، نودي عليها في أول المتظلمين ، فوقفت قائلة : « السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » . فرد عليها الخليفة قائلا : « وعليك السلام ورحمة الله وبركاته » ، ثم سألها قائلا : « أين الخصم ؟ » . فقالت : « الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين » . وأومأت إلى العباس ابنه .

فعقدت الألسنة من الدهشة ، وحملق كل جالس في جاره ، وظهرت الغرابة على الوجوه وبدت عليها الحيرة ، وذهبت ظنون الناس كل مذهب . ولكن الخليفة لم يعجب ولم يندهش ، ولم تأخذه روعة الموقف ، بل أشار في هدوء إلى أحمد بن أبي خالد ، وقال له : « خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم » ..

وسار الأمير إلى جانب ابن خالد تاركا الوقوف بجانب منصة الحكم إلى حيث يجلس المتهمون والمتظلمون مطرق الرأس شاحب الوجه زائغ البصر .

وانطلقت السيدة العجوز تروي قصتها وتشرح ظلامتها ، وارتفع صوتها على صوت العباس فقال لها أحمد بن أبي خالد : « يا أمة الله ، إنك بين يدي أمير المؤمنين ، وإنك تكلمين الأمير ، فاخفضي من صوتك » فرد المأمون في قوة وحزم قائلا : « دعها يا أحمد ، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه » . فاستأنفت روايتها حتى أتمتها .

وأطرق الخليفة هنيهة ، وفكر كعادته ، ثم نطق بالحكم قائلا : « إن الحق بجانبك أيتها السيدة ، لقد قضينا برد ضيعتك إليك ، وسينال خصمك الجزاء الرادع » . ثم التفت إلى وزيره قائلا : « اكتب إلى العامل الذي ببلدها أن يسقط عنها الخراج ، ويحسن معاونتها ويصرف لها إعانة مالية » .

وأثلجت قلوب الحاضرين واطمأن كل الى مكانه ، ورفعت السيدة العجوز يديها إلى السماء لتشكر ربها على عدل أمير المؤمنين ، وخرجت من عنده وهي تردد قول حكيم القرية : « .. وإن لم يفعل هذا لما استحق أن يكون خليفة .. »

اعرفوا أعداءكم

للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السند

قال الله عز وجل (يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) يريدون ليطفئوا نور الله هذه إرادة أعـداء الله فى كل عصر وهذا دورهم فى كل زمان وهذا مدار تفكيرهم وتدبيرهم فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وبعد زمن الرسول وفي أيامنا هذه كل همهم أن يطفئوا نور الله لأنهم لا يطيقون أن يروا هذا النور يشع في كل أفق ولا يطيقون أن يسمعوا لا إله الا الله تدوى في كل أذن ولا يطيقون للاسلام ظلا يمتد ولا لأهله قوة تحميهم ولا لكتابه سلطانا عليهم ولا لدولتهم علما مرفوعا ، وصوتا مسموعا ، وكلمة نافذة ، لا يطيقون أن يروا ذلك لأنهم أعداء الله وأعداء الحق وأعداء الإسلام وأعداء الإنسانية ، ولأنهم كما يقول الله تبارك وتعالى : (لا يالونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر) ولأنهم يعلمون أن قوتنا تنبع من ديننا وهو أبغض شيء اليهم ، فهم يحاولون أن يشككونا فيه ، وأن يبغضوه الينا ، وأن يوهنـوا ما بيننا وبينه من العروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والله سميع عليم ، ويعلمون أن كتابنا فيه سر سعادتنا وعزنا اذا اهتدينا بنوره لا نضل ، واذا اعتصمنا بحبله لا نذل ، واذا تزودنا منه كفانا وأغنانا وهدانا الى الصراط المستقيم فهم يحاولون أن يزهدونا فيه ، وأن يعزلونا عنه لأنه فى قلوبنا نور وفى صـدورهم لظى . ويعلمون أن أرضنا خير بقاع الأرض وأجمـل بلاد الدنيا ، وأشرف مكان فى الأرض ، فيها الكعبة التى تتجه اليها القلوب ، وفيها المسجد الأقصى الذى تشد اليه الرحال ، إنها الأرض التىكلم الله فيها موسى ، وأيد فيها عيسى ، وأسرى اليها بمحمد صلاة الله وسلامه على جميع رسله وأنبيائه ، ولكن من الأسف والحزن أن المسجد الأقصى قد اغتصبه أعـداء الإسلام والإنسانية اليهـود

بمساعدة الصليبيين والملحدين ، إن اعداءنا يريدون ان يمزقوا التاريخ المكتوب يريدون ان يدنسوا الأرض الطاهرة ، يريدون ان يجعلوا من ارضنا دولة يسكنها القتلة السفاحون بجوار الأنبياء الذين قتلوهم بغير حق .

نعم يريدون ذلك واكثر من ذلك ، يريدونك انت الا تقوم لك قائمة ، يريدون لك حياة اشبه بالموت ، يريدون ان تعيش محروما من نعمتك مطرودا من ارضك منبوذا حتى من نفسك ، يريدون أن تعيش بلا دين ، ولا وطن ، ولا اهل ، ولا مال ، ولا أمل ، ولا تاريخ ، ولا حضارة ، يريدون ان يحرموك من نعمة الإيمان بالله تعالى ونعمة الإسلام التى هى اجل النعم ، تستند على العقيدة والدين ، لاعلى التراب والطين .

إن من ضيق النظر وسذاجة التفكير ان نعتقد ان دولة العصابات وحدها هى التى هاجمتنا ، فهى اهون من ذلك بكثير ، فليست إلا ذنب العقرب الذى اودعوا فيه السم وليست إلا القناع البشع الذى واجهنا به الشيطان ، وليست إلا الدخان الأسود الذى دفعته نار الحقد علينا وليست الا الزبد القذر الذى دفعه تيار العداوة والبغضاء على سواحلنا .

وسياتى إن شاء الله اليوم الذى يختاره الله لنبتر فيه الذنب ويسقط فيه القناع ويتبدد فيه الدخان ويذهب فيه الزبد .

إن العدو الاكبر هو الذى امد دولة العصيان بالمال واعانها بالرجال ، واعد لها الخطط ، وجعل منها ترسانة مملوءة باحدث الأسلحة — العدو الاكبر هو الذى اعطاهم الغطاء الجوى وقنابل النابالم وصواريخ الجو وأسرارنا العسكرية .

العدو الاكبر هو الذى خدعنا بالحيلة وامدهم بالمخابرات — العدو الاكبر هو الذى وقف الى جانبهم بكل قواه بالعتاد الحربى واجهزة الاعلام — يجب ان تعرف اعداءك الذين اخرجوك من ديارك وظاهروا على اخراجك ... اعداؤك هم اعداء الله الذين حذرنا الله منهم ونهانا عنهم . اعداؤكم هم اعداء الإسلام وتجار الحروب وسماسرة الشر وزارعو هذه الفتنة فى بلادنا اعداؤكم هم اعداء الحق وقراصنة العالم الذين سرقوا اوطانكم لتسكن فيها الخنازير واغتصبوا دياركم لتسرح فيها القردة واخذوا اموالكم ليزيدوا غنى ونزيد فقرا ليزيدوا عتوا ونزيد ذلا ليزيدوا رخاء وقوة ونزحف على الركب من الهزال .

فما ترون بعد ذلك يا مسلمين يا عرب .. المسجد الاقصى اغتصبوه واخوانكم فى الأرض المحتلة يحكمهم الشياطين يذيقونهم سوء العذاب ، ومآذن مساجدنا يطل منها اليوم من شذاذ الآفاق الذين لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة فماذا بعد الحق الا الضلال ، وماذا بعد العزة الا الهوان .

هل ستسلمون بذلك يا اتباع محمد هل ستصبرون على ذلك يا احفاد خالد هل ستقفون عند هذا الحد يا خلفاء الله ويا حفظة كتاب الله ويا حملة لا إله الا الله ام ماذا تنتظرون ؟. لقد جرت سنة الله تعالى فى الكون من قبل رسول الله ومن بعده ان يمنح النصر لمن يتخذ اسبابه من الاستعداد والاعداد ويعمل له حسابه من جميع الوجوه والاحتمالات ولا يترك فرصة لعدوه يعض بعدها بنان الندم .

ومهما كانت اسباب الهزيمة فقد انكشفت لنا حقائق كانت غائبة عنا وامور كانت لا تخطر لنا ببال ومنافقون مردوا على النفاق لا نعلمهم وصدق الله العظيم حيث يقول (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).

أزمة الزواج

بقلم : عبد الرحمن احمد شادى

تظهر أزمة الزواج واضحة جلية لكل ذى عينين .. ويتضرر الشباب من الجنسين بسبب هذه الأزمة وينبغى أن لا نفكر بمنطق النعامة التي تظن أنها ما دامت لا ترى الصياد فهو لا يراها .. والغريب في الأزمة أنها ليست بسبب قلة الفتيات أو ندرة الرجال وانما بسبب المغالاة فى الهدايا والمهور والمراسيم والتقاليد التي لم ينزل بها من الله سلطان ولا كتاب منير .

تبدأ هذه التقاليد والأعراف بالشبكة التي كانت خفيفة فى اول أمرها ثم تدرجت بها المظاهر والغرور والتقليد الأعمى الى الثقيل ، ويليها الهدايا المختلفة الاشكال والالوان من طعام وشراب وثياب يتحتم على الخاطب أن يقدمها فى الأعياد والمواسم والحفلات والمناسبات السارة ، ولا بد أن تكون غالية الثمن عظيمة القدر والا عرض نفسه للاحتقار والهوان والسخرية .. بل ان بعض البيوت تهزأ من الخاطب الذى يدخل على أصهاره ومخطوبته بيد فارغة ، ويلى هذا المهر بمقدمه ومؤخره .. يراعى فى المقدم أن يكون مناسبا لعدد الغرف التي ستأتى ولأثاث المطبخ وللمؤخر وظيفة أخرى عند بعض الأسر التى تتعنت فى زواجها وشروطها .. تجعله ثقيلا جدا بحيث يبدو كالسيف المسلط فوق رقبة الزوج يقطعها فى أى لحظة اذا أراد أن يتحرر من الدوران فى فلك الزوجة وهى بالتالى تدور فى فلك أهلها ..

ويلى ذلك عقد القران وتصحبه المطاعم والمشارب والولائم والغناء والموسيقى والرقص والزينة والصور والمأذون والكهرباء والثياب الفاخرة له ولزوجته .. والأهل من كلا الجانبين أو من أحدهما من ادوات المحافظة والاستمساك بهذه الأعراف الجائرة وهم لا يفرطون فى شىء يسير منها . وان اضطر الأبناء نتيجة لهذا العنت والجمود الى التردى فى الهاوية .. العقوق اذا أصروا على التقيد بهذه التقاليد والعنت عند تأجيل الزواج وتركه أو الانحراف . وأحيانا يكون فى نفوس الابناء من الكبر والغرور ما يجعلهم لا يفرطون فى شىء من هذا وفى خيال كل واحد منهم ما فعله أخوه أو قريبه أو زميله فى ليلة العمر التي يهون عندها كل غال ورخيص .. فهو يحب التقليد الأعمى فى المظاهر .. ومنها مسالة الكفاءة والتطلع الى الأعلى .. فهو لا يكتفى بمن تساويه ويظل خمس سنوات أو اكثر لا يجد بنت الحلال التى تضارعه مالا وعملا وكمالا وأصلا وفصلا ومظهرا ومخبرا وأهلا وشهادة وخلقا .. والفتاة لا تقتنع بالقرين وكل

منهما لا يعرف قدر نفسه ويبالغ في قيمتها وعلى هذا فمن النادر أن يتفقا والكمال لله وحده وأين الاعتراف حينئذ بنقص البشر .

من الشروط أن تكون من بنات الأكابر الذين يفخر بهم واحدا بعد واحد ولا يعاب بأى فرد منهم ومستواهم في الغنى فوق مستواه .. من الشروط أن تكون جميلة تحير الألباب وتفتن القلوب .. من الشروط أن تكون عاقلة لا حمقاء . من الشروط أن تحصل على شهادة تساويه أو تدانيه .. من الشروط أن تكون موظفة تساعده على العيش في مستوى رفيع .. من الشروط أن تكون عصرية توافقه في النظر الى الحياة وهو يخاف مع ذلك من العصرية لأن الثقة بها تتذبذب فهو يخشى أن تكون العصرية قد أدت بها الى المخادنة من قبل في المجتمعات المفتوحة الموبوءة التي تهب عليها ريح الفساد من كل جانب ويخشى ان يراوغها الشيطان فيما بعد .

من الشروط أن تشاركه هواياته المفضلة .. الخ . وفي النهاية تبدو مسألة الكفاءة هذه كأنها مهزلة وربما وصل الى الاربعين وفاته القطار وأصبح محلا لاحتقار الفتيات الصغيرات لأنه في سن آبائهن .. وبلوى الشاب أشد اذا كان قد انحرف وخان غيره فهو لا يثق في مخلوقة بعد ذلك ويظل قلقا باستمرار يخشى أن يكون جزاؤه بعد الزواج من جنس العمل وربما منعه خوف الخيانة من الاقتران طول عمره وتبدو عنده الأمانة الزوجية والعفة عن الحرام كالأساطير .. فاذا نفذ الشاب من هذه العقبات وتخلص من هذه العقد وجد أزمة السكن تواجهه . فأين يعيش مع عروسه لا بد أن يحسب حسابا كبيرا لماردين جديدين خلو الرجل وأزمة المواصلات اذا اضطر للسكن في مكان أو بلد بعيد عن عمله او عمل زوجته ..

والزواج بهذه الصورة عبء وبلاء فوق طاقة الشبان المساكين حتى وان كان حظهم خيرا من سواهم بحصولهم على اجر عمل فوق المتوسط لأنهم تخرجوا من الجامعات .. هاتوا أكبر الحاسبين ليعلن لنا كم عدد سنوات الانتظار التي يقضيها الشباب من الجنسين على أحر من الجمر اذا ظلت هذه الطريقة هي السائدة في الزواج .

لو كانوا أغنياء عندهم المال الكافي الموجود تحت قبضة اليد في الخزائن والمصارف وقالوا نحن أحرار .. نذكر آية من القرآن « **قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق** » لقلنا حفظتم آية وغابت عنكم آيات اين ذم الترف والاسراف وهو وارد في كثير من الآيات . وهل يصح للمسلم أن يكون مثله الأعلى في حياته هو النعيم والمتاع . ولكنهم فقراء يقلدون الاغنياء ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .. أوقعتكم هذه الأعراف الجائرة في كثير من المشكلات والآلام فأين الشجاعة التي تختصر هذه التقاليد والأعراف وأين العودة الى يسر المهور وبساطة المراسيم والاكتفاء بالضروريات من الأثاث والمتاع وأين التواضع والتخشن .. هذه الفضائل نضعها على الرف ونتخذها وراءنا ظهريا وان كنا ندعيها باللسان فقط وما لم توضع موضع التنفيذ ونصدق مع الله في جعلها واقعا ملموسا وشيئا محسوسا فلن تجد مشاكلنا طريقها الى الحل .. اننا

نتخذ أهواءنا آلهة نعبدها من دون الله وما لم ننبذ هذه الأوثان ونعبد الله وحده حقا وصدقا فلن نفلح .

انظروا يا شباب الى جهاز فاطمة بنت محمد سيدة نساء العالمين عندما كانت تتزوج قرينها الشاب على بن أبى طالب نقلته من طبقات ابن سعد — جزء النساء ..

الفراش جلد كبش ينامان عليه بالليل ويعلفان عليه الناضح بالنهار ، وسادة من أدم خشوها ليف ، قربة ، منخل ، منشفة ، قدح ، رحيان ، جرتان .

وقد طلبت من أبيها خادما يكفيها مئونة الطحن على الرحى فرفض أن يعطيها الخادم مع أنها قطعة منه يريبه ما رابها ويؤذيه ما آذاها وقرة عينه .

وبعد فهذه كلمة العقل والنقل والعلم بفروعه .. الصحة النفسية والجسمية والاجتماع والاقتصاد قد اتحدت فى هذا الموضوع ولم يبق بعد الحق الا الضلال واردد أخيرا قول الشاعر :

نعيب زماننا والعيب فينا … وما لزماننا عيب سوانا
نعيب الاسلام والعيب فينا وما للاسلام عيب سوانا ..



الفتاوى

قضاء الفوائت

السؤال :

وردت لهذا الباب عدة رسائل ، يذكر فيها اصحابها انهم تركوا الصلاة فترة من الزمن ويستفسرون عن كيفية قضاء هذه الصلوات .. ؟

الاجابة :

يطلب أولا ممن وفقه الله وعزم على قضاء الصلوات التى فاتته ان يحدد المدة الزمنية التى ترك فيها الصلاة .. شهرا أو شهرين .. سنة أو سنتين أو اكثر فان لم يستطع معرفة المدة بالتحديد لجأ الى الأحوط ، فاذا شك هل ترك الصلاة سنة وشهرين أو سنة وخمسة اشهر مثلا اخذ بالجانب الأحوط واعتبر المدة سنة وخمسة اشهر .. وبمعرفة المدة يعرف عدد الصلوات الفائتة ، والمطلوب منه بعد هذا أن يؤدى هذه الصلوات ، وهو مخير فى طريقة الاداء بأن يصلى فى وقت فراغه ما اتسع له وقته من الصلوات أو أن يقضى فريضة فائتة مع فريضة حاضرة بأن يصلى مثلا فريضة الصبح مما عليه مع فريضة الصبح الحاضرة ، وهكذا وهذه أسهل واضبط كيفية لقضاء الصلوات الفائتة .

الدعاء قبل السلام

السؤال :

ما حكم الدعاء بعد الفراغ من التشهد الأخير وقبل السلام .. ؟ وهل ورد دعاء خاص يلتزمه المصلى .. ؟

الاجابة :

الدعاء مستحب بعد التشهد الأخير وقبل السلام .. روى مسلم عن عبد الله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم علمهم التشهد ، ثم قال فى آخره : ثم لنختر من المسألة ما نشاء .

والدعاء مستحب بالأدعية المأثورة وغير المأثورة ، والأفضل الدعاء بما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد رويت عنه أدعية كثيرة منها ما رواه البخارى ومسلم عن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من اربع . يقول : اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال .

ومنها ما رواه مسلم عن على رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة يكون آخر ما يقول بين التشهد والتسليم : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، وما أسرفت وما أنت أعلم به منى ، انت المقدم وانت المؤخر . لا إله إلا انت .

جمع الصـــلوات

السؤال :

هل يجوز المسافر بالطائرة سفرا طويلا يستغرق ٨ ساعات مثلا ان يجمع الصلوات الخمس قبل السفر لأنه لا يتمكن من اداء الصلوات فى اوقاتها .. ؟

الاجابة :

لا يجوز جمع الصلوات الخمس مرة واحدة فى السفر ، كما لا يجوز ذلك فى الحضر ، والشارع انما رخص للمسافر سفرا طويلا يبيح القصر أن يجمع بين الظهر والعصر تقديما أو تأخيرا وبين المغرب والعشاء كذلك ، وجمع التقديم أفضل لمن كان نازلا فى وقت الأولى ومسافرا فى وقت الثانية وجمع التـــأخير أفضل في حالة العكس ، ويرى الشافعية أن جمع التأخير أفضــــل اذا كان مسافرا أو نازلا فى وقت الفريضتين ..

ويشترط لصحة جمع التقديم ثلاثة شروط :

الأول : الترتيب بين الفريضتين لأن الوقت للأولى والثانية تابعة لها .

الثاني : نية الجمع بينهما ، ومحلها على الأصح مع الاحرام للأولى .

الثالث : الموالاة بين الصلاتين بدون فصل طويل .

واذا جمع المسافر بين الفريضتين جمع تقديم أو جمع تأخير يـــكونان اداء لا قضاء .

فى الميراث

السؤال :

توفى رجل عن زوجة وبنت واولاد ابن توفي فى حياته ، فما نصيب كل وارث منهم ، وهل يعطى أولاد الابن ما كان يستحقه أبوهم لو كان حيا ، كمـــا يقضى بذلك قانون الوصية الواجبة .. ؟

الاجابة :

للزوجة الثمن فرضا ، وللبنت النصف فرضا ، والباقى لأولاد الابن المذكور تعصيبا للذكر مثل حظ الانثيين . وقانون الوصية الواجبة المعمول به فى بعض الدول الاسلامية لا يطبق فى هذه الحالة لأنه انما يطبق بالنســـــبة للفرع غير الوارث ، والفرع هنا وارث .

المصحف ..

السؤال :

اوصى والدى قبل وفاته بان يوضع فى كفنه المصحف الشريف ويدفن معه تبركا به ، وعند الوفاة اعترض احد العلمـــاء على هذا العمل وطالبنا برفع المصحف ، وقد نفذنا كلامه وخالفنا وصية الوالد رحمه الله .. فما حكم الشرع فى وضع المصحف مع الميت فى القبر .. ؟

الاجابة :

يجب تعظيم المصحف واحترامه وصـــــيانته من كل دنس وقذر ، وهذا باجماع المسلمين .. ومن المعلوم أن جسم الميت يتحلل بعد الدفن ويخرج منه صديد وقيح وسوائل نجسة ، فاذا وضع المصحف معه تصيبه هـــذه الأقذار ، وذلك محرم شرعا ، ويحرم تنفيذ هذه الوصية ، وقد أحسنتم صنعا بالاستجابة لرأى من أفتاكم بهذا .

بريد الوعي الإسلامي

هندســـة الكون

استمعت الي محاضرة موضوعها (الآيات الكونية) وكان المحاضر أحـد رجال الفكر المرموقين ووصف المحاضر الخالق تبارك وتعالي بأنه مهندس الكون الأعظم واعترض على هذا الوصف أحد المستمعين ، وقال بأنه لا يجوز أن يوصف الله إلا بما سمى أو وصف به نفســه ، ولم يرد فى أسماء الله الحسنى هـذا الوصف ، ولم يلق هذا الاعتراض قبولا لدى بعض المستمعين ، ودارت مناقشة حادة حول هذا الموضوع ، فما رأيكم ؟.

محمد بومدين ــ ليبيـا



إذا نظر الإنسان الى هذا الكون ، وما فيه من بدائع الخلق ودقيق الصنع آمن بأن لهذا الكون خالقا عظيما قادرا فوق ما يتصور العقل البشرى ، وانه جلّ جلاله متصف بكل كمال ، منزه عن كل نقص ، وقد تعرف الله سبحانه الى عباده بأسماء وصفات تليق بجلاله وهى أسماء الله الحسنى البالغ عددها تسعة وتسعين اسما ، وقد أرشدنا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وليس فى هـذه الأسماء (مهندس الكون) وجمهور المسلمين على أنه لا يصح أن يطلق على الله تبارك وتعالى اسم أو وصف لم يرد به الشرع بقصد اتخاذه اسما له تعالى ، وإن كان يشعر بالكمال ، فلا يصح أن يقال مهندس الكون أو مصمم الكون ، ولا أن نقول المدير العام للخلق ، ولكن ان جاءت هذه النعوت بقصد بيان عظمتـه سبحانه وتقريبا للافهام والعقول فلا بأس والأفضل الأدب مع الله تعالى بالتزام ما ورد فى ذلك وأسماء الله الحسنى ، كما جاء فى رواية الترمذى هى :

هو الله الذى لا إله هو ، الرحمن الرحيم ، الملك ، القدوس ، الســلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبــار ، المتكبر ، الخــالق ، البارىء المصــور ، الغفار ، القهار ، الوهــاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسـط ، الخــافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، الســميع ، البصير ، الحكم ، العـدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفــور ، الشــكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواســع ،

الحكيم ، الودود ، المجيـــد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيـــل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميـــد ، المحصى ، المبدىء ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجـــد ، الواحـــد ، الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقـــدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ، ذو الجلال والاكرام ، المقسط ، الجامع ، الغنى ، المغنى ، المانع ، الضار ، النافع ، النور ، الهادى ، البديع ، الباقى ، الوارث ، الرشيد ، الصبور .

الحـــق واحـــد

هل كل مجتهد مصيب اولا ؟

وهل الحق واحد او متعـــدد ؟

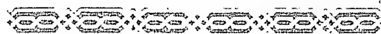
ع. م. ــ البحـــرين

* * *

يرى علماء الأصول أن المسائل الفقهية اما أن يكون فيها نص من كتاب الله أو حديث نبوى صحيح ، وحينئذ يجب اتبـــاع النص ، ولا يصـــح الاجتهاد مع وجـــود النص .

واما الا يكون فيها نص كهذا ، وهنا موضع الاختلاف بين العلماء والذى ارتضاه العلماء من الآراء المختلفة أن الحق واحد غير متعدد ، وعلى هـــذا يكون المصيب من المجتهدين واحدا فقط ، لكن هذا المصيب لا يمكن تعيينه ، ومن أخطأ من المجتهدين له أجر واحد نظير ما بذل من مجهود ، ومن أصاب منهم فله أجران . قال رسول الله صلى‌الله عليه وسلم **(اذا اجتهد الحاكم واصاب فله اجران ، وان اخطأ فله اجر واحد)** .

وكل مجتهد يعمل بما وصل اليه اجتهاده ، وغلب عليه ظنه ، إذ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها .



بأقلام القراء

قرات مقال الأستاذ على الطنطاوى فى مجلتكم الغراء بالعـدد (١٠٠) يقول فيه :

« نحن يا اولادى لم يبق فينا امل نحن الشيوخ (اعنى بالسن) نحـن جيل الضياع جيل الهزيمة نحن اضعنا فلسطين ونحن سبعمائة مليـون ، فالأمانة الآن فى أعناقكم أنتم والحمل على عواتقكم فلا تكونوا مثلنا » .

هذه كلمة صريحة مدوية صرخت فى قلبى فأصابت لب الحقيقة والواقع وكم نحن نخفى على الشباب عوراتنا ونتظاهر بالغـرور والكبرياء امامهم حتى لا تبدو نقائصنا لهم . ومع ذلك فلا أظن الحياة تساعدنا على هـذه الغطرسـة . فاننا مع مزيد الأسف نصب الكوارث على أمتنا من تفريطنا وتجاهلنا هذه الحقيقة ، إننا نغمض أعيننا ، ونأبى كل الاباء فى عصبية حادة أن نصارح الشباب بمثل هذه الصراحة للاستاذ الطنطاوى .

وكم من الشباب يكتب من حرقات قلبه ومن نزيف جراحاته . يكتب وهو يشعر بالضغط الكبير على طموحـه وآلامه لأمته ووطنه ودينه . فاذا القى ما يكتب لأى صحيفة اسلامية يظن أنها ستروى ظمأه وتشفى غليله .. فاذا بالمحرر يلقى بها فى سلة المهملات ولا يتلقى حتى كلمة الشكر والاعتذار! لأنها ليست من كبار الكتاب المشهورين والدكاترة الأكاديميين . الذين يجمعون ما تناثر هنا وهناك ليكتبوا موضوعـا يشـم من سـطوره التكلف وبرود العاطفة . وكأنهم يلقون احجارا فى بئر خرب .

والصحف الاسلامية اليوم تتمتـع بجمال الورق وفن الطباعة ومع ذلك لا تجد لدى الشباب رغبة فى قراءتها والاقبال عليها . لأن المجلة فى واد والحياة المعاصرة فى واد آخـر . والسبب الكتاب (الشيوخ) الـذين يكتبون فى أبراج عاجية . أما الشباب الذين يحترقون من لهيب الانحـراف وفساد الآراء فلأنهم شباب يسيرون فى طريق الاصلاح لا الى طـريق الشهرة يكون مصيرهم الاهمـال ونكران الجميل .

فليس المهم أن تخرج مجلة إسلامية تزاحم السوق وتكدس على الأرصفة بل المهم أن تكون وابلا شافيا للأرواح العطشى وهادية من حيرتها وضلالها فى خضم الحياة الزاخـم فى الفكر الوافد .

الشيخ محمد عبد الغنى أبو شرف

اهمية الوقت فى الاسلام

لا نجد دينا من الأديان اهتم بالوقت وقيمته كالاسلام ، فالأمم لا تنهض الا إذا استفادت بالوقت واستثمرته ، فعندما يشعر كل فرد بقيمة الوقت ويقضيه عملا وانتاجا وعبادة تنهض الأمة ماديا وروحيا ويسعد أفرادها ، أما إذا انصرف الأفـراد الى اللهـو والمجون وبعثروا أوقاتهم على المقاهى

والأندية دون عمل أو انتاج فان ذلك يصيب الأمة بالضياع والتأخر .

ولقد تعدد ذكر الكلمات التى نستخدمها فى قياس الوقت كساعة ويوم وشهر وقرن مئات المرات فى القرآن الكريم وفى أحاديث الرسول عليه السلام حتى نشعر بقيمة الوقت ونحس به فنمضيه على أحسن وجه يرضى الله . فلقد ورد ذكر الساعة بمعنى الزمن ويوم القيامة نحو تسع واربعين مرة وورد ذكر اليوم ومشتقاته أربعمائة وست وثمانين مرة أما الشهر والشهور فقد ورد ذكرها احدى وعشرين مرة ، والقرن والقرون تسع عشرة مرة . وهناك سور من القرآن سميت بأسماء أوقات معينة مثل « سورة الفجر ـ سورة الليل ـ سورة الضحى ـ سورة العصر » .

وهذه اشارات من الله سبحانه وتعالى لنا بأهمية الوقت ، وكذلك الصلاة تدرب الانسان على الاحساس بالوقت وقيمته . قال تعالى :« **إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا** » . اى فرضا فى أوقات محددة . وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الأوقات فقال الحق تبارك وتعالى : « **واقم الصلاة طرفى النهار وزلفا من الليل** » وطرفى النهار الفجر والعصر « وزلفا من الليل » . صلاة المغرب والعشاء .

وإذا كانت الصلاة ترتبط بأوقات محددة ، فان الصوم والحج كذلك يرتبطان بشهور وأوقات محددة . ولا شك أن ذلك الأمر ينمى الاحساس بأهمية الوقت فى نفوس المسلمين فيعملون على استغلاله احسن استغلال لأن الوقت الذى ينقضى لا يمكن استرجاعه أما المال فيأتى ويذهب وكذلك الصحة تذهب وتعود.

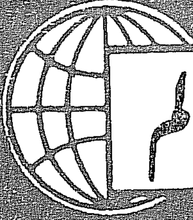
ومما يروى عن احساس المسلمين الأوائل بقيمة الوقت ما دار بين الحجاج بن يوسف الثقفى واعرابى ذلك أن الحجاج بن يوسف الثقفى كان فى طريقه بين مكة والمدينة فنزل ببعض المياه وقال لرفيق معه اذهب وتحر من يأكل معى ، فاذا براع نائم فأيقظه رفيق الحجاج وقال له : قم فالأمير يطلبك . ولما مثل بين يدى الحجاج قال له : اغسل يدك وتغد معى يا أعرابى .

فقال الأعرابى : دعانى من هو خير منك فأجبته ؟ قال الحجاج وهو غاضب : ومن يكون ذلك الذى تعنيه بالأفضلية ؟ فقال الاعرابى : الله تعالى دعانى الى الصيام فأجبته . قال الحجاج : وفى هذا الحر الشديد ؟ فقال الأعرابى : صمت ليوم أشد حرا منه . فقال الحجاج : افطر وصم غدا . فقال الأعرابى وهل تضمن لي البقاء الى غد ؟ قال الحجاج ليس ذلك فى قدرتى . فقال الأعرابى : كيف تسألنى عاجلا بآجل لا تقدر عليه ؟

ويروى كذلك أن الحسن البصرى شهد جنازة فقال لصاحبه وهو يتحدث معه اترى لو رجع الميت للدنيا لعمل صالحا ؟ فقال صاحبه : نعم نعم . فقال الحسن البصرى : فان لم يكن هو فكن انت .

إن عقيدتنا الاسلامية تؤكد لنا وتنمى فينا الاحساس بالوقت وأن ما يمضى منه لن يعود وأن آجالنا فى نقصان دائم فيبادر المسلم بمحاسبة نفسه ويدرك أن الدنيا فانية ، فلا يطمئن اليها فيأخذ من دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر لأنه ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار .

محمد محمود أحمد محمدين



قالت صحف العالم

العناية بالشباب المغترب

العناية بالشباب المغترب ، الشباب الذى يدرس الآن فى بلدان أمريكا وأوروبا ليتولى – غدا – مقاليد الحكم ، ومناصب القيادة ويشغل المراكز الحساسة فى العالم الاسلامى ، فهو أمانة كبيرة فى أعناقنا وخزان ماء كبير نستطيع أن نحوله باستعمال بعض الذكاء وبعض الوسائل وبعض الاخلاص والجهد والعمل الى طاقة مولدة للكهرباء تنير العالم الاسلامى كله فى اقرب مدة يتصورها العقل ان شاء الله .

ويجب لذلك كخطوة اولى تنظيم لقاءات بين الشباب المؤمن فى عواصم الالحاد والفساد وبين شباب مؤمن فى مختلف أقطار العالم الاسلامى على أن تكون هذه اللقاءات بصفة شعبية واخوية اكثر من رسمية أو شكلية فذلك انفع فى التعارف واللقاء واجلب للخير ، والقاء محاضرات اسلامية تساعدهم وتقويهم على مواجهة تحديات بلادهم بلاد الفاحشة والاغراء والتلف والضياع ، وتبديد الطاقات والقوى ، ونحن نحتاج فى ذلك الى الاستعانة بسلاح الايمان قبل سلاح العلم وبسلاح الحب قبل سلاح المنطق والبرهان .

تزويد الشباب المسلم فى كل مكان بمكتبة اسلامية كاملة ومؤلفات الكتاب الاسلاميين المعروفين تعيد الثقة الى نفسه وتنشىء فيه الاعتزاز بدينه ، وتحدث فيه الكراهية للكفر بجميع الوانه وأساليبه ، واشكاله وصوره ، ومقت الجاهلية بأى قميص تقمصت ، وبأى لغة تكلمت .

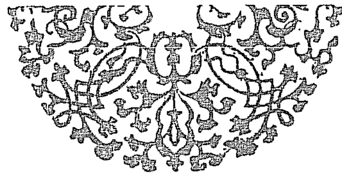
انشاء بيوت للسكنى والاقامة لهؤلاء الشباب فى مختلف العواصم الغربية تحتوى على مسجد ومكتبة ، وقاعة للمحاضرات . والندوات واللقاءات على أن تكون هذه الدور مزودة بوسائل وأدوات تغذى العقل والقلب وتقوى الجسم والروح ، وتربى الشباب على الطاعة والايمان والحب ، وكراهية الكفر والفساد ، وبالاختصار على الحب فى الله ، والبغض فى الله ، فهذه الدور ستكون ان شاء الله بمثابة قلاع متينة للاسلام يأوى اليها الطالب بعد أن نال نصيبه من العلم ليجدد صلته بالله ، وهدفه فى هذه الحياة ويعرف موقفه ومكانته فى خريطة العالم ، ودوره المنتظر الرائع فى العالم الاسلامى .

انشاء مساكن للطلبة فى هذه البلاد لا يعنى مجرد بيوت مخصصة للايجار بل يجب اعدادها اعدادا كاملا من ناحية الدعوة والتربية والتوجيه والأخلاق والسلوك ولذلك اقترح أن تحتوى تلك المساكن على مسجد لأداء الصلوات ، وقاعة للمحاضرات والندوات ومكتبة للدراسات والمطالعات وملعب صغير للرياضة البدنية وبقالة تعاونية للحصول على الأكل الحلال والطيبات من الرزق يعود ربحها على هذه المساكن ، ويكون كل ذلك تحت اشراف دعاة ومربين ومشرفين اجتماعيين يسوقون الشباب الى أهدافهم الاسلامية فى صمت وهدوء وحكمة وفقه ، ومن غير تشديد كثير عليهم وضغط كبير على عقولهم وقلوبهم وميولهم . ويجب على هؤلاء الدعاة والمشرفين أن يكونوا جامعين بين العلم والايمان والنظرية والتطبيق ، وأن يحاولوا اثارة الغيرة والحمية ومقت الجاهلية بجميع أنواعها والحرص على انقاذ الانسانية من هلاكها وشقائها ويعلمون أبناءهم أن أوروبا جرت وبالا على الانسانية وأن العالم خسر خسائر فادحة لا تعوض فى عهد استيلائها على العالم واحتلالها الشعوب والأمم .

ان انشاء مثل هذه المبانى والمساكن الطلابية فى مختلف المدن الغربية الكبيرة يكلف نفقات هائلة ما فى ذلك من شك ولكن يجب على الحكومات الاسلامية أن تتحمل هذه النفقات لأول مرة نظرا الى تلك الفوائد الكثيرة المرجوة ، ثم تكتفى هذه المساكن بنفسها ، وتنفق على ترميمها واصلاحها وتوسعتها بالايجار ودخل الجمعيات التعاونية .

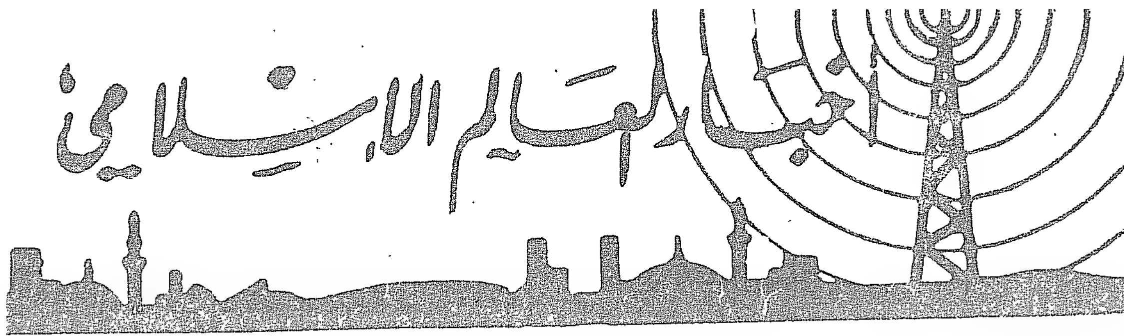
هذا اقتراح خطير عملى نقدمه الى المسئولين وحكام المسلمين فى البلاد العربية والاسلامية ليتأملوا فيه فان جهد خمس أو عشر سنين على هذا المنوال وبتصميم وعزم قد يغير مجرى الاحداث فى هذه المنطقة ويحدث فيها تحولا مباركا لا يتأتى بمجهود عقود من السنين بطرق اصلاحية أخرى ما دامت الطبقة الحاكمة التى تنتجها (مصانع الغرب) (متغربة متفرنجة) منسلخة عن شخصيتها ودعوتها ورسالتها .

ان التركيز على هذه الناحية المهمة يفيدنا فى كافة المجالات الادارية والاقتصادية والتربوية والفنية ، فالى جانب وجود شباب مسلم على رأس هذه الدوائر والمصالح فانه ينفع الحكومات الاسلامية من ناحية الكفاءات والمؤهلات الفنية أيضا . .

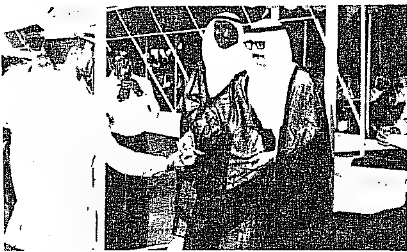


---

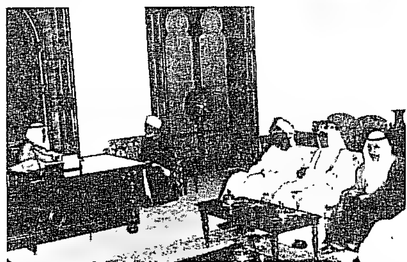
* عن مجلة البعث الهندية .



اعداد : فهمى الامام









الكـــويت :

● احتفلت الكلية العسكرية بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط ، وقد شمل سمو الامير المعظم الحفل برعايته السامية .

● احتفلت كليــة الشرطة بتخــريج الدفعة الثالثة من الطلبة الضباط ، تحت رعاية سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء .

● زار البلاد في الشهر الماضي وفد رابطة العالم الاسلامي بريـاســـة الشيخ حسنين محمد مخلوف ضـمن جولة في عدد من البلدان الاسلامية . وقد استقبله سمو أمير البلاد المعظم بمكتبه بقصر السيف العامر .

● قام سعادة وزير الخارجية ووزير الاعلام بالوكالة بجولة في الشـهر الماضي في منطقـــة الخليج العــربي أسفرت عن نتائج قيمة من أجل تحقيق التعاون واقامة سد منيع في وجــه الأطماع الأجنبية في المنطقة .

● أقيم في الشهر الماضي احتفـــالاً بتخريج الكتيبة السادسة من الحرس الوطني .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول في دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح للصف الأول الصباحي ٦٥٪ والمسائي ٧٧٪ وللصـــف الثـاني الصباحي ٨٣٪ والمسائي ٨٠٪ .

● افتتحت جمعية الاصلاح الاجتماعي ٤١ مركزا للبنين ، و ٥ مراكز للبنات لتحفيظ القرآن الكريم مع دروس فى التفسير والحديث والسيرة والفقه . وذلك فى العطلة الصيفية .

● تلقت المجلة دعوة من سفارة الجمهورية العربية الليبية لايفاد مندوب لحضور مؤتمر الشباب الاسلامى العالمى الذى يعقد فى طرابلس خلال المدة من ٢ — ١٢ يوليو الحالى .

القـــاهرة :

● قام الرئيس أنور السادات بزيارة لليبيا لاجراء محادثات مع الرئيس الليبى معمر القذافى ولحضور الاحتفالات التى أقيمت هناك بمناسبة الذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية عن ليبيا .

الســـعودية :

● زار جلالة الملك فيصل فى الشهر الماضى كلا من المغرب وايطاليا والجزائر وتونس .. ودار البحث فى هذه الزيارة حول مشكلة الشرق الأوسط وتوثيق الصلات بين المملكة العربية السعودية وتلك الدول .

● سترسل السعودية عددا من المدرسين لتدريس اللغة العربية والتربية الاسلامية فى بعض الأقطار الأفريقية مثل نيجيريا وموريتانيا وساحل العاج .

● أعلن تنكو عبد الرحمن انه سيسافر الى كوالالمبور فى شهر اغسطس القادم للاشتراك فى مؤتمر وزراء مالية الدول الاسلامية الخمس التى وافقت على مشروع انشاء بنك اسلامى . والدول الخمس هى : السعودية ، وقطر ، والبحرين ، وليبيا ، ودولة الامارات العربية المتحدة .

ليبيـــا :

احتفلت ليبيا بالذكرى الثالثة لجلاء القوات الأمريكية عن أراضيها .

ابـو ظبى :

دعت امارة أبو ظبى الى اتخاذ اجراء عربى موحد ضد كتاب نشر فى بريطانيا يتضمن صورة للنبى محمد (ص) مع الملاك جبريل .

● قال سمو رئيس دولة الامارات العربية المتحدة — ان الوحدة العربية هى طريق النصر وما اليأس الذى تعيشه أمتنا الا نتيجة للفرقة الموجودة .

ســـوريا :

وصلت سوريا بطريق البحر القوات المغربية ونزلت فى اللاذقية وكان جلالة الملك الحسن قد أمر بارسال هذه القوات لتساند القوات السورية فى المعركة ضد اسرائيل .

الأردن :

لفتت وزارة الخارجية الأردنية أنظار الدبلوماسيين فى سفارتها فى الخارج الى نشرة سياحية وزعتها اسرائيل تتضمن صورة للقدس وقد قام فيها الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى .

فلســـطين :

مضت ست سنوات على عدوان حزيران ١٩٦٧ وما زالت الأراضى العربية تحت وطأة الاحتلال الاسرائيلى . فمتى الخلاص ..؟

اخبـــار متفرقة

كوريا الجنوبيـــة :

● تبرع رئيس الجمهورية لمسلمى كوريا بقطعة أرض مساحتها ٥٠٠٠ متر مربع فى وسط مدينة (سيول) وذلك لبناء مسجد عليها .

اليـــابان :

● تم ترجمة وطبع القرآن الكريم الى اللغة اليابانية ، وقد ساعدت فى هذه المهمة رابطة العالم الاسلامى بالتعاون مع الجالية المسلمة اليابانية.

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الثانية ١٣٩٣	يوليو ١٩٧٣	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي: فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي: فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د	س د
الأحد	١	١	٥ ٣	٥١ ٤	٥١ ١١	٢٥ ٣	٥١ ٦	٢٤ ٨	١٤ ٨	٠٠ ١٠	٠٠ ٥	٣٤ ٨	٣٣ ١
الاثنين	٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الثلاثاء	٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الأربعاء	٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الخميس	٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
السبت	٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الأحد	٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الاثنين	٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الأربعاء	١١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الخميس	١٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
الجمعة	١٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
السبت	١٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الأحد	١٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الاثنين	١٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	١٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الأربعاء	١٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الخميس	١٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠
الجمعة	٢٠	٢٠	١٧	٠٠ ٥	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٣٠	١٣	٧	٤٢	٣٠
السبت	٢١	٢١	١٨	١	٥٣	٢٩	٤٦	١٦	٣١	١٤	٧	٤٣	٣٠
الأحد	٢٢	٢٢	١٩	١	٥٤	٢٩	٤٦	١٥	٣٣	١٥	٨	٤٣	٢٩
الاثنين	٢٣	٢٣	٢٠	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٥	١٧	٩	٤٤	٢٩
الثلاثاء	٢٤	٢٤	٢١	٢	٥٤	٢٩	٤٥	١٤	٣٦	١٨	٩	٤٤	٢٩
الأربعاء	٢٥	٢٥	٢١	٣	٥٤	٢٩	٤٤	١٣	٣٧	١٩	١٠	٤٥	٢٩
الخميس	٢٦	٢٦	٢٢	٣	٥٤	٣٠	٤٤	١٢	٣٨	٢٠	١٠	٤٦	٢٩
الجمعة	٢٧	٢٧	٢٣	٤	٥٤	٣٠	٤٣	١١	٤٠	٢١	١١	٤٦	٢٨
السبت	٢٨	٢٨	٢٤	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٢	٢٣	١٢	٤٧	٢٨
الأحد	٢٩	٢٩	٢٥	٥	٥٤	٣٠	٤٢	١٠	٤٣	٢٤	١٢	٤٨	٢٨



مسجد سعد بن ابى وقاص
كويت ـ كيفان

اســـــمه :	سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد منـــاف القرشى الزهرى . أبو اسحاق : الصحابى الأمير .
مولـــــده :	ولد فى سنة (٢٣) قبل الهجرة ـ ٦٠٣ م .
اســـلامه :	اسلم وهو ابن (١٧) سنة .. وشهد بدرا ، وافتتح القادسية .
فتـــوحاته :	فتح العراق ، ومدائن كسرى ، وهو أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة ، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، يقال له فارس الاسلام .
ولايتـــــه :	نزل الكوفة فابتنى فيها دارا فكثرت الدور فيهـــا وظل واليا عليها مدة عمر بن الخطاب . وأقره عثمان زمنا ثم عزله فعاد الى المدينة فأقام قليلا وفقد بصره .
صـــــفته :	قالوا فى وصفه : « كان قصـــــيرا دحداحا ذا هامة ، شثن الأصابع ، جعد الشعر » .
روايته للحديث :	له فى الصحيحين (٢٧١) حديثا .
وفـــــاته :	مات رضى الله عنه فى قصره بالعقيق (على عشرة أميال من المدينة) وحمل اليها .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيـــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـــازى : مكتبة الخـــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـــس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـــارع فرنســـا .

لبنـــان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـــدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيـــة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـــدة : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـــة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـــة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـــراق : بغداد : وزارة الاعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـــرين : المكتبة الوطنية : شارع بـــاب البحرين .

قطـــر : الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـــى : مطبعة دبى .

الكـــويت : مكتبة الكـــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

اقرأ في هذا العدد

الموضوع	الكاتب	الصفحة
حديث الشهر (حاضر المسلمين)	لرئيس التحرير	٤
المتحنة .. سورة الحب والبغض في الله	للشيخ محمد الغزالي	٨
جوانب الهداية	للدكتور محمد حسين الذهبي	١٤
بين عناية الاسلام بالطفولة والتبني	للدكتور محمد سلام مدكور	٢٠
نظرية الشريعة الاسلامية في الاشتراك	للدكتور محمد المجذوب	٢٥
العلمانية والاسلام	للدكتور محمد البهي	٣٣
جهاد الأمة العربية وصراع اللغة	للدكتور مازن المبارك	٤١
مائدة القارىء	التحرير	٤٤
مدرسة جديدة لدراسة السيرة النبوية	للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي	٤٦
الكم والكيف في نشر الثقافة الإسلامية	للأستاذ محمد عبد الله السمان	٥٤
الاسلام والعروبة	للدكتور محمد محمد حسين	٥٨
القرآن يقرر قصور العلم البشري	للأستاذ ق . ق	٧٢
التحريف والنسخ في شريعة اليهود	للدكتور محمد اسماعيل الندوي	٧٥
دستور الاعلام (كتاب الشهر)	للأستاذ محمد محمود زيتون	٨١
قضايا عربية من شعر اقبال	للدكتور محمد التونجي	٨٦
مكتبة المجلة	اعداد : عبد الستار فيض	٩٣
قصاص (قصة)	للأستاذ : سعيد زايد	٩٤
اعرفوا أعداءكم	للشيخ عبد الله السند	٩٨
أزمة الزواج	للأستاذ عبد الرحمن احمد شادي	١٠٠
الفتاوى	التحرير	١٠٣
باقلام القراء	التحرير	١٠٥
بريد الوعي	التحرير	١٠٧
قالت الصحف	التحرير	١٠٩
الأخبار	اعداد: فهمي الامام	١١١
مواقيت الصلاة	التحرير	١١٣
مسجد سعد بن أبي وقاص	التحرير	١١٤